الكيمياء

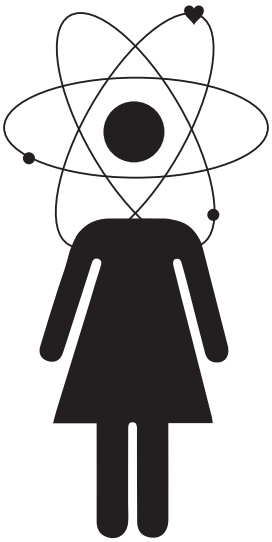

الكيمياء

رواية: ويكي وانج

Qindeel | قنديل

CHEMISTRY

A NOVEL

Weike Wang

الكيمياء

رواية

ويكي وانج

ترجمة: ديوان آرابيا

© 2019 Qindeel Printing, Publishing & Distribution

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة «**المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: MC-02- 01-2995108 تاريخ 2018/12/5

ISBN: 978 - 9948 - 38 - 391 - 8

FIRST VINTAGE CONTEMPORARIES EDITION, APRIL 2018

COPYRIGHT © 2017 BY WEIKE WANG

قنديل | Qindeel

للطباعة والنشر والتوزيع

Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شارع الشيخ زايد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© جميع الحقوق محفوظة للناشر 2019

الطبعة الأولى: نيسان / إبريل 2019 م – 1440 هـ

شكر وتقدير

الشكر لمن درسوا لي الكتابة في جامعة بوسطن ليس لي وزفي وسجرد لإرشادي خلال سنة دراسة الماجستير في الأدب وما بعدها. والشكر لمجموعة الكتّاب المجتهدين جيمي وكارولين وجيف ومايكل إم وزوي وجيليان وميشيل وكاتي ولي لمساعدتي في مراجعة وإخراج هذا النص على الوجه الأفضل. والشكر لجيمي وكارولين وجيف ومايكل وكاترين على دعمهم المتواصل لي عبر الهاتف والبريد الإلكتروني، وأحياناً عبر المقابلة في الخارج ليلاً. والشكر لمايكل سي لكونه قارئي المفضل. والشكر لليندا ويوينج على سنوات الصداقة الرائعة. والشكر لجوي لإيمانه في هذا العمل وإيمانه بي. والشكر لجميع العاملين في دار كنوبف لإخراج هذه الرواية للنور، والشكر لمعلمتي وملهمتي الأولى إيمي لتشجيعي على الكتابة من البداية، وشكر خالص لوالدي.

ثناء

«تبدأ رواية الكيمياء كقطعة من الحلوى الساحرة، ثم تنتقل لتضيف طبقات من العمق والتعقيد العاطفي في كل صفحة، ويُضاف إلى رصيد وانج أنها تستطيع أن تبث كل هذه الجدية بكل هذه الخفة. لقد أحببت هذه الرواية».

الكاتبة الأمريكية آن باتشيت

«إنها رواية مرحة وأصيلة ومقنعة... العلم هو عدسات ممتازة لرؤية ويكي وانج لتجربة المرأة الشابة، التي تناولت على نحو رائع تجربة الحب والطموح والولاء وبالطبع الكيمياء. إن السعي الحثيث إلى التميُّز، وفقًا لما طبَّقه الوالدان المهاجران، يرتقي فوق الأسئلة الأساسية عن اكتشاف النفس... باختصار: هذه المحاولة الأولى جوهرية».

الكاتبة الأمريكية إيمي هيمبل

«رواية الكيمياء قطعة أصيلة من الأدب: تجمع بين الحكمة والفكاهة والحركة».

الشاعر الصيني ها جين

«إنها لقصة رائعة... من خلال الاطلاع على الفصول المختصرة التي تتضمَّن مشاهد من طفولتها وحقائق علمية، أستطيع القول: إن رواية الكيمياء هي الراوية الأمتع على الإطلاق حول العيش تحت ضغوط الاكتئاب».

مجلة بيبول

«بفضل أسلوبها الواضح والنشاط الكوميدي والفحص الحساس للحب والاحتياج والطموح، من المؤكد أن هذه الرواية الباحثة عن الروح بامتياز، تُعد واحدة من أكثر المحاولات الأولى الرائعة هذا العام».

الكاتبة الأمريكية سيجريد نونيز

«تحطم رواية الكيمياء (بما فيه الكفاية) الصورة النمطية للأقلية النموذجية. إن صوت وانج يُعد إلهامًا ـمن خلال تقديم رؤية خالية من الانفعالات تتجاذبها مشاعر اليأس والسخرية والتردُّد، لكنها تكون حقيقية دائمًا وأبدًا».

بيتر هو دايفيز ـمؤلف كتاب «فتاة ويلز والثروة»

المترجم

رواية الكيمياء، الرواية الأولى لصاحبتها الحاصلة على الشهادة الجامعية في الكيمياء ويكي وانج، وليس كما تصف الرواية عن فشل بطلتها في الحصول على الدكتوراه، وإنما حصلت ويكي على الدكتوراه في الصحة العامة، والرواية ليست بالضرورة سيرة ذاتية للكاتبة، وإن تماسَّت الأحداث مع حياتها كما يحدث مع كثير من الكتَّاب والمبدعين، حين يستقون من حياتهم تفاصيل إبداعهم، وحرصنا في الترجمة على مراعاة الذوق العربي، وتخفيف بعض المشاهد المغرقة في التفاصيل الحسية، مستعيضين عنها بالإشارة أو التلميح فقط.

وفيما يخص الحديث عن إدمان البطلة على المشروبات الكحولية فقد أوردته الكاتبة كحالة مرضية اضطرت إلى مراجعة طبيبة نفسية كي تساعدها على الشفاء منه ومن آلامها النفسية الأخرى، لذا لم نتطرَّق بالتغيير إلى تلك المشاهد التي تناولت فيها الرواية وصف تلك الأعراض وتتبُّع ذلك خلال صفحات الرواية، حتى اعترفت

أن إدمانها المشروبات الكحولية قد عرَّضها لأزمات كثيرة في حياتها، حتى إنه كان أحد أسباب افتراقها عن حبيبها، واضطراب ردود أفعالها وسلوكها مع من حولها، وكذلك تجاه تلك العلاقة التي أقامتها مع زميلها الذي يسبقها في الدراسة دون علم والديها وانتهت بالفشل.

«حياتي كإبيجراف رياضي..

محض نقاط مبعثرة..

هنا وهناك».

الجزء الأول

تقدَّم الفتى طالباً يدها للزواج، قالت له: أعد عليَّ طلبك في الغد، فقال: ليست هكذا تسير الأمور!

لم يعد الألماس أكثر المعادن المعروفة للإنسان صلابة؛ فقد ورد في مجلة نيو ساينتست أن اللونسداليت أكثرها صلابة، حيث تزداد صلابة اللونسداليت عن الألماس بنسبة 58٪، ويتكون فقط عند اصطدام النيازك بسطح الأرض، ومن ثم تحطُّمها؛ النيازك وليس الأرض!

• • •

اقترحت زميلتي في المختبر عمل قائمة بالمزايا والعيوب.

قالت: اكتبي كل شيء، وأثبتيه لنفسك.

ثم أومأت برأسها وربَّتت على ذراعي في حنان.

زميلتي في المختبر محترفة في حل المشكلات الصعبة، ومكتبها مجاور لمكتبي، لكنه أكثر تنظيماً وتحقيقاً للنتائج.

كما تقول عن أبحاثها المنشورة الكثيرة جدّاً... إنها ليست

على القدر الكبير من الأهمية... وهي لا تأخذ نفسها على محمل الجد أكثر من اللازم، صحيح أنها مشغولة، لكن ليس إلى تلك الدرجة، فهي تتحدث عن أمور أخرى بخلاف الكيمياء.

أجد إطلالتها تبعث على المرح، إلا أنها غريبة بعض الشيء؛ فلو كنت أنا من حقَّقت هذا القدر من الإنجاز، لذكرت ما نُشر لي من أبحاث أثناء محادثاتي. هل قرأت كذا وكذا؟ إنه بالفعل يستحق وقتك، فالجداول وحدها جميلة وجيدة التنسيق.

أما عني فقد نُشر لي بحث واحد فقط، وكانت الجداول فيه جميلة بحق؛ فهي واضحة بالكامل وحدودها ذات خط مزدوج التباعد، وكل العناوين بليغة وموضِّحة.

قرأت في مكان ما أن متوسط عدد قراء الأبحاث العلمية يبلغ 0.6٪! وهكذا، كتبت القائمة، وكانت المزايا عديدة.

إريك يطهو طعام العشاء، كم هو محترف في الطهي ويصنع أطعمة رائعة، ومحترف في أشياء أخرى! إنه يناولني فرشاة الأسنان ويضع عليها المعجون، بل أحياناً يضعها في فمي، ويتولَّى إخراج القمامة ووضع ما يتناسب منها في حاويات إعادة التصنيع، ويروي كل النباتات، حيث يبدو أنني لا أتذكر أنها مخلوقات حية! فقد قال لي ذات مرة معاتباً عقب أسبوع كان فيه بعيداً: هذه النباتات تبدو جافة.

ذهب إريك في ذلك الأسبوع إلى كاليفورنيا لحضور مؤتمر مع كيميائيين آخرين واعدين.

كذلك يقلُّني إريك إلى المعمل عندما يكون الجو ممطراً لدرجة يصعب معها الذهاب بدراجتي، وتشهد بوسطن مطراً كثيفاً، ففي بعض الأحيان يسقط المطر بصورة أفقية ويصطدم بالوجه.

كذلك يقوم إريك بتمشية الكلب، الذي كان إريك قد اشتراه لي.

أدرك أنني لم أكتب أي شيء في خانة العيوب، وهذا ما توقَّعت حدوثه.

في اليوم التالي، قلت لزميلتي في المختبر إن لديَّ نصف قائمة، فعرضتْ أن تشتري لي كعكة.

يوجد في المختبر صندوقان مليئان بغاز الأرغون، حيث أجري تركيبات كيميائية شديدة الحساسية، وينبغي ألا تتعرَّض للهواء، فبمجرد دخول الهواء، تشتعل المواد الكيميائية، إضافةً إلى أن هذا هو المكان الذي أتمنى أن أستريح فيه في الأيام الصعبة.

حين أضيف الكمية الخاطئة من المادة المحفّزة، أو أضيف المادة المحفّزة الخاطئة، تعمل على تسريع التفاعلات الكيميائية وتخفيض طاقة التنشيط التي تمثل عدم القدرة على اتخاذ قرار نهائي، وتواجه كل تفاعل من التفاعلات قبل التقيُّد بمساره.

ما فائدة هذا على المدى الطويل؟ أطرح على نفسي هذا السؤال عندما أكون بمفردي في الغرفة؛ إنها غرفة المذيبات، وفقاً للتسمية الرسمية، لكنني أسميتها «قلعة العزلة».

لم يعد إريك يعمل في هذا المختبر، فقد تخرَّج العام الماضي، وهو الآن في مختبر آخر. يستغرق الحصول على الدكتوراه في

الكيمياء خمس سنوات على الأقل، وقد تقابلنا في عامي البحثي الأول وكان هو حينها في عامه الثاني.

الآن، أسير في شقَّتنا وأتعثَّر في أغراضه: حقائب سود كبيرة للطبول وأوانٍ معدنية وزجاجات مكسوة بالخيزران تحتوي على سائل بني يختمر بداخلها؛ حيث يلعب إريك على الطبول ويخمّر شراب الشعير، وهنا أجد عيباً واحداً يتمثَّل في المساحة الكبيرة التي تستهلكها هاتان الهوايتان، إلا أن حبي لسماع صوت الطبول وشراب الشعير يفوق هذا العيب، وهكذا تزداد خانة المزايا في القائمة بمعدل الدالة الأسية.

• • •

لقد تحدثنا عن الزواج من قبل: هل يمكنكِ أن تري نفسك مستقرة ولديكِ أطفال؟ هل يمكنكِ البدء في تكوين أسرة؟ لم أجب بالنفي، ولا بالإيجاب. لقد أجرينا هذه المحادثات بشكل عابر، وفي كل مرة يظن أنني سأقول شيئاً مختلفاً إذا تقدَّم بالفعل للزواج بي.

قال لي: الآن، على الأقل أصبحت جميع أوراقي مكشوفة، لكن أرجو ألا تتأخري كثيراً في اتخاذ القرار.

• • •

كانت حرارة الصيف غير محتملة، وفي متجر هوم ديبو، انتقلنا صعوداً وهبوطاً عبر الممرات بحثاً عن مروحة؛ فبالأمس انكسرت آخر مروحة لدينا، بينما يُتوقَّع ارتفاع درجات الحرارة في الأسبوع القادم، وحدوث إعصار في الشهر القادم.

وعندما رأى إريك التقرير عن الإعصار، تساءل ما إذا كان الأشخاص الذين كتبوه يداعبوننا فقط؟

وسألته: لِمَ يفعلون هذا؟

لأنه شيء مضحك.

آه، صحيح، ثم ضحكت بعد مرور دقيقة.

الصبر أعظم الفضائل لدى إريك، فبإمكانه الانتظار في طوابير ممتدة أكثر مما يمكنني أنا ولا يشغل باله بطول الانتظار، بل أثناء حمله مروحة ثقيلة يبتسم في وجه المرأة العجوز الواقفة أمامه وقد أحضرت حزمة طويلة من عواكس الضوء، وعند الدفع تردَّدت في الشراء، وسألت البائع عن رأيه، وسألت إريك: هل يتعيَّن عليَّ أخذ اللون الأرجواني؟ أما أنا فلم تعبأ بسؤالي، لأنني الشخص الذي ينقر الأرض بقدميه في نفاد صبر، ثم تفكر المرأة ثانيةً وتدير كل واحد من عواكس الضوء في يديها، ولكن في النهاية لا تشتري أي شيء.

أقول لإريك في السيارة إنه إذا كان لي أن أعيد تخيُّل جهنم، فلن تختلف عن الطابور الذي كنا فيه للتوّ، باستثناء أن المرأة ما كانت لتحسم أمرها أبداً بخصوص عواكس الضوء، وما كان الطابور ليتحرك أبداً.

وقلت: هل يمكنك أن تتخيل عقاباً أسوأ من دفع هذا الشيء إلى أعلى التل؟

قال إريك: دفع جلمود.

أشعر كم كنت منافقة لأنني جعلته ينتظر جواباً، ثم استرسلت في حديثي عن الانتظار في الطابور لخمس وعشرين دقيقة.

بمجرد وصولنا إلى المنزل، نصب إريك المروحة وجُنَّ جنون الكلب.

• • •

منذ عامين انتقلت أنا وإريك للعيش معاً، لم يكن لدينا كلب، لكننا كنا نفكر في ذلك، سأل إريك: أي نوع من الكلاب؟ كبيراً؟ صغيراً؟ ليس لديَّ تفضيل معين، ما رأيُك في أن يكون كلباً لطيفاً فحسب؟

عندما أحضره إلى المنزل لأول مرة، سمعت صوت ذيله الطويل والكثيف وهو يخبط في الأريكة، الكلب من فصيلة جولدن دودل، ويزن خمسة وأربعين رطلاً، شكله رائع، وحين يجري ترتفع أذناه وتنخفضان، ولو لم نزيّنْ شعره ونشذّبه لطال وبدا أشبه بدب أشقر.

الجميل أن الدب الأشقر يحب الناس، لكننا اكتشفنا بعد ذلك أنه يخاف من أي شيء آخر؛ مجفّف الشعر، أو صندوق فارغ، أو مروحة.

• • •

إن المزاج السيئ أمر متوارث في عائلتي، إنه الأليل (البديل السائد في الكيمياء)، مثل الشعر الأسود، بينما إريك شعره أحمر، وقد سأل أصدقائي ما إذا كان محتملاً أن يكون

أطفالنا من أصحاب الشعر البني الفاتح المائل إلى الحمرة، فقد أصبح أصحابه في تناقص مستمر، وأصدقاؤنا يهتمون بإطلالة إريك الجميلة.

أقول لهم: ما لم يكن مندل مخطئاً تماماً فيما يتعلَّق بعلم الجينات، فسوف يرث أطفالنا لون شعري.

لكن لم يزل في وسع أصدقائنا أن يحلموا بطفل آسيوي شعره أحمر. يقول أحد الأصدقاء: يمكنكِ كتابة بحث علمي عن هذا الأمر، ثم تتقدمين لشغل وظيفة أكاديمية وتحصلين عليها.

إريك بالفعل يبحث عن وظيفة أكاديمية، فهو يريد أن يعمل بالتدريس في كلية تسعى بشكل أساسي إلى خدمة الطلاب.

يقول إريك: لأن الطلاب الجامعيين هم المستقبل، ولأنهم تواقون إلى التعلم ومعبؤون بالطاقة وسعداء بشكل ما ـ أكثر أو أقل ـ مقارنةً بالخريجين وطلاب الدراسات العليا، يمكنني صنع اختلاف جوهري معهم.

ـ أنا لا أقول هذا فحسب، لكنني أفكر فيه، إنك الشخص الوحيد الذي أعرفه يتحدث بهذه الطريقة، بهذا الحماس والإيمان بالفكرة.

لكن الكليات التي يريد الالتحاق بها لا تقع في بوسطن، بل تقع في أماكن مثل أوبرلين في ولاية أوهايو.

أنا واثقة من حصول إريك على الوظيفة، فمساره المهني شديد الاستقامة كالسهم المنطلق إلى هدفه، وإذا كان لي أن أرسم مساري المهني، فسيكون مثل جزيئات الغاز المتطايرة في الفضاء.

لطالما ردَّدتْ زميلتي في المختبر حكمة كثيرين ممَّن سبقوها من الكيميائيين: «عليك أن تحب الكيمياء حتى وإن لم تحقق النتائج، عليك أن تحب الكيمياء دون قيد أو شرط».

الأصدقاء الذين يسألون عن الأطفال ذوي الشعر الأحمر من حديثي الزواج، أو أولئك ممن يقتنون الكلاب، حينما نستضيفهم على العشاء، مثلما حدث في هذا اليوم، يظنون أننا نحاول إخبارهم بنبأ خِطبتنا.

ويسألون: هل هناك أخبار جديدة؟

أجيبهم: لا ليس بعد، لكن بدلاً من ذلك... إليكم بعض جبن البارميزان الطازج المبشور.

أعلم أنهم لا يكونون بهذا اللطف عند حديثهم عني في غيابي، فهم يتساءلون فيما بينهم: لقد مرت أربع سنوات، أليس كذلك؟ إنهما يمزحان، هي فقط برفقته من أجل ماله.

من المعروف الآن أن طلاب الدراسات العليا لا يقتربون من تحقيق أي شيء، وأن عدد العلماء الحاصلين على شهادة الدكتوراه في هذه الدولة يفوق عدد الوظائف المتاحة لهم.

عندما قرَّر إريك لأول مرة الحصول على الدكتوراه، كان حينها في المدرسة الثانوية، حيث أخذ دروساً في الكيمياء وتفوَّق فيها، وكان هذا في ميريلاند الغربية، في مدينة تكثر بها أبراج الكنائس ولا يوجد بها محل واحد لستاربكس. كل عامين كنا نقود السيارة لمدة ثلاث ساعات من مطار العاصمة، مروراً بتجويف في جبال

الأبالاش، ووصولاً إلى مكان أشبه بلوحة، حيث يبدو أن إريك يعرف كل الناس؛ فتجده في حانة هورس شو يلوّح إلى رجل هو معلم فرقته الموسيقية السابق، وتجده أيضاً يلوّح إلى المرأة في مكتب البريد، وإلى أم صديق كان معه في المدرسة الثانوية. كان يُطلق على من يتناول العشاء في حانة هورس شو اسم ناينرز، وتوجد هناك دائماً مزرعة معروضة للبيع وتشغيل الطواحين.

أتساءل في بعض الأحيان عن سبب تركه لمكان يُطلق فيه على محلات بيع الآيس كريم اسم محلات بيع منتجات الألبان كي يعمل سبعين ساعة أسبوعياً في مختبر. يُرجِع إريك الفضل في ذلك إلى أستاذه في الكيمياء الذي كثيراً ما سأله: ماذا سوف تفعل بعد تخرجك؟ ولا تقل لي إنك ستبقى هنا فحسب.

• • •

هناك اعتقاد شائع بين الأمهات الصينيات أن الأطفال يلتقطون سماتهم بأنفسهم في رحم أمهاتهم؛ حيث يعمل الأطفال الأذكياء منهم بجهد على التقاط السمات الأفضل، أما الحمقى فيسهل وقوعهم في الحيرة ويغرقون في النوم، وبسبب كسلهم ينالون أسوأ السمات.

أو ربما هذا اعتقاد خاص بأمي وحدها.

تقول أمي: لو كنتِ قد اخترتِ بشكل أفضل، لما انتهى بكِ المطاف باكتساب المزاج السيئ من والدك، أو ضعف النظر مني.

أنا لا أريد تصديق هذا الأمر، لكنه بات راسخاً بداخلي، ولا أجد وجهاً لمقارنة مزاجي السيئ بمزاج إريك.

الخميس يوم جمع القمامة؛ نسلك فيه الشوارع التي ما كان ينبغي أن نسلكها، ونجد أنفسنا نسير بالسيارة على مدى أميال خلف شاحنة القمامة، في شارع أحادي الاتجاه، بل أيضاً في شارع ذي حارة سير واحدة، لكن إريك لا يتنهَّد أو يشتكي ولو مرةً واحدةً، بل يُشغِّل موسيقى الجاز، ويقول: استمعي إليها، لكن كل ما يمكنني سماعه هو سير الشاحنة وتوقُّفها، والتقاط القمامة وتفريغها، وأصوات قعقعة سلال القمامة المعدنية، وكم أُصبح محبطة بعد أغنية واحدة، حتى إنني أميل ناحية إريك وأضغط على بوق السيارة بدلاً منه، ثم أُخرِج وجهي من النافذة لأصيح في سائق الشاحنة، عذراً، إذا سمحت.. نريد المرور.

• • •

يمر المشرف على الدكتوراه بمكتبي ويجلس ويشبك يديه ويسألني: إلى أين يتجه مشروعك بعد مرور خمس سنوات من الآن؟

قلت بعدم تصديق: خمس سنوات؟ أتمنى أن أكون قد حصلت على الدكتوراه في ذلك الوقت والتحقت بوظيفة فعلية.

قال: حسناً، ربما حينها يكون الوقت قد حان لبدء مشروع جديد يكون مناسباً أكثر لحدود إمكاناتك.

وتركني على تلك الحال!

لم تفارقني قط الرغبة في إلقاء شيء فوق رأسه، وهذا يتوقَّف على ما يقوله، ربما ألقي جهاز الكمبيوتر أو الطاولة نفسها.

وضعت مخطَّطاً لمشروعات ممكنة، فإذا أمكنني مثلاً تحقيق الخيمياء (الكيمياء القديمة) اليوم، لتخرَّجت في الغد.

هناك شخص في المختبر يؤمن بقوَّة أن مكان المرأة ليس في مجال العلوم، ويقول إن المرأة تفتقر إلى الشجاعة اللازمة للعمل في هذا المجال، وهذا ليس خاطئاً، فنحن بالفعل نفتقر إلى الشجاعة.

لكن إذا كان قد قال لي هذا الأمر في بداية مسعاي في الدراسات العليا، للكَمتُه لكمةً قويةً، فقد كنت أرى نفسي الأفضل في الكيمياء؛ حصلت في المدرسة الثانوية على جائزة وطنية في الكيمياء، وقلت بزهوٍ في لقاء التكريم: نعم، أنا حصلت عليها. لأعود فأدرك أن الجميع قد حصلوا عليها أيضاً في وقت ما، إضافة إلى الجوائز الأخرى التي لم أحصل عليها بعد.

لم يزل ذاك الشخص موجوداً في المختبر، وهو يعمل مع زميل له، وإذا سارت الأمور كافة على نحو جيد، فسوف يكون لديهما بحث آخر في العام القادم، ثم يحصلان على الدكتوراه.

ولم يزل يقول: المرأة تفتقر إلى الشجاعة للعمل في مجال العلوم، باستثناء زميلتك في المختبر، فشجاعتها تعادل شجاعة ثلاثة أشخاص.

سألت إريك في وقت لاحق، في رأيك كم يبلغ مقدار شجاعتي؟

كان اختيار التوقيت سيئاً للغاية، فقد أوينا إلى الفراش لتوّنا.

قال إريك: آه... صفر. كنت أتمنى لو قال إنها تعادل شجاعة ثلاثة أشخاص، أو أكثر من هذا القبيل.

• • •

هناك مثل صيني يقول: خارج السماء توجد سماء، وبعيداً عن الناس يوجد ناس.

إنها فكرة اللانهاية، وكذلك سوف يكون هناك دائماً شخص أفضل منك.

يقول إريك إن هذا المثل يُذكّره بقصة من الفلسفة الهندية.

منذ ثلاثمائة عام، كان يُعتقد أن العالم عبارة عن لوح مسطَّح يستقر على فيلٍ يستقر بدوره على سلحفاة، وأسفل هذه السلحفاة توجد سلحفاةٌ أخرى، وأسفل هذه السلحفاة توجد سلحفاة أخرى، وهكذا.

• • •

كلما استطعت، كنت أتصل بصديقتي المقرَّبة، التي كانت تعمل طبيبة في مانهاتن، وزوجها رجل أعمال، وتمكَّنا معاً من تأمين المال، وإحضار مدبّرة للمنزل، والحصول على شقة صغيرة في وسط المدينة في الطابق الثاني عشر.

بالمقارنة بأصدقائي الآخرين فإن زيجتهما هي الأطول عمراً، فقد تزوَّجا عقب إنهاء الجامعة مباشرةً، ثم استكملا مسيرتهما المهنية.

في ذلك الوقت، قرَّرا أن هذا هو الأفضل ـ من الناحية اللوجستية ـ لأنها لم تظن أنه سيتوفر لديها الوقت للتخطيط للزفاف وهي في

كلية الطب، أو في أثناء مدة تخصُّصها في الطب. وفي يوم عرسها، حيث كنت أساعدها في الغرفة على ارتداء ثوب الزفاف، تساءلت وهي تضع يدها فوق بطنها المسطحة: ماذا إذا أفسدت فترة التخصُّص في الطب هذا القوام؟

إنها عروس جميلة.. فترة التخصُّص في الطب لن تفسد أي شيء.

تعرَّفت بهذه الفتاة منذ الصف الثالث، فقد نشأنا في مدينتين متجاورتين في ولاية ميتشيغان وتقابلنا من خلال أصدقاء عائلتينا. لم أكن أعرفها بصورة جيدة قبل معرفتي بما يلي في الصف الثاني، فقد تنامى اهتمامها باللصاق المطاطي، فهي تحبّ صبَّه على يديها ثم لعقه.

أما الآن فهي تخبر مرضاها بالتوقُّف عن تناول الدهون المتحوّلة لتجنُّب انسداد الشرايين، وتتكرَّم بوصف العقاقير لهم، فهي تقول لي كلَّما اتصلت بها: دعيني أجرِ لكِ فحصاً طبيّاً عامّاً، ويجب أن أرفض بشدة، وليس بسبب تشكُّكي في مهارتها، بل لأنني رأيتها وهي تأكل اللصاق المطاطي.

قالت: كان هذا منذ زمن بعيد.

أجيبها: نعم، لكن من يدري ما تأثيراته على المدى الطويل، فلم يدرسها أحد من قبل.

واليوم، قالت لي: ماذا بشأن دراستك الكيمياء؟ لماذا لا تسيرين على نحو جيد؟ أنت تقضين الساعات في دراستها، فكيف لا تحققين أي شيء؟

شرحت لها الأمر من خلال لعبة الليغو؛ إن ما أقوم به في الكيمياء ينطوي على وضع العديد من مكعبات الليغو معاً ثم يظهر لي مكعب ليغو آخر مغاير. تمثّل مكعبات الليغو هنا الجزيئات، لكن على عكس لعبة الليغو، فأنا لا يمكنني رؤية الجزيئات أو لمسها.

أنا في آخر مراحل دراستي في الدكتوراه، وحين قرَّرت انتهاج الكيمياء العضوية التركيبية، كنت مفتونة بالفن الذي تحتوي عليه، فالهدف من هذا النوع من الكيمياء هو بناء جزيء موجود بالفعل في الطبيعة، لكن بغرض بنائه بشكل أفضل عما في الطبيعة بأقل عدد ممكن من الخطوات، مع وجود خطوة أساسية جميلة. إن التقنية هي كل شيء، تحقيق النسبة هو كل شيء، وعلى مدى أشهر أجري التفاعل ذاته مرة تلو الأخرى، أكرّر الخطوة السابعة في تركيبة الأربع والعشرين خطوة فقط كي تزيد النسبة من 50٪ إلى 65٪ لأن أي نسبة تقل عن الـ 60٪ فلن يقبلها المشرف على الدكتوراه، وبعد ذلك على مدى أشهر، لا زلت أجري الخطوة الثامنة، وبعدها على مدى سنوات، لا يزال المشرف على الدكتوراه يسألني، هل حصلنا على الجزيء؟ وأنا أجيب: لا، لم يزل طليقاً غير محدد.

وبمرور الوقت يتبخَّر هذا الافتتان.

أنا لا أحب التحدث كثيراً إلى صديقتي المقربة عن عملي.

والسبب أنني أجدها في بعض الأحيان تسأل: حسناً، عندما كنت في معمل الطبيعة، أتذكَّر أن الأمور كانت تسير على ما يرام، ألا تأتي لعبة الليغو مصحوبة بكتيّب الإرشادات؟

وهنا، أفقد صوابي قليلاً.

فأعلّق على كلامها: بمجرد انتهائي من كتابته سوف يمنحونني شهادة الدكتوراه.

وأستكمل كلامي: بالنسبة إلى معمل الطبيعة فقد كان صفّاً في دراستك، وكان لديك شريك في المعمل، وبالنسبة إلى التجارب التي يُطلَب منك تأديتها، فمن المفترض أن تتم بشكل صحيح، ولم يكن عليك محاولة اكتشاف أي شيء جديد.

وتقول هي: حسناً... حسناً.

وبشكل مفاجئ وجدتها تسألني عما إذا كنت أكتب أي شيء آخر.

ـ مثل ماذا؟

ـ لا أدري، ألم تعتادي كتابة بعض الخواطر؟

ـ لكن هذا كان منذ زمن بعيد.

أثناء دراستي في الكلية، حضرت بعض صفوف الكتابة الأدبية لمدة فصل دراسي واحد، وفكَّرت أنه لو كانت الدراسة غير عملية إلى حد كبير، لكنت قد لجأت إلى الكتابة.

في العالم المثالي، يسقط المال من السماء ويستقر في يدي عن كل كلمة أكتبها، بتسعيرة ثابتة دولار واحد، وعشرين دولاراً للمصطلحات المتميزة.

• • •

أنا الطفلة الوحيدة لوالديّ، وإريك كذلك، صحيح أنه ليس بالأمر الجلل، إلا أنه يبث الخوف في نفسي بشأن مستقبلنا.

تخيل اثنين يتزوجان وكلاهما وحيد والديه، ويمكثان معاً، ثم يمرض والدانا. تخيَّل سفر كلينا فقط بالطائرة لرؤية والدينا، وقد يكون الأربعة مرضى في الوقت ذاته، وذلك وفقاً لما يجيزه قانون مورفي، وتخيَّل لو كان لنا أطفال، كم عدد الأشخاص الذين سيتعيَّن علينا رؤيتهم والعناية بهم، وحينها من سوف يتولَّى العناية بالكلب ونزهته اليومية؟

وإذا مات الكلب جراء الإهمال، فلن أسامح نفسي أبداً.

أما بالنسبة إلى إريك فمشاعره مختلطة إزاء كونه الابن الوحيد.

إن السبب في هذا هو حب عائلته الشديد له؛ كانت أمه ـ بدايةً من روضة الأطفال وحتى الصف السادس ـ تضع له ملاحظات مكتوبة بخط يدها في علبة غذائه، تكتب له فيها أشياء من قبيل أنت شمسي ونجومي.

وأقول له، هذا جميل. إلى أن فكرت أكثر في هذه العبارة، حيث لا يمكن أن يكون الإنسان شيئين في الوقت ذاته: فأنت لست ضوءاً لتمتلك الموجة والجسيم، ولست قطة شرودنغر لتكون ميتاً وحياً.

وتكتب أمه في باقي ملحوظتها الصغيرة: اقلب الورقة وسوف تجد ملصق الرجل العنكبوت، يمكنك وضعه على يدك أو على علبة غذائك، التي تكون مغطاة بالفعل بالملصقات.

في الصف السادس، أخيراً كتب إريك ردّاً لوالدته يقول فيه:

رجاء توقَّفي عن كتابة هذه الملاحظات وإرسال الملصقات، حيث تتسبَّبين في إحراجي أمام الجميع.

قابلت عائلته كلها أثناء مناقشة أطروحته؛ الأب والأم والخالات والأخوال والعمات والأعمام وأجداده من كلتا العائلتين، وقد جلسوا جميعاً في الصف الخلفي ووقفوا بعد انتهائه، ورغم عدم فهمهم لأي شيء فقد هلَّلوا بابتهاج.

أثناء وجبة العشاء للاحتفال به، بدأ الجميع واحداً تلو الآخر في طرح الأسئلة عليه:

ما شعورك وأنت الشخص الأكثر نجاحاً في العائلة؟

ما شعورك وأنت الشخص الأكثر ذكاءً في العائلة؟

هل هذا مزاح؟ لا، بل هم يتكلَّمون بصدق، وقد توقَّفت عن الأكل بعد كلمة الأكثر عبقرية.

إن عائلته لا تعيش كلها في ميريلاند الغربية الأشبه باللوحة، بل تعيش بالقرب منها، وفي أحد الأسابيع كان هناك حفل شواء عائلي آخر، وشككت حينها أن هذا كان السبب الحقيقي وراء مغادرته لمدينته، فقد قال إريك: كل هذا الاهتمام قد يكون خانقاً، لكن ما الأحاسيس التي عايشها عندما جاء إلى المدينة لأول مرة للحصول على شهادة الدكتوراه؟ هل كانت أحاسيس العزلة؟ الصدمة؟ فهو يقول بقوة: لا، إنه سعيد بصورة لا تُصدَّق.

أجد صعوبة في تصديق مثل هذه القصة، ولعلَّ هذا كان سبب

سؤالي له: ما أسوأ شيء قاله لك والداك؟ ما أسوأ شيء رأيتهما يفعلانه على الإطلاق؟

باغته سؤالي وفكَّر لوقت طويل، وبعدما لم يجد ما يقوله، قلت له: لا بد أنه كان هناك لحظة أدركت فيها وضاعة الأهل، وكانت النظرة التي أطلَّت من عينيه تقول إننا لسنا في منافسة، وإن نشأتنا ليست مساراً للمناقشة؛ لذا أطبقت فمي وصمتُّ.

• • •

كيف تتنبَّأ بأمور مثل الفزع والتصرُّف المُجازِف، أو نكران الجميل؟ وضعنا خريطة لعلم الجينات الوراثية البشرية كلها، لكن مع عدم معرفتنا بمعظم ما ينطوي عليه، ثم هناك المشكلات الأخرى؛ أمراض القلب والسرطان وضعف النظر.

عند مشاهدتي لفيلم جاتاكا، أفكّر في مدى كمال هذا المجتمع؛ ففكرة أن تبني فكر ابنك لهي شيء رائع.

ينفكُّ الحمض النووي لتحقيق عمليات تكاثر وانقسامات، لجعل أشياء مثل البويضة والحيوان المنوي، اللذين يلتقيان معاً تعمل على إنشاء مخلوقات مثل الأطفال.

أجد هذا الفكَّ مثيراً بما يشبه فك الأزرار في فستان المرأة.

• • •

في ولاية أريزونا، قُتِل المشرف على الدكتوراه، وألقت السلطات اللوم على طالب الدراسات العليا الذي أطلق عليه الرصاص، لكن طلاب الدراسات العليا في العالم أجمع ألقوا

اللوم على المشرف، فلا يمكن لطلاب الدراسات العليا التخرج دون الحصول على موافقة المشرف، وهذا المشرف قد أبقى على الطالب في المعمل سبعة عشر عاماً، فقد رأى أنه أضعف من أن يتخرج، أو أنه ببساطة فقد عقله. أعتقد أن هذا الطالب قد اشتهر لتحمُّله سبعة عشر عاماً، فقد كنت أنا لأطلق النار على أحدهم في السنة العاشرة.

لكن المشرف على الدكتوراه الخاصة بي كان أكثر عقلانية، ولذا لم يزل على قيد الحياة. بابه دائماً مفتوح، ويمر على مكتبي كثيراً، ويسألني عن النتائج، وإن لم تكن هناك أي نتائج يسألني إذا كنت مريضة؟

فأقول: أنا على ما يرام.

فيقول: شريكتك في المعمل تعمل بانتظام، وتأتي في عطلات نهاية الأسبوع وفي الإجازات. هل كنتِ تفعلين الأمر نفسه؟

فأقول: ليس بالفعل، ليس في إجازة عيد الميلاد أو إجازة عيد الشكر، ولا في الوقت الذي أكون فيه طريحة الفراش بسبب الإنفلونزا.

لم يُظهِر المشرف على الدكتوراه استياءه مني أبداً، لكنَّه أيضاً لا يبتسم.

إذا لم تجد الكيمياء القديمة نفعاً، فسوف أنتقل إلى تحلية كل مياه المحيطات وتوفير المياه العذبة للناس.

• • •

في الثقافة الصينية التقليدية، تتزوَّج الفتاة بفستان عرسٍ أحمر، يُطلق عليه اسم تشيباو. يضفي هذا الثوب نحافة شديدة على العروس، ويتميَّز بأكمامه القصيرة وياقته العالية، ووجود زر في منتصف الياقة في المنطقة بين الترقوتين.

في الصيف الماضي، مررت بجوار متجر لبيع فساتين تشيباو مكتوب عليه تعديل المقاسات مجاناً. كنت في الحي الصيني لشراء كعكة عيد ميلاد إريك، ولا يمكن شراء الكعكة الإسفنجية سوى من هذا المكان. لم ألحظ وجود متجر لفساتين تشيباو من قبل، هل أدخل إلى المتجر؟ تردَّدت قليلاً لكن الخيَّاطة عند الباب كانت شديدة الإقناع وهي تقول: هناك خصم على جميع فساتين تشيباو، جميع فساتين تشيباو بأقل من خمسين دولاراً وخاماتها من الحرير ومصنوعة يدويّاً، فقط جربيها، إنها خمس دقائق فقط. لم أصدّق أي شيء مما قالته، لكنها أضافت أنني أبدو نحيفة للغاية من بعيد.

وأوضحت المرأة أن فستان تشيباو لا يناسب أي فتاة سمينة، وقالت: إذا كنتِ سمينة فالأفضل أن ترتدي موديل إيه لاين (A-line) بقصَّته الواسعة من أسفل الخصر.

لكن بعد ارتدائي الفستان، أدركت أن مقاسه لا يناسبني، فأكتافي لا تتناسب معه.

قالت الخياطة: كتفاك عريضتان وأفقيتان أكثر من اللازم، واستمرت في محاولة دفعهما إلى الأسفل بكلتا يديها.

علمت من هذه السيدة أن فستان تشيباو لا يرجع كليةً إلى

الثقافة الصينية أو شعب الهان الصيني الذي يمثّل الأغلبية العرقية في الصين التي أنتمي إليها، بل يرجع الفستان إلى أهل منشوريا في الشمال، المعروفين بمهارتهم في الرماية أثناء امتطائهم الخيول عبر السهول الشمالية العظمى.

وعلمت من هذه السيدة أن فستان تشيباو ليس حتى فستاناً للزفاف، بل هو ببساطة فستان تقليدي، يمكن ارتداؤه في أي مناسبة.

ومع هذا لا أذكر ارتداء أمي أو جدَّتي لهذا الفستان، وبسرعة أدركت أمراً ما، فمع جمال فستان تشيباو فإن من الصعب السير أثناء ارتدائه، حيث تكون الرجلان مقيدتين معاً، والقماش مقيِّداً للحركة، وفتحته تصل إلى منتصف الفخذ.

في نهاية المطاف اشتريت الفستان على أي حال، ونظراً إلى أنني لا أستطيع أن أرى نفسي مرتدية ملابس حمراً، لذا اخترت لوناً عنابيّاً قاتماً، فلا يسألني أحد عن عدد المرات التي ارتديته فيها.

• • •

قالت أمي وهي تضع ذراعها الشاحبة أمام ذراعي: أترين كيف لا يتناسب الأحمر مع لون بشرتك، وهي كثيراً ما كانت تفعل ذلك خاصة عندما كنت في سن المراهقة.

وأكملت قائلةً: ورثت عن والدك لون بشرته الداكنة، التي كانت لتتناسب مع حياتك إذا كنتِ تعيشين في الريف وسط الأرض الزراعية.

نشأت والدتي في شانغهاي، في بناية سكنية تتميَّز بوجود شرفات تطل على رصيف الميناء. في منتصف السبعينيات كانت والدتي في الثالثة عشرة من عمرها، وكانت تشاهد من هذه الشرفة قوارب الشحن بأشرعتها الكبيرة المبطَّنة تأتي عبر نهر هوانغبو، ولن تكون أطراف حي بودونغ هي ذاتها بعد مرور عشرين عاماً، ولم يُبنَ برج اللؤلؤ الشرقي حتى عام 1994. على الطريق، هناك القليل من السيارات والحافلات، ولكن توجد مئات الدراجات، ولأن أمي كانت الابنة الثانية الصغرى، فلم تكن تحب الذهاب إلى المدرسة أو التعلم، لكنها تفعل كل ما يتحداها أخوها في فعله، مثل تسلُّق هذا الجدار وهي مرتدية أجمل فساتينها، ومثل رصّ كل أوعية العشاء على شكل هرم، وتتسلَّق أمي الجدار وتفسد فستانها، وترص الأوعية وتحطّمها عن آخرها، لكنها نادراً ما تُعاقب، فهي الفتاة الجميلة ذات العيون الواسعة، وهذا ما يقوله لها الجميع.

ونشأ والدي غرب شانغهاي بمئات الأميال، حيث لا يوجد هناك بناء أطول من طابق، ولا توجد دراجات، بل هي بلدة زراعية، وكان أبي الأكبر بين سبعة إخوة، وكان أبوه مزارعاً وكذلك جدّه، حيث كانوا يزرعون القمح والسرغوم والذرة ويبيعونها في المدينة، لكن كان الغذاء قليلاً في المنزل، وهناك توزيع صارم للطعام؛ فمن غير المسموح لأي طفل أن يأخذ مرة ثانية من أي شيء، من غير المسموح للطفل أن يمتلك أكثر من طقمي ملابس في وقت واحد. كان منزلهم صغيراً، بل صغيراً أكثر من اللازم، فكان أبي يتشارك الفراش مع باقي إخوته الستة. كانت

الأشياء مثل النوافذ الزجاجية والأبواب الخشبية غالية الثمن، لذا لا يوجد في البيت أي منها؛ فالباب عبارة عن فتحة مغطاة بقماش خفيف، والنافذة عبارة عن فتحة أخرى، لكن دون غطاء، وكان أبي يدرس في أوقات الفجر والغسق، عندما لم يتوجَّب عليه البقاء في الحقل.

كيف التقيا؟ كيف وقعا في الحب؟ كلها أسئلة وجيهة، وفي كل مرة تتغيَّر القصة: تقابلا من خلال أصدقاء مشتركين... تقابلا بمحض المصادفة... في محطة قطار... في محطة الحافلات... لا، بل فوق الجسر، لكن لا يتذكر أي منهما التاريخ المحدد لهذا اللقاء.

ثم تزوجا وأنجباني.

يمثل أبي القصة الكلاسيكية للمهاجر.

فهو أول فرد في عائلته يلتحق بالمدرسة الثانوية والجامعة ويتخرج فيها ويذهب إلى أمريكا، وهو أول من أصبح مهندساً في تلك العائلة.

يعلّق بعض الناس عندما يتحدث أبي الآن عن كيفية قدومه إلى هنا بقولهم: هذا مذهل.

يقول أبي: من خلال العمل الجاد وتعلُّم الرياضيات المتقدمة.

ويعلق آخرون: هذا مدهش.

لكن مثل هذا التقدُّم الذي أحرزه أبي على مدى جيل واحد قد فاق ذاته، وأشعر كما لو أنني مضطرة إلى مغادرة أمريكا واستعمار القمر.

• • •

مع وضع علم الوراثة جانباً، لا أكاد أرى نفسي أحظى بالأطفال.

يسأل إريك: ولا حتى بطفل واحد؟

أجيبه: إذا رُزِقت طفلاً واحداً، فسوف أريد الثاني، وإذا رُزِقتُ الثاني، فسوف أريد ألا يكون لديَّ أطفال.

• • •

يبقى الجسم المتحرك متحركاً، ويبقى الجسم الثابت ثابتاً.

سألتني صديقتي المقربة: أين إريك؟

أجبتها: هو في تحرُّك دائم اليوم، فقد وضع قائمة بالأماكن التي سوف يتقدَّم إليها لطلب العمل.

وقد ألقيت نظرة على المسوَّدة الأولى لمقال تقديم طلب الالتحاق، وعند الجملة الأولى التي يصف فيها حبه للتدريس، ودون اكتراث مني شطبت كلمة حبه بالقلم الرصاص.

بعد ذلك لم أستطع أن أوضح له السبب في قيامي بهذا الأمر.

قالت صديقتي: الإعصار الذي تحدثوا عن مجيئه لم يحدث، وقد انتاب صديقتي الإحباط خاصةً بعد تثبيت الألواح الخشبية على النوافذ للحماية من الإعصار، وقالت: إذا كان معدل أخطاء الأطباء يماثل معدل أخطاء خبراء الأرصاد الجوية، لتمَّ طردنا جميعاً من أعمالنا، تخيَّلي إذا أخبرتك أن احتمال إصابتك بمرض السكري يبلغ 90٪ ثم لم تمرضي به أبداً، أما كنتِ لتغضبي؟

أجبتها: على الأرجح أنني سأُسَر بهذا الخبر، ثم ذكَّرتها بأن المطر ومرض السكري في الحقيقة أمران مختلفان.

وبدلاً من الإعصار، قَدِمَ فصل الخريف مبكراً. في يومه الأول البارد، سرت في الخارج واندهشت من رؤية أنفاسي وسط هذا البرد.

• • •

هناك مثل صيني يتنبَّأ بأن لكل رجل عظيم المهارة، توجد امرأة فائقة الجمال.

في الصين القديمة، هناك أربعة أنواع من الجمال الفائق:

الأول: فائق الجمال لدرجة أن الأسماك عند رؤية انعكاس صورتها في الماء تنسى كيفية السباحة وتغرق.

الثاني: فائق الجمال لدرجة أن الطيور تنسى كيفية الطيران وتسقط.

الثالث: فائق الجمال لدرجة أن القمر يرفض أن يسطع.

الرابع: فائق الجمال لدرجة أن الورود ترفض أن تُزهر.

أجد أن الأمر مثير للاهتمام، فمتى ظهر الجمال، شعر كل ما حوله بقوة هذا الجمال.

قيل هذا المثل مراراً وتكراراً في يوم زفاف والديَّ.

تلقت أمي في العشرينيات من عمرها الكثير من المديح، فكان الناس يستوقفونها في الشارع ويقولون، إنها تذكّرهم بممثلة سينمائية، وكانت الممثلة هي أودري هيبورن في فيلم عطلة رومانية.

كانت تحب هذا الفيلم، وكان المشهد الذي تضع فيه البطلة يدها داخل فم التمثال يشبه شيئاً قد يتحداها أخوها لعمله.

يشعر معظم الناس بأن الوجه ليس هو موطن الجمال، بل موطن الجمال الحقيقي هو القلب أو الروح أو العقل؛ إنه أي مكان لا يمكن للعين البشرية النفاذ إليه، فهناك يختبئ الجمال الحقيقي.

يقول الكثيرون إنني لا أشبه أمي على الإطلاق، وأشبه أبي كثيراً.

إريك لم يقل هذا، لأنه يعلم أن هذا يضايقني، فيقول إن كلاً من ثلاثتنا يختلف كثيراً عن الآخَرَين باستثناء لون الشعر.

فأقول له: الأسود هو غياب الألوان.

أسعد كثيراً بحاجبيَّ، فإنَّ تقوُّسهما سليم تماماً دون الحاجة إلى نمصِهما، كما أن أمي لم تُشِر إليهما على الإطلاق أو تطالب بتغييرهما.

ما تفقده أمي نتيجة لضعف البصر، تعوّضه بالإدراك المتأخر.

تقول أمي: ليت أنفَكِ كان عالياً قليلاً، ليت جبهتَك كانت أكثر اتساعاً، ليت فمك كان مرتفعاً إلى أعلى وأقل عبوساً.

وتقول: يا ليتنا كنا نستطيع إيجاد الجينات الوراثية للجمال ووضعها في زجاجة.

لا يمكنني عمل شيء بشأن مشكلة فمي المتدلّي بشكل طبيعي، لكن يمكنني المجاهدة، فأنا أكرّس 10٪ من طاقتي للمحافظة على فمي في خط مستقيم.

قال أحد الأطباء: قد يكون الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين، لكنه بكل تأكيد الأكثر إثارة للاهتمام.

• • •

في مشتل أرنولد في فصل الخريف، أرى الكثيرين ينظرون إلى الأشجار.

أرى الكلب يسيء التصرُّف، ويحاول قضم طوقه حتى يركض إلى جوار مجموعة العدَّائين ويشعر بنسيم الهواء.

جذَب إريك طوق الكلب وأصدر صوت قوقأة دجاجة بلسانه مثلما رآه في البرنامج التلفزيوني دوج ويسبرر (الهامس للكلاب)، وقلت له: لكنَّ ما تقوم به ليس همساً، بل هو صوت قوقأة عالٍ جدّاً.

أرى عدم حدوث تغيير في سلوك الكلب.

يتعمَّق إريك في التحدُّث بشأن كلينا وهو على هذا الحال منذ مدة.

لذا سألني: ما الذي يخيفك؟

ـ الكثير من الأشياء، أسوأ ما ينتابني من أحلام هو سقوطي، حيث أعود بالكرسي إلى الوراء وفجأة أجد نفسي أسير بالعكس باتجاه أرضٍ غير موجودة، ويكون السقوط كما لو أن شخصاً قد أخذ قلبي واعتصره.

أنا لا أحب الأفعوانية.. وكذلك العناكب.

منذ بضعة أشهر، فقس كيس بيض في سقف غرفة نومنا، وحين نظرت إلى أعلى رأيت حركة على السقف لنقاط صغيرة شبه شفافة لها ثماني أرجل، ثم انتشرت تلك النقاط، وبقينا مستيقظين لساعات محاولين قتلها باستخدام ورق الحمَّام، كان إريك يقف على أطراف أصابعه، وأقف أنا على الكرسي. قتلنا المئات من العناكب الصغيرة، ورششنا كل الأسطح بطارد الحشرات ثم نمنا على الأريكة.

سألني إريك ثانيةً: إني أتحدث بجدية، ما الذي يخيفك؟

قطفت ورقة شجر حمراء ووضعتها في شعره. إريك طويل القامة؛ يبلغ طوله ست أقدام وواحداً من عشر، وممشوق القوام. عندما يتأكسد الحديد يكوِّن صدأً، لكن إريك لا يحب أن أقول إن شعره بلون الصدأ أو حتى أحمر، ويفضل أن أقول إنه كستنائي، وفي أول مرة سمعت كلمة كستنائي (auburn) كنت قد سمعتها على نحو خاطئ وظننته يقول كلمة خريف (autumn).

قلت له: ماذا يخيفني بشدة؟ هل يتعيَّن عليَّ الاعتراف؟ فأنتَ من بين كل الناس ينبغي أن تعرف ذلك بالفعل، فقد أخبرتك كل شيء عن مخاوفي.

وجادل بأننا لسنا هما، وأنهما كذلك ليسا نحن، وأن زيجتهما مجرد واحدة من بين كثير من الزيجات.

قلت له: لكن من الناحية الوراثية فمن المحتمل جدّاً أن أكون مشابهة لهما، وهذا يمثّل خوفاً كبيراً.

مر عدَّاء بجوارنا، وعندها وقعت ورقة الشجر من شعر إريك، وأكلها الكلب.

قال إريك: كنت أظن أن هذا مضحك.

ما المضحك؟

تحدُّثنا معاً لتغيير الآراء لكن دون جدوى.

لم يكن من المفترض أبداً أن يكون هذا مضحكاً.

أنتِ على حق.

• • •

هناك أستاذ في نفس قسمي بالجامعة لم يعد مسموحاً له بالإشراف على طلاب الدراسات العليا؛ فقد انتحر الكثيرون ممن كانوا تحت إشرافه. كانت تكليفاته في العمل كبيرة بشكل غير معتاد، وعادةً ما يسأل الطلاب إذا كانوا منشغلين وينتظرهم ليجيبوا بكلمة نعم في حذر، ثم يطالبهم بوصف الأمور التي تشغلهم بالتفصيل لمدة أربع عشرة ساعة يوميّاً.

ويبدأ الطلاب في السرد، وكذلك أيضاً في التعرُّق.

لا يؤخذ في الاعتبار مُدد الذهاب إلى الحمَّام وتناول الطعام. إذا لم يتمكَّن الطالب من تجميع مهام على مدى الأربع عشرة ساعة، حينها يعتبر الأستاذ أن الطالب ليس مشغولاً ويكلفه بالمزيد من العمل.

كان لطالبه الأخير زميلان يشاركانه السكن، ولحرصه

عليهما فقد كتب على الفراش الذي مات عليه، احذروا: سيانيد البوتاسيوم. رجاءً لا تحاولوا إنقاذي.

كان هذا منذ سنوات بعيدة، وقبل التحاقي بالقسم.

كيف يمكن أن يستمر حدوث أمر كهذا؟

لديَّ تخمين، وهو الانغماس أكثر من اللازم في العمل، وهكذا تبدأ في أخذ الأمور التي تحدث في المختبر على محمل شخصي.

تسعون في المائة من التجارب تبوء بالفشل، وهذه حقيقة أثبتها جميع العلماء، لكنك في النهاية تبدأ في التساؤل عما إذا كان هذا المعدل العالي من الفشل هو فشلك أنت، وتعتقد أنه لا يمكن أن يكون هذا هو خطأ المواد الكيميائية، فهي لا تمتلك أرواحاً.

أحد معاني تولّي المناصب أنه إذا قَدَّم المعمل ككل فذلك عمل جيد، على النحو الذي قدَّمه هذا الأستاذ وحصل بسببه على جائزة نوبل، حينها يتمُّ التغاضي عن أشياء معينة، لكن بعد حادثة الطالب الذي تناول سيانيد البوتاسيوم، أجرت الكلية بعض التغييرات، فقد أضافت رقم اتصال ساخناً لمن يحتاجون بصورة يائسة إلى شخص للتحدث إليه.

وتقول رسائل البريد الإلكتروني التي تُرسل إلى الجميع: فقط اتصل بنا وسوف نستمع إليك.

يقول زملائي المقهورون: لكن الخط يكون دائماً مشغولاً.

حقّاً؟

اتصلت فقط للتجربة، لكن كل ما استمعت إليه هو نغمة الخط المشغول.

• • •

أمي صاحبة نظرية في مسألة الشَّعر، فرأيها أنه كلما طال الشعر، ازداد غباء الشخص، وتحذّر قائلة إن زيادة الشعر سوف تمتصُّ العناصر المغذّية من الرأس وتتركه فارغاً.

وبهذا تحافظ أمي على قِصر شعرها كالصِّبية.

وبهذا أداوم أنا على تشذيب أطراف شعري المتقصّفة كالعفريت.

بعد مرور يوم آخر من المشاريع غير العملية، غادرت المعمل وذهبت إلى صالون التجميل، وطلبت من الحلاق أن يقصَّ ست بوصات على الفور.

هناك مشهد في فيلم عطلة رومانية، يقول فيه الحلاق «قصّ... قصّ»، ويقص شعر الأميرة الطويل. وبعدها يقول: «والآن أصبح رائعاً، أليس كذلك؟».

شعرت بالقلق فربما لن تكون البوصات الست كافية، لذا طلبت من الرجل قص بوصتين إضافيتين.

وعدت بعدها إلى المعمل وحاولت من جديد، وقلت لنفسي: فكّري في شيء بسيط يمكن عمله، فكّري في شيء لن يبهر أي شخص، لكنه سيتيح لي التخرُّج وإيجاد وظيفة.

حدَّقت في أضواء السقف لكنها شديدة السطوع، لذا حدَّقت في الأرضية لكنها شديدة الاتساخ، بدأت بأخذ ورقة وطيّها حتى لم يعد في استطاعتي طيّ الورقة أكثر من هذا، حينها بدأت في طيّ ورقة جديدة.

رحت أتذكر.. «عليكِ أن تحبي الكيمياء دون قيد أو شرط».

لكن كل ما يمكنني التفكير فيه هو عدم قدرتي على تنفيذ هذه المهمة.

هناك نظرية أخرى عن الشَّعر، هذه المرة ليست أمي صاحبتها، بل هي نظرية أعز صديقاتي؛ المرأة التي تقصُّ شعرها قصّاً شديداً تكون على استعداد لاتخاذ بعض القرارات.

يا تُرى... هل البوصات الثماني تعتبر قصّاً شديداً؟

وأخيراً خلعت معطف المعمل، ووضعته بعناية في الدرج، ثم حطَّمت خمسة أكواب على الأرض.

وصحت قائلةً: الأكواب رخيصة الثمن، وكان المعمل كله قد تجمَّع لمشاهدة ما يحدث.

وصِحتُ قائلةً: إذا كنت حقّاً قد أردت إبراز اعتراضي الصريح، لفتحت صندوق الأرغون وعرَّضته للهواء.

• • •

هناك فرضية سائدة عن سبب الاندفاع الجماعي للحيتان إلى اليابسة؛ عندما يَعْلَق الحوت الأول على الشاطئ، يرسل نداء استغاثة وبعدها تندفع باقي الحيتان في تضامن.

كذلك في العلم هناك تضامن بشكل ما، لكن ليس عندما تتصرَّف زميلة لك في المعمل بصورة مختلَّة.

حينها يكون من الأفضل ألا تلمسها أو تحدثها، بل الأفضل أن تتصل بمسؤول الأمن وتراه وهو يهرول في الردهة ممسكاً بمطفأة الحريق والبطانية.

الصوت لا ينتقل في الفضاء.

يتطلَّب الصوت وسطاً يحتوي على جزيئات ضئيلة تهتز.

لو كنت قد صحت من أعلى قمة الجبل، حيث يقلُّ وجود الهواء، لقلَّ عدد من سمعوني.

لم أعتقد وقتها أنني كنت أصيح.

بل كنت أهمس في نفسي.

• • •

في المنزل أقوم بالمهام الاعتيادية مثل غسل الملابس والأطباق، وأندهش من مدى فاعليتها؛ أضيف الصابون على الإسفنجة، فتمتلئ الإسفنجة بالفقاعات، وأمسح الطبق بالإسفنجة، فتنظّفه، أظن أن الإسفنجة أفضل من المادة المحفّزة.

لا حاجة لي إلى أن أخبر إريك بما جرى عند عودته إلى المنزل، فهو جهة الاتصال المُسجَّلة في الحالات الطارئة، وقد اتصلت به سكرتيرة المعمل بالفعل.

وهو لطيف بدرجة لن تجعله يطرح عليَّ أية أسئلة، ولا حتى أكثر الأسئلة بديهية، مثل: هل قصَّرتِ شعرك؟

وبدلاً من ذلك، أعدَّ إريك لي طحين الشوفان.

سألته: هل أنا طفلة؟

أجابني وهو يطعمني الشوفان بالملعقة: لا.

عندما تقابلنا لأول مرة في المعمل قال لي إن يديَّ ثابتتان على نحوٍ لم يرَه من قبل، فقد كان يشاهدني وأنا أعمل.

أضاف قائلاً: لم أكن أشاهدك على نحوٍ يبعث على الخوف، ثم نظر حوله في توتُّر، وغادر المكان.

وجدني وأنا أقرأ كتاباً ـ ليس مجلة علمية ـ كنت قد استعرته من المكتبة فأشار إليَّ بعلامة القبول والتشجيع. إريك يقرأ بانتظام؛ فقد درس واجتهد إلى أن بدأ في دراساته العليا وبعدها توقَّف عن القراءة، ويقول عن ذلك: أين يمكنني إيجاد الوقت؟

من الكتب التي يحبُّها: قلب الظلام والغريب والمحاكمة، بينما الكتب التي أحبُّها أنا فتختلف تماماً عما يحبه.

حينها سألَتْ صديقتي المقربة من فورها: هل هو وسيم؟

قلت لها: لا بأس به. ثم أرسلت إليها صورته في المعمل فقالت: يا إلهي! إنه وسيم، انظري إلى عينيه الزرقاوين بلون السماء، وقالت إن عينيه أخاذتان.

وبعد وقت قصير أصبحنا نعمل في مكانين متجاورين في «كمَّة الدخان»، وهذا هو اسم منطقة العمل في مجال الكيمياء، حيث تخرج الأبخرة السامة إلى الغلاف الجوي.

هل يمكنني استعارة القمع الفاصل؟ لوح التسخين؟ الحمام الزيتي؟ هل يمكنني استعارة المُقَلِّب المغناطيسي الصغير، أو المُقَلِّب المغناطيسي الكبير، أو مشبك الأوراق، أو...؟

عندما لم يعد هناك ما يستعيره مني، طلب مني الخروج معه لتناول العشاء.

• • •

في عام 1986، انتقل والدي إلى شانغهاي، كانت هناك آلاف الدراجات والآلاف من أجراس الدراجات، وكانت الضوضاء هائلة على نحوٍ لا يُصدَّق. وبعد مرور عام واحد، التقى والدتي، وبعد مرور عامين وُلِدتُ أنا. سئمَت أمي من تغيير الحفاضات القماشية وغسلها، فعلَّمتني كيفية استخدام الحمام في سن تسعة أشهر. يُعلِّق الجميع على هذا الأمر ويقولون: هذا مستحيل، كيف تمكَّنت من الذهاب إلى الحمام؟ تقول أمي إنني كنت أرفع يديَّ وبعدها تحملني أمي.

لكنَّ والدي لم يكن لديه أي وقت لنا، فكان يحلم بالسفر إلى الخارج، والالتحاق ببرنامج الحصول على الدكتوراه في الهندسة، وكتب إلى كل جامعة أمريكية وجدها، وكتب إلى كل أساتذة الجامعة في هذا المجال، كتب على مدار ثلاث سنوات.

كانت لغته الإنجليزية سيئة للغاية، فكان يكتب الكلمات بتهجئة خاطئة، وما لا يستطيع التعبير عنه بالكلمات، كان يلجأ إلى المعادلات ليفسّره بها.

وأخيراً، كتب إليه أحد الأساتذة قائلاً: تعالَ وادرس تحت إشرافي.

كنت في الخامسة من عمري عندما غادرنا الصين وانتقلنا إلى أمريكا.

في بادئ الأمر، كانت أمي تدفع نظير كل شيء، ولم تحب مدينة ديترويت، فهي مدينة المحركات؛ المدينة القذرة المنهكة. كانت أمي تبعد ربع ميل عن أقرب متجر للبقالة ويتعيَّن عليها قيادة السيارة، وتجد أن هذا الأمر لا يمكن تحمُّله، إضافة إلى أنها لا تعرف كيفية القيادة. وتعلَّمت والدتي القيادة، لكن شتان بين هذا المكان وبين شانغهاي، حيث لا يوجد وجه للمقارنة. في الصين كانت أمي تجني أموالاً أكثر مما يجنيه أبي، وكانت وقتها مساعِدة في الأبحاث. أمي صيدلانية، ووالدتها مهندسة معمارية، ووالدها فيزيائي، وقد أنفقت مدخراتها وميراثها من عائلتها لدفع مصاريف تعليم أبي وتذاكر الطيران وخمس سنوات من الطعام والإيجار.

وهذا ما تشير إليه والدتي عندما تقول لأبي: لولاي لما كنت قد حقَّقت ما وصلت إليه، انظر إلى كل ما ضحَّيت به لأجلك؛ فقد تخلَّيت عن القرب من أصدقائي وعائلتي، وتخلَّيت عن مهنتي، لأجل من؟

لذلك فقد أنهى والدي شهادة الدكتوراه في وقت قياسي، أنهاها في ثلاث سنوات، وعمل بعدها في وظيفة براتب جيد.

قال له المشرف على الدكتوراه: إنك تعمل بمعدَّل الدوام الكامل لاثني عشر طالباً من طلاب الدراسات العليا، يا ليتني كنت أعلِّم اثني عشر طالباً مثلك.

لكن لهذا السبب لم أكن أرى والدي كثيراً، بعكس والدتي التي كنت أراها دائماً، فعادةً ما تجلس في غرفة نومها، تلفُّ سلك الهاتف حول يدها، وتتصل بالصين.

أمي تقول لي: الصين تسبقنا باثنتي عشرة ساعة، فهي دائماً في المستقبل.

وعندما يعود أبي إلى المنزل، كانا يتشاجران في المطبخ.

وكلما تحدثت أمي عن الماضي كان يقول لها: كفى. ويقول ـ قبل أن يقلب الطاولة ـ إنه هو الآخر يشعر بعدم التقدير لقاء كل ما يفعله.

ويُذكّرها قائلاً: لقد أنجزت عملي، أليس كذلك؟ وحصلت على وظيفة، ما الذي يعطيكِ الحق في الحكم عليَّ في حين لم تستطيعي أنتِ القيام به، بل وفي الوقت الذي ليس لديكِ فيه وظيفة؟

وتنقلب الطاولة... ويُسمع صوت ارتطام... ثم يعمُّ السكون أرجاء المكان.

لكي تصبح أمي صيدلانية في أمريكا، كان عليها العودة مجدداً إلى الجامعة واجتياز كل الاختبارات.

كان صعباً عليها النجاح في هذه الامتحانات، ومن بين الأسباب؛ أن كل شيء كان مكتوباً باللغة الإنجليزية.

من الأسهل ألا تفعل المرأة في مثل هذا الموقف أي شيء فيما يتعلَّق بالطاولة، بل تقف وتمسح رجليها من بواقي الطعام،

ثم تتصرَّف كما لو كانت على وشك مغادرة الغرفة، كما فعلت والدتي، لكن قبل مغادرتها الغرفة استدارت فجأة وقالت شيئاً أخيراً: كلما كنت غير مبالية كان هذا أفضل.

قالت أمي: حطِّم كل ما في المنزل، وسترى أنني لا أبالي.

• • •

في المنزل أقوم بالمزيد من المهام الاعتيادية مثل التحدُّث إلى الكلب، فأقول له: اركض. بطريقة تشبه أوامر الطبيب، ويركض الكلب ولا يطلب أي شيء في المقابل.

أسأله: لماذا لا تريد أي شيء؟ عليك أن ترغب في شيء ما.

قطعة من حلوى الكلاب أو كرة... أقدمها له، لكن كل ما يريده هو فقط أن يلامسني بأنفه.

ويتلامس أنفانا، أنفه الرطب مع أنفي الجاف، وأنسى للحظة صوت تهشُّم الأكواب الخمسة وهي تتحطَّم على الأرض.

أقوم بتمشية الكلب سبع مرات في اليوم، وقد وصل الأمر إلى أنه عند وصوله إلى الحديقة كان يذهب ليتمدَّد تحت ظل أي شجرة، ولا يأتي عندما أناديه. رأيت منشوراً دعائيّاً في الحديقة يقدم جلسات استشارية مجانية لحديثي الإنجاب، والمقصود هنا بالطبع الوالدين من البشر. ويوجد في المنشور اقتباس عن امرأة اسمها بيجي «طريقة تحدُّثك مع صغارك تتحوَّل إلى صوت عميق في داخلهم».

سألت أصحاب الكلاب الآخرين، من بيجي؟ وهل هي حاصلة على شهادة الدكتوراه لكي تؤكد مثل هذه المزاعم؟

وكانت هناك منشورات أخرى؛ شخص يبحث عن معلم في الرياضيات أو العلوم، ويقول المنشور «أجر ممتاز؛ ستجني الكثير من الأموال».

أخذت المنشور معي، فيمكنني الاستفادة من الأموال، في شراء ما أريده.. كالبيتزا مثلاً.

• • •

يعاني بعض الناس بصورة خارجية، فالكلب، على سبيل المثال، ينبح في ألم حينما نتركه وحيداً في المنزل، حتى ولو دقيقةً واحدةً، وتجعله معاناته يذهب إلى خزانة الملابس، حيث يختبئ ويستلقي حتى نعود...

كيف يكون شعوره هناك؟ في خزانة الملابس، ذهبت إلى هناك وطوَّقت ذراعيَّ حول ركبتيَّ، يشعرك الأمر كما لو أنك دون ملابس على الرغم من وجود كل تلك الملابس بجوارك.

على مدى عامي الأول في المعمل، قال أحد الدارسين الذين كان على وشك الحصول على الدكتوراه: أثناء سعيك للحصول على الدكتوراه، تصل إلى نقطة يتعيَّن عليك فيها الانتهاء من الدكتوراه مهما كانت الظروف، وإن لم تفعل، فسوف ينظر إليك الجميع على نحو مختلف.

وقد انتظرت حدوث هذا الأمر والانتهاء من رسالة الدكتوراه، لكن لا شيء يتغير، فسائق الحافلة الذي لم ينظر إليَّ قط عند صعودي إليها أو نزولي منها، أو عندما كنت ألوّح وأقول له: مرحباً. يظل كما هو.

تخيَّلت حفرة تنفتح من تحتي أو صدعاً متوسط الحجم على الأقل، لكن الأرض لم تزل كما هي.

عندما أنتهي مما أقوم به، أضع مرة أخرى كمية الغسيل التي غسلتها لتوّي ولا شيء يتغيَّر.

• • •

بعد مرور أسبوع، اتصلت بالرقم الموجود على المنشور.

قالت المرأة: ما رأيك في هذا كأجر مبدئي؟ إلا أنني لم أسمع الرقم نفسه.

هل كان الرقم ثلاثة من البيتزا في الساعة؟

قابلت أولئك الطلاب في المكتبة العامة، وقد خصصت ساعة واحدة لكل طالب كي أعلمهم ما حضروا لتعلُّمه أياً كان. في البداية، ملؤوا استمارة الطلب.

السنة الأولى كيمياء عامة.

السنة الثانية كيمياء عضوية.

الكهرباء... والمغناطيسية... والدوائر.

عادةً ما أنظر إلى الاستمارة وأقول: لا أظن أن بإمكاني شرح المطلوب في ساعة واحدة، لكن قد أتمكَّن إذا حضرتم مرة أخرى في الأسبوع التالي، والأسبوع الذي يليه، والأسبوع الذي يليه.

عادةً ما يكونون طلاباً في الجامعة، ومع ذلك يبدون بالنسبة إليَّ صغاراً جدّاً. في إحدى المرات قلت بصوت عالٍ: يا

للعجب! وذلك عندما وجدت إحدى الطالبات لم تسمع من قبل عن القرص المرن.

سألَتِ الطالبة: لكن ما المرن فيه؟ وأجبتها: عليك أن تشاهديه كي تعرفي.

بشكل عام، أطلب من الطلاب طرح ما يشاؤون من أسئلة، أشياء لطالما رغبوا في معرفتها.

ما مدى صعوبة تحقيق حجب الرؤية لشيء ما؟

هل هذا سؤال جديٌّ؟

نعم، جديٌّ.

شديد الصعوبة؛ فعليك أولاً أن تمتلك أعضاء شفافة؛ وثانياً، يجب أن يكون مؤشر انكسار الضوء لديك مطابقاً لنظيره في الهواء، بمعنى ألا يميّز الضوء وجودك ويمر من خلالك، كما هو الحال من خلال الهواء، فيمر مستقيماً وبشكل مباشر، فالزجاج على سبيل المثال، شفاف، لكن الضوء ينحني عند المرور من خلاله، وبذلك لا يعدُّ الزجاج محجوب الرؤية، ما لم تلحظ وجوده وتصطدم به عند خروجك.

بصرف النظر عما يطلب الطلاب تعلمه، أطلب من كل واحد منهم سرعة تدوين ما يلي باختصار، على أي حال من الأحوال. يتصف الضوء بخمس خصائص في مجمله، فهو ليس شيئاً واحداً، بل هو طيف.

وعندما أضيف أن الضوء، باعتباره متعدّد الجوانب، يعتبر أيضاً رائعاً جدّاً، يقومون وقتها بتدوين هذا كذلك.

انكسار الضوء هو سبب عدم حجبي عن الرؤية، وهو أيضاً السبب في ظهور ما في الماء مثل الأسماك على نحو أكثر بُعداً وأكبر حجماً مما نظن، وبمجرد إخراج السمكة من الماء، ينتاب الشخص إحباط هائل.

هناك كثير من الأمثال عن الأسماك:

ـ سمكة كبيرة تعيش في بركة صغيرة.

ـ سمكة صغيرة تعيش في بركة كبيرة.

إذا كنت تبحث عن الأسماك؛ فلا تتسلَّق الشجر.

إذا كنت تبحث عن الأسماك؛ فاذهب إلى بيتك واغزل شبكة.

هَممتَ بإلقاء الشبكة لتصطاده فاصطادك!

• • •

عند وصولنا إلى أمريكا، بدأت أمي تخبرني عن الصين؛ فهي تظن أنني سوف أنسى. كانت تحدثني عن الأنواع الأربعة العظيمة من الجِمال، والاختراعات الأربعة العظيمة، والروايات الأربع العظيمة.

سوف تسألني عن إمبراطور الصين الأول ومدة حكمه، أو تطلب سرد السلالة الحاكمة.

وأجيبها: تشين، وهان، وسوي، وتانغ، وسونغ، ويوان، ومينغ، وتشينغ.

يعلق إريك قائلاً: إن ذاكرتك بشكل ما مدهشة، لكن لماذا لا

تتذكرين قفل الخزانة أو إغلاق الأنوار؟ ولماذا في كثير من الأوقات تضعين الوعاء داخل الميكروويف وتنسين الضغط على زر التشغيل؟

إلى أن يطرح عليَّ السؤال الذي يسألني إياه من المطبخ: من الذي نسي أن يطعم الكلب؟ وأجيبه: الكلب!!

على مدار الشهور الأولى في علاقتنا، لم ينجز أيٌّ منا أي شيء في المعمل؛ فقد كنا نتغازل باستمرار. قالت لي صديقتي المقربة: ارتدي أفضل ما لديكِ، وضعي المساحيق التجميلية، لكنني تجاهلتها، فما الجدوى من ارتداء الأشياء الجميلة ووضع المساحيق حينما أكون مرتدية معطف المعمل ونظارات الوقاية طوال اليوم؟ ومع ذلك قمت ذات مرة بارتداء حذاء ذي كعبٍ عالٍ، استطعت حينها الوقوف في مكاني في كمَّة الدخان وإجراء التفاعلات، لكنَّني لم أتمكَّن من العودة إلى مقعدي والجلوس عليه، وأخيراً اتصلت به كي يأتي ويساعدني، وربما كان هذا مجرد عذر كي تتشابك أيدينا.

عندما يشيح ببصره، أترك له هدايا صغيرة على مكتبه، أقوم بهذا خلسة أو بما أظنه خلسة. أسأله عن أكلته المفضلة، إنه البوريتو الحار، وأسأله عن مشروبه المفضل، ويكون البربون، ثم أترك له هذه الأشياء. أفتح دفتر ملاحظاته الخاص بالمعمل وأرسم شيئاً ما في صفحة بعيدة، فهو يحب لعبة باك مان، لذا أرسم الكثير من أشكال باك مان، ويحب لعبة ماريو لكن لا يمكنني رسم ماريو بشكل جيد، فالشارب يكون صعباً، لذا أرسم المزيد من أشكال باك مان.

• • •

وبدأ إريك سريعاً في الوصول إلى تلك الصفحات، وجاء للعثور عليَّ وقد اعتلى وجهه تعبير صارم، لكنه مرح في الوقت ذاته. وقال إريك: تلك هي طريقة رسم ماريو، لكنه هو الآخر وجد صعوبة في رسم الشارب وحاول كثيراً.

• • •

لم تكن زميلتي في المعمل حاضرة عندما كسرت الأكواب، لكن لا بد أنها قد سمعت أو لاحظت مكتبي الفارغ، وبعد شهر اتصلت بي.

عندما لم أرد على الهاتف، تركت لي رسالة: ما رأيك في القفز الحر بالمظلات؟ لأنه إذا كان يستهويني فيمكنها اصطحابي لمعرفتها بمكان تذهب إليه بصورة شبه منتظمة.

وتقول أيضاً: لا شيء سوف ينسيك مشكلاتك كالقفز من الطائرة.

وتستمر الرسالة..

إذا لم يعجبك القفز الحر بالمظلات، فما رأيك في القفز بالمطاط؟

إذا لم يعجبك القفز بالمطاط، فما رأيك في الانزلاق على الحبل؟

هل تحبين موسيقى الميتال؟ وماذا عن الرقص على موسيقى الروك؟

وأخيراً، رفعت السماعة، وقلت لها: هذا لطف كبير منكِ، لكن لا أظن أن في وسعي القيام بأيٍّ من تلك الأمور.

سألتني: هل ستعودين؟

قلت: عليَّ الذهاب الآن.

قالت: ما الأمر؟

قلت: لن تصدقي... لكنَّ هناك دبّاً في باحتي الخلفية.

ثم أنهيت المكالمة.

بالطبع، لم يكن هناك دبّ، بل كان الكلب، حيث لم نقص له شعره منذ شهور.

زميلتي في المعمل شخصيتها طيبة، لكنني في بعض الأحيان أفكر لو أنني ما قابلتها قط، لقلَّ طرحي للسؤال: لماذا قد يحتاج هذا المجال إليَّ عندما يوجد شخص مثلها؟

هناك مَثَل ابتكره والدي: للتقدُّم في الحياة، يجب دائماً مقارنة نفسِكِ بشخص أفضل منكِ، ولا تقارنيها أبداً بمن هو دونك.

يعلّق إريك بشأن غيابي لمدة شهر عن المعمل قائلاً: هذه الأمور قد تحدث، ويعدُّ هذا الشهر بمثابة مدة للراحة، وسريعاً بعد ذلك أصبحت في إجازة مرضية وفي تواصل مع طبيبة نفسية.

• • •

اشتريت زجاجة من مشروب «جن» من أحد المتاجر ووضعتها فوق المنضدة، وبدأت أشاهد السائل داخلها وهو يختفي.

سأل إريك عندما عاد إلى المنزل ووجد الزجاجة الفارغة في القمامة: هل أنتِ من فعلتِ هذا؟

أجبته قائلة: أنا آسفة، كان يجب أن أضعها في سلة إعادة التدوير، فأنا أعلم أن الزجاج يُعاد تدويره.

أحد الأشياء التي أشعر بالامتنان لوجودها هو الأنزيم الذي يكسر الإيثانول، فمن دونه لأصبح لون وجهي أحمر على نحو مقلق، ولن يثق بي أحد حيال تناولي للخمور مرة أخرى.

ثم سأل وهو يلقي بكل من معطفه وحقيبته في الوقت ذاته، ويذهب مسرعاً إلى المطبخ كما لو كان فوق لوحَي تزلُّق: هل أكلتِ أي شيء؟ بل ظننت بالفعل أنه يرتدي لوحَي تزلُّق، وطلبت منه أن يعود إلى الباب ويفعل ذلك مرةً ثانيةً.

عندما أكون بهذه الحالة، أتأثَّر سريعاً بالإعلانات التجارية عن الأطعمة. قطع دجاج تايسون مطهية بالكامل بمكونات طبيعية مائة في المائة. يقترب وجهي أكثر وأكثر من الشاشة، ويضطر إريك إلى إبعادي عنها قبل أن أصطدم بها.

ذهبنا معاً في جولة أخرى إلى السوبر ماركت، وصحَّحت ما قلته، ليست جولة، بل هي رحلة استكشافية.

وقلت لإريك: انظر إليَّ وأنا أتجنَّب السير على الأرصفة تماماً وأتفادى نبات السرخس.

• • •

لم أنتبه إلى انقضاء الأيام.. هل اليوم هو يوم العطلة الأسبوعية؟ أم أنه اليوم المحدَّد لتناول رقائق سبرنغ رول من الميكروويف؟ تكون كل الوجبات التي نتناولها في المعمل، في أطباق ورقية، فقد قررت عدم وجود المزيد من الأطباق العادية، لأننا بالفعل لدينا الكثير من العمل لنقوم به.

أجواء نهاية فصل الخريف:

هناك تحذيرات من هبوب العواصف الثلجية. كنت بالخارج عندما بدأت، واصطدمت قطرات صغيرة من الثلج الأبيض بعينيَّ، وتساقط الثلج بغزارة وبسرعة وغطَّى كل شيء، وتبع هذا عاصفة مطيرة غريبة، كان الوقوف فيها ولو جزءاً من الثانية أشبه بضربة من خرطوم مياه شديد القوة.

هناك تحذيرات من هبوب رياح عاصفة من المتوقَّع أن تزيد سرعتها على أربعين ميلاً في الساعة، وهكذا أغلقنا جميع النوافذ وأوينا إلى الفراش، لكن لم يزل في استطاعتنا سماع صوت تكسُّر الأغصان وسقوطها، وارتفاع صفائح القمامة في الهواء.

في اليوم التالي، وأنا أسير في الشوارع المجاورة بحثاً عن صفيحة القمامة الخاصة بنا، قلت: يا لها من مدينة غبية.

• • •

هناك أمر أراد إريك إخباري به، لذا أجلسني على الأريكة.

وقال: هل تصغين إليَّ؟

أنا مصغية.

أظن أن عليكِ الذهاب إلى هذه الطبيبة النفسية.

أي طبيبة نفسية؟ لقد تخلَّصت في الحال من معلومات جهات الاتصال الخاصة بها، بل إنني لم أحبّذ حتى فكرة الذهاب إليها.

وسألت إريك: هل تظن أن هناك خطباً ما؟ فأنا لا أعاني شيئاً، كما أنني سعيدة جدّاً.

وضحكت بعد قولي لهذا الكلام، وبدت ضحكتي جنونية.

• • •

حين أكون مع أبي لا أحب أن أطرح عليه أي سؤال. قامته ليست طويلة، لكن عندما كنت في العاشرة من عمري كان عليَّ رفع عنقي لكي أراه، ومع كل سؤال أطرحه عليه، مثل: لماذا يطفو الثلج فوق الماء؟ لماذا ليست الأرقام السلبية أوَّلية؟ فكان يقول: لديكِ عقل ويدان، ويمكنكِ البحث عن الإجابة بنفسك، ثم يطرح عليَّ سؤالاً: هل قام أي شخص بتعليمي الرياضيات المتقدمة، أم هل تعلمتها بنفسي؟ ومع هذا ومن قبيل السخرية كان يُعلّمني، لكنه كان من نوعية المعلمين الذين يقولون المعلومة لمرة واحدة فقط، وكان يقول: لديك عقل ويدان، ويمكنك البحث عن الإجابة بنفسك، وإذا أردتِ معرفة كيف تتدبَّرين أمورك في الحياة بنفسك؛ فانتبهي جيداً إلى ما تتعلَّمينه.

وتكوَّنت عندي عادة من جراء هذا الأمر، فأصبحت أطرح على إريك الأسئلة فقط خلال نومه.

بمجرد سماعي لغطيطه، أقول له: لماذا مسارك مستقيم إلى هذه الدرجة؟ لماذا عائلتك لطيفة إلى هذا الحد؟ يبدو من غير المنصف مدى سهولة تحقيقك لكل شيء. في حياتك السابقة لا بد أنك كنت خنفساء الروث، أو شخصاً ضحَّى بحياته من أجل شخص آخر... ربما من أجل امرأة حُبلى تعبر الشارع.

هل تذكر هذا الأمر؟

ثم فرقت شعره الكستنائي وخفضت صوتي قائلةً بهمس: أرجوك، توقَّف، فقط لبرهة قصيرة... ودعني ألحق بك، كيف تتوقَّع مني أن أتزوجك إذا لم تدعني ألحق بك مطلقاً؟

أصبحت شجاعة الآن، ويمكنني قول تلك الأمور له عندما يكون مستيقظاً.

قال لي بحزم وصرامة شديدة هذه المرة: اذهبي وتحدَّثي إليها.

واستكمل كلامه بهدوء شديد: أنا أعني ما أقوله.

• • •

في الجلسات الأولى، كنت أصل إلى مكتب الطبيبة النفسية وأنا أغطي عينيَّ بنظارات شمسية كبيرة الحجم، وأرتدي معطفاً طويلاً منفوخاً، وبعد انقضاء نصف الساعة تقول لي، إذا أردتِ خلع النظارات الشمسية في أي وقت فلا بأس، لكنني كنت أختلق الحجج بعدم قدرتي على خلعها، مدعيةً حدوث اتساع في حدقة العين أخيراً، وأن هذه النظارات هي الوحيدة التي أمتلكها.

كنت أجلس بالقرب من الباب قدر الإمكان، ولم أخلع المعطف قط، فقد بدأ فصل الشتاء، وأنا دائماً أشعر بالبرد.

بمجرد عودتي إلى المنزل، أخبرت إريك بأنني ذهبت إليها، وسألته هل هو راضٍ عني؟

وسألت المرأة المسؤولة عن تأميني الصحي: هل أنتِ واثقة أن والديَّ لن يعلما بأمر هذه الطبيبة النفسية؟

أجابت المرأة: لا، ما لم تقرّري القيام بشيء متطرف.

قلت لها: هناك حلم أحلم به في الآونة الأخيرة، حيث كنت أسبح في مسبح بحجم المسابح الأولمبية مليء بثنائي كلورو الميثان، وهو عبارة عن مذيب يشتعل عند احتكاكه بالبشرة، فسبحت وسبحت ثم غرقت، فهل يعتبر مثل هذا الحلم «شيئاً متطرفاً»؟

أجابت المرأة: نعم مثل هذا الحلم، يعتبر كذلك.

وجدت أن الأمر سيكون مضحكاً؛ لمجرد فكرة ما قد تقوله أمي إذا علمت أنني أذهب إلى طبيبة نفسية، فقد تقول: هل تتحدثين إلى شخص غريب عن مشكلاتك؟ تدفعين أموالاً إلى شخص غريب كي يستمع إليكِ؟

• • •

كانت المرة الأولى التي قال لي فيها إريك «أحبكِ»، في المعمل قبل الاجتماع. كان يظن أن باستطاعته الانتظار إلى ما بعد حضوري الاجتماع، لكنه كان متلهّفاً طوال الوقت حتى إنه لم ينم في هذا اليوم، ولحق بي قبل دخولي إلى غرفة الاجتماعات وقالها بشق الأنفس، وتجمَّدت في مكاني وشعرت كأن بشرتي تحترق حتى التفحُّم. هل حضرت الاجتماع وقتها؟ حضرته، لكنني لا أذكر ما دار فيه.

قالت لي الطبيبة النفسية منذ اليوم الأول: الهوَّة التي عليكِ اجتيازها ليست هوَّة مادية.

سألتها: إذاً ما تلك الهوَّة؟

أنا أفضّل الأشياء المادية، اطلبي مني أن أجتاز غراند كانيون (الأخدود العظيم) الشهير باستخدام حبل البهلوان وأضع تفاحة فوق رأسي، وسوف أفعل ذلك.

قال لي إريك بعد عام من مقابلاتنا إنه يريد أن يفهمني أكثر لكن ليس من على بُعد، أو من خلال ما يُطلِق عليه حاجزي الزجاجي المنيع.

قال إريك إنه قد وجد خلف هذا الزجاج المزيد منه.

هناك حركة لاإرادية أقوم بها، حيث لا يمكنني إمساك الأيدي لمدة طويلة، حيث يبدأ إبهامي في الضغط على راحة يده ليتركها.

صاح قائلاً: أمسكي يدي كشخص طبيعي.

صِحتُ بدوري: أنا آسفة.

يشعر إريك بالحيرة، حيث ما زلنا نعاني هذه المشكلة. خرجنا بصحبة الكلب لإحضار طعام جاهز، وكنت أسير متعرّجة ذهاباً وإياباً، وحين أمسك بيدي مرةً أخرى، ركَّزت بكامل قوتي حتى لا أحرّك إصبع الإبهام.

• • •

هذه مزحة قالتها لي زميلتي بالصف في المدرسة الإعدادية: عندما تولد طفلة آسيوية يمسك والداها لافتتين مكتوباً عليهما طبيبة أو طبيبة! وعلى الرضيعة أن تختار!

لكن الآن أسمع عن نسخ أخرى لهذه المزحة، فالزمان تغيَّر ولم يعد الاختيار طبيبة أو طبيبة، بل أصبح طبيبة أو عالمة، أو طبيبة أو مهندسة، أو طبيبة أو مصرفية مستثمرة.

إنها ليست مزحة بالفعل، بل بالأحرى حُكم.

سألت زميلتي: أين سمعتِ بها؟ أجابت من والديها وهما من ذوي البشرة البيضاء، ثم رأيتها تميل إلى الأمام من شدة الضحك، وعندما مالت إلى الخلف ثانيةً، أردت أن أركلها بقدمي، وسألتني ما إذا كان قد حدث وأمسك والداي باللافتة لي. قلت لها لا. قالت لا بد أنهما قد فعلا ذلك، وقلت لها لا، ثم ذهبت إلى المعلمة وقالت إنني كاذبة.

لم أصبح أنا وهذه الزميلة صديقتين أبداً، وأتمنى لو أنني كنت قد ركلتها.

وعندما قلت هذا الأمر للطبيبة النفسية، قالت لي: قفي أمام المرآة، فإن انعكاسك يمثل طريقة للتعامل مع نوبات الغضب.

لكنني لست غاضبة.

لا... بل أنتِ غاضبة.

• • •

أقوم الآن بتعليم المزيد من الطلاب ممن كتبوا المغناطيسية والكهرباء والدوائر، حيث رفض تعليمهم باقي المعلمين. وسألوني: هل يمكنكِ مساعدتنا؟ وقلت لهم: سوف أحاول، لكن التدريس ليس سهلاً؛ فكيف تلتزم موضوعاً واحداً على مدى مدة زمنية معينة، وكيف يمكن للمرء وضع خطة للتدريس؟

أقول أموراً كالآتي:

بادئ ذي بدء، هل أنت جائع؟ هل تحب رقائق البطاطس؟

أحتاج منك فقط إلى قلم حتى أتمكن من رؤية أخطائك وتصحيحها، على النحو الذي آمله.

تناولنا رقائق البطاطس كلها؟ تناولناها كلها؟ حسناً، ابقَ هنا، وسوف أُحضِر المزيد.

أثناء حصة من الحصص، بدأ طالب ممن يريدون تعلُّم المغناطيسية في إخباري عن مكان نشأته.

نشأ في جزيرة.. في وسط المحيط الأطلنطي، وهناك طبيب أسنان واحد فقط، هو والد هذا الطالب.

أعلم أنه يسعى فقط إلى انقضاء الوقت، لكن القصة أثارت اهتمامي بحيث تركته يكملها، ثم أخبرته أنا بقصة أخرى عن الأسنان.

قلت له: هل رأيت الراديوم بنفسك من قبل؟ إنه إحدى المواد الكيميائية الفلورسنتية الجميلة. في نهاية القرن العشرين، كان يُستخدم في صناعة الساعات التي تضيء في الظلام، ولطلاء كل واحدة من الساعات، كانت الفتيات يغمسن فرشهنَّ في نصف لتر من طلاء الراديوم ثم يغسلن الطلاء بأفواههن.

ما لم يكن معروفاً آنذاك، أنه عند ابتلاع كمية كافية من الراديوم فإن الراديوم يذهب مباشرةً إلى العظام، بسبب انجذاب الراديوم إلى الكالسيوم، فهناك سبب لوجود هذين العنصرين في العمود نفسه في الجدول الدوري.

كانت أسنان هؤلاء الفتيات أول ما تعرَّض للتحلُّل، وبعدها تحلَّل كل شيء آخر.

لكي يتخلَّص الجسم تماماً من الراديوم، يجب حرقه، ثم غليه في حامض الهيدروكلوريك.

بعد هذه القصة كان الطالب مستعدّاً للعودة إلى المغناطيسية، ومرَّر إليَّ الصفحات الفارغة التي كان من المفترض أن نكون قد انتهينا منها في هذا الوقت.

• • •

قرأت في مكان ما أن المعلم المتميّز يلخّص ما قاله في كل حصة.

وهكذا قلت له: لا تشرب طلاء الراديوم، بل اشرب الماء.. ثلاثة لترات يوميّاً على الأقل.

وناولته الصفحات ثانيةً، وانتهى الدرس.

• • •

الجو ممطر، لذا مكثنا في المنزل، وكانت رائحة الكلب المبتل تنبعث في الشقة كلها، وسبب هذا أننا أعطينا الكلب الحرية الكاملة في التحرُّك فوق أثاث المنزل؛ الأريكة والفراش ومنضدة القهوة والسجادتين يتقلَّب الكلب فوقها كما لو كانت حشائش. سألتني صديقتي المقربة: كيف ابتلَّ الكلب في المقام الأول؟ قلت لها: اصطحبه إريك إلى الخارج، فالكلب يكون في شدة السعادة عند سقوط المطر، فهو كلب غريب يحب أن يبتل.

اقترحت على إريك وقتها: ربما لا نفعل كل ما اعتدنا أخيراً، حيث لم نعد نذهب إلى أي مكان، ألم نعتد القيام بأمور كثيرة من قبل؟

سأل إريك: ماذا تريدين أن نفعل؟

سألته: بل ماذا تريد أنت أن نفعل؟

في وقت لاحق في هذا الأسبوع علَّقت صديقتي المقربة، وقالت: يا إلهي! إنه ليس مصنوعاً من زجاج، أتدرين هذا؟

قلت لها: ربما ليس من الزجاج، لكن من الخزف؟

لا أذكر أبداً أنني رأيت والديَّ متشابِكَي الأيدي، أو يحتضن كل منهما الآخر، أو يتبادلان القبلات، وأتساءل عما إذا كان هذا سبب رغبتي في القفز من فوق مبنى عالٍ عند سماعي للعبارات العاطفية رغم خوفي من الإصابة بالعجْز نتيجة القفز من المرتفعات.

قالت الطبيبة النفسية: من المستحيل ألا يكونا قد قاما بمثل هذه الأمور، لأنك قد وُلِدتِ.

سألت إريك تلك الليلة: ما الذي تحبه فيَّ؟

قال: ماذا؟!

وفي وقت لاحق عندما كنت أبتسم أشار إلى ابتسامتي وقال: هذه الابتسامة!

• • •

اتفقنا على الذهاب إلى متحف العلوم، في المتحف قبة سماوية وعرض ترفيهي بأشعة الليزر لفرقة البيتلز.

قائمة أغاني البيتلز هي: «She Said She Said», Dear Prudence «You're Going to Lose That Girl»، «Oh! Darling»، «Everybody's Got Something to Hide Except Me and My Monkey»، «Nowhere Man»، «A Day in the Life».

قلت لإريك بصوت منخفض بينما كنا واقفين في الصف لحضور العرض: لكنني لا أحب فرقة البيتلز.

وقلت له بينما كنا نستقر في مقاعدنا: أنت تعلم أنني لا أحب فرقة البيتلز.

أنا أحب كوين وفريدي ميركوري، أغنية «استمع إلى كلماتها: أنا مركبة فضائية في طريقي للاصطدام بالمريخ. أنا قمر صناعي، لا يتحكم فيه أحد، أنا آلة جاهزة لإعادة التحميل، مثل قنبلة ذرية على وشك الانفجار.. نادني بأستاذ فهرنهايت».

قلت أيضاً لإريك: «فريدي ميركوري جعل العلم رائعاً، مع معرفتي كم قد يبدو هذا مبتذلاً».

كما أن اسمه فريدي ميركوري (بمعنى الزئبق).

نشأ إريك على أغاني فرقة البيتلز، فوالدته مهووسة بهم، ووالده هيبي متغيّر الهيئة.

قال لي: أعطهم فرصة واستمعي إلى أغانيهم.

وأثناء العرض، تحمَّست نتيجةً لأشعة الليزر؛ فقد كان هناك الكثير منها.

يعتبر الليزر ملوناً من خلال انبعاثاته، لونه أخضر لأنه يصدر

لوناً أخضر، وهذا لا يشبه ورقة الشجر التي تكون خضراء بسبب امتصاصها للضوء الأحمر.

يعاني بعض الطلاب مشكلة في هذا الأمر: ما إذا كان اللون المرئي صادراً من خلال الانبعاث أم من خلال الامتصاص. حينها أقول لهم، إذا كان في استطاعتهم رؤية اللون في الظلام، يكون اللون خاصّاً بالشيء، أي أنه انبعاث، وعلى هذا النحو يكون الليزر الأخضر صورة للون أكثر نقاءً من أكثر أوراق الشجر اخضراراً في العالم.

بعد انتهاء العرض، وفي كل مكان أنظر إليه سواء أكان جداراً أبيض أم سماء زرقاء أم وجه إريك، كنت أرى أشعة ليزر على شكل بوم وغواصات.

وقال إريك: لم تحبي العرض.

أحببته... فأنا أحب تجربة الأمور الجديدة.

لم تحبيه.

لم أحبه.

ماذا عن أغنية «Dear Prudence»؟

أي أغنية كانت تلك؟

الأغنية الأولى.

الأغنية الأولى؟ الأغنية التي صاحبتها صور لأشعة الليزر على شكل بومة.

أي بومة؟

البومة الخضراء.

آه، تلك الأغنية، لا بأس بها.

فقط لا بأس بها؟

بل كانت جيدة جدّاً.

وعندما عرفتها أخيراً، قال إنه قد رأى ما يكفي من المتحف ويريد الآن الرحيل.

• • •

إريك هو من عرفني بالموسيقى، فمن قبله كنت أستمع إلى السكون، رغم أنني كنت أعزف على البيانو على مدار عشر سنوات.

بدأت التعلم في السابعة من عمري، وكان تدريبي كلاسيكيّاً، في البداية كنت أتدرب ثلاث ساعات يوميّاً مع ربط كرتين من كرات تنس الطاولة في راحتيَّ، وطالت أصابعي واستطعت التمدُّد والوصول إلى الأوكتاف (الجواب الموسيقي)، وكانت قطعتي الموسيقية المفضلة هي «Raindrop Prelude»، لكن يمكنني عزف «Für Elise» كاملةً دون موسيقى مصاحبة، لكنني لا أفعل هذا بسبب خوفي من اعتلاء خشبة المسرح، ولأن المرة الوحيدة التي فعلت فيها هذا، كانت في مقهى خلال دراستي في المرحلة الثانوية، صعد رجل وقال: إذا سمعت «Für Elise» مرة أخرى فسوف أصرخ، فهناك مبالغة شديدة في تقديرها، ولبرهة كنت على وشك الصراخ. كنت أعزف على البيانو عزفاً جيداً يؤهلني

للعزف مع الكورال ومرافقة المغنين، لكنه ليس جيداً بما يكفي لإقامة حفل موسيقي خاص بي؛ حيث تقول معلمتي الروسية لعزف البيانو: ليس لديكِ العاطفة المطلوبة، إنك تعزفين كل شيء عزفاً صحيحاً، وتستخدمين دواسة القدم بدقة، لكنك تعزفين مثل الإنسان الآلي، دون ألم أو أسف، ودون سعادة أو فرح.

يميل إريك إلى الموسيقى وقد تطوف أغنية بباله في أي لحظة، ولهذا تجده غالباً ما يدندن. خلال نشأته كوَّن فرقاً موسيقية مع أصحابه، أطلقوا على فرقهم أسماء مثل ديرك أو أكوا هامستر، وفي مرحلة ما كان مشتركاً في خمس فرق موسيقية، هذا إلى جانب فرقة العزف المدرسي، وأخبره صديق له أن عزف الطبول سوف يتيح له التعرف إلى الفتيات، بل الحقيقة أن هذا الصديق أخبره أن هذا سوف يتيح له التعامل مع تلك الفتيات، لكن هذا لم يحدث أبداً، فهذا لم يحدث قط حتى ذهابه إلى الجامعة، ولم يكن السبب فيه الطبول، بل لأن الفتاة وجدته لطيفاً، واستمر إريك فقد كانت هناك فرقة لموسيقى الجاز في جامعته والتحق بها.

يقول إريك: في موسيقى الجاز يعلّمون المرء كيف يرتجل، ولهذا لا يعزف من النوتة.

لا يمكنني استيعاب هذا الكلام، كيف لا يعزف المكتوب في النوتة؟

في العام الماضي، في متجر مايسيز توقف كي يقول لي إن الأغنية التي تُعزف الآن لحنها مكتوب بإيقاع خمسة- أربعة، ولم نكن نتحدث حينها عن الموسيقى، بل كنا نسير مأخوذين بزينة

رأس السنة، لكن دليل المقياس صحيح، مقياسان فقط وسوف يعرف.

أقول له إنه حتماً موهوب، فيهز رأسه، وهذا ما قد يقوله أي موسيقي.

قال إريك: ليس أنا.

قلت له: هناك موسيقيون وهناك أشخاص يعرفون كيف يعزفون على الآلات الموسيقية.

قال إريك: ما الذي تحاولين قوله؟

أجبته: لا أتكلم عنك تحديداً، لكنني أتكلَّم بشكل عام.

كنا ما زلنا نتشاجر بجوار حوامل الملابس.

قال لي شيئاً واحداً: إذا كان لك أن تكوني شعوراً ما، فسوف تكونين شعور الحقد.

وقلت له شيئاً واحداً: إذا كان لك أن تكون حيواناً ما، فسوف تكون حيوان الكسلان.

لكنني قلت هذا فقط من باب الحقد.

لا بد أن أذنيَّ كان قد أصابهما الصمم، فأنا أعرف أغنية «Dear Prudence». وقد سمعتها عشرات المرات، كما عزفها إريك لي من قبل على جهاز تجسيم الصوت وتحدث كثيراً عنها. وفي اليوم التالي قال لي: كنت أتمنى لو أنك قلتِ شيئاً آخر بخلاف جيدة أو لا بأس بها.

شعرت بالحرج حيال ما قلته، ربما كان عليَّ التحدث عن الإيقاع.

فقلت: هل كانت الأغنية إيقاعية؟ بها شيء من الإيقاع؟ مليئة بالإيقاعات؟

يبدو أنه لا شيء مما سبق، فقد أشاح إريك ببصره دون أن يضحك.

• • •

في كل يوم من شهر ديسمبر يتوقَّع خبير الأرصاد الجوية تساقط الثلج، وأخيراً تساقط، ولست أدري أيهما أشد مفاجأة بالنسبة إليَّ: ندف الثلج أم أن خبير الأرصاد الجوية كان محقّاً، رغم أن فرص تساقط الثلج قد أصبحت في صالحه.

استيقظت مبكراً.. في الخامسة صباحاً، لتأمُّل البياض الناصع في كل مكان، قبل مرور شاحنات جرف الجليد وتبوُّل الكلاب فوقه في كل مكان.

• • •

لكي يتمكَّن المرء من قراءة الجريدة لا بد من تعلم ثلاثة آلاف حرف صيني على الأقل ولعلِّي أعرف ألف حرف تقريباً، لكني لا أستطيع كتابة أي حرف منها.

زرت الصين مرتين فقط منذ مغادرتنا لها: مرة عندما كنت في المرحلة الإعدادية، ومرة أخرى في نهاية المرحلة الثانوية. وفي المرة الثانية تمتَّعت بحرية أكبر، فكان يمكنني الذهاب إلى بعض

الأماكن بمفردي، وظننت أن هذا شيء جيد، إلى أن ركبت سيارة أجرة وطلبت من سائقها أن يقلّني إلى مطعم يفترض أن أقابل فيه أمي وصديقاتها. كان يمكنني قول اسم المطعم بطلاقة، دون نطقه بلكنة أجنبية، لكن السائق لم يعرف مكان المطعم، وطلب مني كتابة اسم المطعم حتى يتمكن من كتابته في نظام تحديد المواقع العالمي (جي بي إس)، وفي نهاية الأمر اضطررت إلى الترجُّل من سيارة الأجرة والبحث عن سيارة أخرى.

لم أجد سيارة أجرة أخرى، بل سرت على مدى عشرين مربعاً سكنيّاً أو نحو ذلك وأنا شاعرة بالخزي.

انتابني خوف جديد وهو فقداني لهوَّيتي الصينية، فهي تسقط مني كما لو كانت جلداً ميتاً.

وتحت هذا الجلد هناك هويَّتي الأمريكية.

عندما كنت طفلة صغيرة، غالباً ما كنت أحلم بالأجواء الصينية، لكنَّني لم أعد أحلم بها منذ زمن بعيد. أصبحت الخطوات وفقاً لمنطقي على النحو الآتي: هكذا، ولهذا، وبالتالي كلها باللغة الإنجليزية، لكن الغريب أنني ما زلت أحسب باللغة الصينية، لذا أحاول قدر جهدي عدّ كل شيء أمر إلى جواره.

ثلاث ثمرات من الموز.. سبع دراجات.. اثنا عشر رضيعاً مربوطون باثني عشر من البالغين.

وبهذه الطريقة يبقى جلدي سليماً معافًى.

إن فكرة ألا تكون في موطنك بشكل تام في أي من لغتيك

يضفي عليك إحساساً غريباً، ورغم شعوري براحة أكبر في التعامل باللغة الإنجليزية، فإريك يقول إن في وسعه معرفة أن لغتي الأم ليست الإنجليزية، حيث يقول: مصطلحاتك دائماً مختلفة بعض الشيء كما أنكِ تستخدمين كلمة أغلق مع كل شيء مثل؛ أغلِق الأنوار، أغلِق التلفزيون، أغلِق الفرن، فإنكِ تستخدمين أغلِق في حين أن ما تعنينه هو أطفئ.

لأن في اللغة الصينية هناك كلمة واحدة مقابل هذه المعاني وهي Guan.

قبل دخول إريك في حياتي وتصحيحه لأخطائي، كنت أقول أشياء مثل: موت النغمة بدلاً من صمم النغمة، أو لا تحكم على غلاف الكتاب بدلاً من لا تحكم على الكتاب من غلافه أو حاجبين مكسوين بالشَّعر بدلاً من منعقد الحاجبين.

قلت له: لكن الحاجبين يكونان مكسوين بالشَّعر، أليسا كذلك؟

وأجابني: هما كذلك، لكن كونهما مكسوين بالشَّعر فهذا لا يعبّر عن حالة الغضب.

بعد الخسارة في لعبة ما، كنت أقول: لا تغضبني.

يقول إريك تقصدين: لا تؤنبني.

أجيبه: نعم أقصد هذا، ولكن أيضاً لا تغضبني.

من بين كثير من اللكنات الصينية، أتحدَّث لكنة واحدة فقط، وتتحدَّث أمي لكنة إضافية أخرى.

تتحدث أمي مع عائلتها ومع صديقاتها في الصين باللكنة الخاصة بشانغهاي، وتبدو هذه اللكنة مختلفة بالكامل عن لكنة الماندرين (اللكنة الصينية الشمالية)، فهي أكثر تناغماً وأشد جمالاً، ويعتبرها بعضهم (أمي) أجمل لكنة في الصين. في المرة الأولى التي سمعت فيها اللغة الفرنسية، خطرت لكنة أمي بذهني، حيث يتشابه فيهما دمج المقاطع وطبيعتها الغنائية، وبعد أن علمت أن الفرنسيين يعتزون بلغتهم كثيراً، فهمت المزيد عن أمي.

رغم قضاء أبي ثماني سنوات في شانغهاي، فإنه لا يستطيع التحدث باللكنة الخاصة بها، وربما السبب في هذا أن أمي لم تتحدث معه بها، بل كانا يتحدثان فقط بلكنة الماندرين، وعندما ولدت لم تتحدث معي بها أيضاً.

أثبتت الدراسات أن المخ يشعر بالإقصاء ليس بما يشبه القلب المنكسر، بل بما يشبه العظم المكسور، فيكون الألم بدنيّاً حيث يشعر به المخ.

أعرف القليل من لكنة شانغهاي، فمن المستحيل على أي حال عدم تعلم أي من كلماتها؛ «لا تا» تعني غير مهذَّب بالمرة، فأمي تقولها عند وصفها لي أو لغرفتي، في حين «دان دي» تعني اطلبي سيَّارة أجرة.

في المطعم الذي كنت قد وصلت إليه أخيراً، وأمي محاطة بصديقات الطفولة، سألتني أمي: لماذا تريدين معرفة كل ما نقوله؟

أجبتها: «أظن أنني لا أريد أن أعرف، بل فقط أود أن أعرف».

فكرت فيما حدث في وقت لاحق، ربما هي لم تعلمني لأن لكنة

شانغهاي خاصة بها، تماماً مثلما أصبحت الإنجليزية خاصة بي، فقد تحدثت الإنجليزية بطلاقة وأنا في السادسة من عمري، ولا بد أن هذا الأمر ضايقها، بل إلى الآن لم يزل الناس يتحدَّثون إليها بصوت مرتفع، كما لو كان تحدُّث الإنجليزية بشكل ضعيف يشبه ضعف السمع، ولم يزل الناس يضحكون، كما لو كان هذا الأمر مضحكاً جدّاً.

رغم أنه في بعض الأحيان يكون مضحكاً إلى حد ما؛ ففي فصل الصيف الذي سبق ذهابي إلى الجامعة، جاء عمال الدهان للعمل في منزلنا، ولم تستطع أمي نهائيّاً نطق كلمة عمال الدهان (painters)، بل كانت تقول (panthers بمعنى نمور)، وعندما سأل الجيران، قالت لهم أمي إن هناك ثلاثة نمور في المنزل!

• • •

الانعكاس أسهل خصائص الضوء في شرحها. الجانب الأمامي للملعقة عبارة عن مرآة مقعَّرة، بينما الجانب الخلفي عبارة عن مرآة محدَّبة. في وجبة العشاء كنت أستقطع وقتاً إضافيّاً لتأمل تلك الحقيقة المثيرة، فأقوم بتقريب الملعقة وإبعادها عن وجهي وأتوقَّف في اللحظة التي ينقلب فيها أنفي رأساً على عقب.

حينها سألني إريك: ماذا تفعلين؟

أحدّق في الملعقة.

لماذا؟

لأتخلَّص من الغضب.

• • •

تنتهي كل الأحداث الكوميدية بالزواج، وكل الأحداث التراجيدية بالموت، لكن ماذا عن الأشياء الواقعة بين كلتا الحالتين؟

الحياة تجري في المنتصف، سمعت هذا القول من شخص شديد الذكاء.

سألت إريك بشأننا: ماذا تسمّي علاقتنا؟

أجابني: المرحلة الانتقالية.

وقد ذكَّرتني كلمته برقصة لاتينية.

وهكذا سألته: ما الذي تَغَيَّر بينما نرقص هذه الرقصة؟

أجابني: لم نعد نتشارك البطانية نفسها في الفراش، بل أصبح لنا بطانيتان منفصلتان.

وتذكَّرت ما يحدث في الملعب عندما ألقي بالكرة من طرف، ويلقي إريك بها من الطرف الآخر، وعلى الكلب أن يختار بيننا.

يجلس الكلب في مكانه فحسب، لا بد أنه يفكر في أن ما يحدث ينطوي على فخ.

يستكمل إريك: أصبحت مشاهدة التلفزيون تمثّل صراعاً، فلم نعد نشاهد قنوات الطبخ، أو شبكة قنوات برافو، أو شبكة القنوات التعليمية.

قلت له: إذاً ماذا تبقَّى كي نشاهده؟

لكنَّني تذكرت قول صديقتي المقربة: ما حدث قد حدث،

لكن دعيه دون تشويه، فلا داعي لقطع العلاقات نتيجة لما حدث، ولا تقترفي فعلاً متطرفاً فقط كي تثبتي وجهة نظرك.

فصديقتي تفضّل أن تحاول حتى آخر لحظة عن أن تعترف بهزيمتها مبكراً.

سألتني صديقتي: هل لا زلتما حميمين؟

ـ ليس في البداية، لكن عندما أستيقظ، أجدنا في حالة تماهٍ؛ وذراعه فوق ذراعي، والكلب فوقنا نحن الاثنين. لا بد أننا نتحرَّك على هذا النحو أثناء نومنا.

• • •

كيف يمكن للمرء شرح الألوان إلى شخص كفيف؟ ليس كفيفاً بشكل كامل، بل شبه كفيف، وهي مهمة أتولاها لوجود طالبة من طلابي على هذا النحو، فهي تستطيع رؤية وميض للأشياء فقط إذا نظرت إليها مطوَّلاً وبإمعان؛ فيمكنها رؤية السماء زرقاء إلى حد ما، وترى الشمس أيضاً صفراء إلى حد ما.

قلت لها: جيد جدّاً، هذا هو تشتُّت الضوء، وهذا ما يحدث عند مرور ضوء أبيض عادي من خلال المنشور الزجاجي ويظهر في صورة قوس قزح؛ يكون اللون الأزرق هو الأكثر انتشاراً، ولهذا ترين السماء الزرقاء في كل مكان، واللون الأصفر هو الأقل انتشاراً، ولهذا ترين الشمس الصفراء في مكان واحد.

من المفترض أن أساعد الطالبة في التحضير لاختبار تقييم الخريجين، لكننا نقضي معظم الوقت في الحديث عن الألوان.

لون ملابسي وحذائي.

لون ملابس الآخرين وأحذيتهم.

لون السماء عند انخفاض الشمس بالقدر الذي يتسبَّب في انحناء الضوء الأحمر أكثر من سواه، وهنا يظهر الغروب.

في وسط الجدول الدوري توجد الفلزَّات الانتقالية، وتتصف هذه الفلزات بخصائص غريبة، وتتميَّز بألوانها الغنية؛ المنجنيز لونه أرجواني، والنحاس لونه أزرق غامق، والنيكل أخضر بلون أمواج البحر، والكوبالت لونه برتقالي داكن، في حين يتمتَّع الكروم بألوان متعددة وفقاً للحالة المفترضة له، كما أخبرتها أنني اعتدت العمل على تلك الفلزات في المعمل.

وقلت لها: لذا لا تقولي أبداً إنه رمادي مثل الفلزات.

بل قولي رمادي مثل الضباب... مثل الدخان... مثل الرماد.

فقالت: رمادي مثل الأفيال!

أجبتها: أفترض صحة هذا أيضاً.

وفي اليوم التالي، تلقيت مكالمة من والدة الطالبة.

قالت الأم: ابنتي لم تقل أي شيء بخصوص اختبار تقييم الخريجين، بل كل ما تتحدث عنه هو الألوان، هل تشتمل اختبارات تقييم الخريجين على الألوان؟

لا، لا تشتمل عليها، وإن كان يجب أن تشتمل الاختبارات على الألوان.

ما الذي تعلّمينها إياه بالضبط؟

كيف تفهم الغروب.

وانقطع الاتصال بعد قولي لهذه الجملة. وفي حصتنا التالية لم يأتِ أحد، وعدت إلى المنزل ووجدت إريك يتحدث إلى والدته عبر مكبر الصوت، وسمعته يصف لها يومه بالتفصيل وصولاً إلى التوابل التي أضافها على الغداء؛ الكاتشب مع الفلفل المشقوق، والمايونيز مع العسل.

يقول إن بحثه عن الوظيفة يجري على ما يرام، وإن أمامه الكثير من مقابلات العمل.

قالت والدته: أنا لست مندهشة من هذا.

فأنت ابني الذكي المتألق.

رائع... رائع.

قالت طبيبتي النفسية: إليكِ نصيحة عن السعادة: الطريق الأكيد لسعادتك يكمن في البحث عن السعادة للآخرين.

وأضافت: وإذا لم تستطيعي، إذاً تظاهري بذلك.

• • •

كثيراً ما تردني اتصالات من الكلية يسألون كيف تمضي إجازتي المرضية.

أقول: إنها جيدة.

وماذا بشأن صحتك؟

هي أيضاً جيدة.

من يخبرني من الطلاب أنه يريد أن يصبح عالِماً، أقول له: هل أنت واثق؟ هل تعلم ما معنى أن تكون عالِماً؟

إن العلماء هم مجرد بشر فانون والبشر الفانون يرتكبون الأخطاء.

فالنظريات تظل نظريات، حيث لم يتم إثبات خطئها قط، لكن أيضاً لم يتم إثبات صحتها قط، وتعتبر ثغرة كبيرة للغاية.

سأل أحد الطلاب: إذاً ما الذي أتعلمه بالفعل؟

أجبته: حسناً، هل تريد بالفعل أن تصبح عالماً؟!

• • •

لا يوجد جليد في شهر يناير لكن برودته مهلكة. من خارج النافذة يبدو الجو ـ على نحو مخادع ـ كما لو كان دافئاً ومشمساً، لكن بمجرد الخروج تشعر بخلايا بشرتك وهي تموت، وهكذا التحفت بالبطانية فقط كي أقرأ رسائل البريد.

أرسلت إليَّ صديقتي المقربة هدية عبارة عن دمية محشوة، لها شعر من خيوط الغزل الصفراء، وعلامتي X مكان العينين، وخط للفم. وتسمى بـ «الدمية اللعينة»، حيث من المفترض أن أمسك بالدمية من رجليها وأضربها حتى يخرج الحشو منها، بينما أصيح: اللعنة... اللعنة... اللعنة، وحاولت هذا بالفعل، لكن الدمية قد أثبتت فاعلية المادة المصنَّعة منها. أسميت الدمية «علوم»... أيتها الدمية اللعينة.

• • •

قبل بدء مواعدتنا أنا وإريك، كان إريك يمر بخزانتي ويمتدح قواريري ـ قائلاً كم تبدو جميلة... أدوات كيمياء جميلة لفتاة جميلة، فيحمر وجهي خجلاً، لم أظن أنني جميلة إلى هذا الحد، بل لم أكن حتى أظن أنني جميلة من الأساس.

أصبح الآن يسير بجوار مكتبي في المنزل ويناولني الهاتف، ولأنه أحد هؤلاء المتفائلين، يشجعني على الاتصال بوالديَّ وإخبارهما الحقيقة.

لكننا نادراً ما نتحدث أنا ووالداي، وعندما نتحدث فلا يكون حديثنا عن التوابل المضافة على الطعام.

تسأل أمي: متى تنتهين من الدكتوراه؟ ومتى تحصلين على وظيفة؟

ويسأل أبي: متى تسدّدين قروض الدراسة؟ ومتى تشترين منزلاً؟

فقد اتفق كلاهما على أنني لم أعد طفلة وعليَّ البدء في تحمل المسؤولية كشخص بالغ.

في الجامعة، كان لديّ زميلة صينية في السكن تتصل بوالديها كل يوم أحد.

في الجامعة، كان لديّ زميلة صينية في السكن تبكي لمدة ساعتين كل يوم أحد.

ولتجنب حدوث هذا معي، كنت أكذب.

والداي لا يعرفان أنني وإريك نعيش معاً، فأنا أخشى إخبارهما، ولا

يمكنني تخيل وقع الخبر عليهما. قبل ظهور إريك في حياتي، طلب والدي ألا أنتقل للعيش مع شاب دون زواج، وطلبت والدتي ألا أغير لقب عائلتي، وقد قالا هذا بصرامة. لم أسمعهما أبداً من قبل يستخدمان كلمة العلاقة، لكن من المفترض ألا تحدث سوى بعد الزواج. أعتقد أن مقابل الكلمة في اللغة الصينية هي الذهاب إلى الفراش أو ربما الصعود إلى الفراش، وهذا ما أظنه لكنني غير متأكدة.

تحتفظ النساء المتزوجات في الصين بألقاب عائلتهن، وتجد أمي أن التقليد الغربي بتغيير الاسم يعتبر عادةً عتيقة، وأتساءل: لماذا إذاً يشغلون أنفسهم بالمساواة بين الجنسين في المقام الأول؟ ولهذا السبب تجد أمي صعوبة في فهم لماذا لم يزل الناس يعتقدون أن الصينيين رجعيون.

قالت زميلاتي الفضوليات: نحن أيضاً سمعنا هذا الأمر، وقالها أيضاً رجل جلست إلى جواره في الطائرة: الصينيون رجعيون وكذلك منقلبون رأساً على عقب، فهو عرق يتحدى الاتجاهات.

أظن أن ما يتكرَّر قوله كثيراً لا بد أن يكون صحيحاً.

ففي الصين يأتي المطر من الأرض، ويستقر في السماء، وقد أبدل الشمس والقمر مكانيهما، يقرأ الجميع من اليمين إلى اليسار، ويصغر الجميع في السن؛ ومن هنا نشأ المعتقد بأن النساء الآسيويات لا يكبرن في السن أبداً.

يقول الجميع: ما أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن تحدث؟!

عندما أجد كل هذا التشجيع يدور في رأسي، أخيراً أستجمع

شجاعتي لإخبار والديَّ: أمي... أبي أنا لن أنهي دراسة الدكتوراه، أنا منسحبة.

قالت أمي: لا تتصلي بي ثانيةً، بل لا تفكري حتى في العودة إلى الوطن.

من تظنين نفسك؟ أنتِ لا تمثلين شيئاً لي دون هذه الشهادة.

ثم صمتت لأنها كانت تطرق المنضدة بالسماعة.

يمكنني تخيُّل الحالة المزاجية لأمي في تلك اللحظة.

نظر إليَّ إريك بقلق، وسأل: ماذا يحدث؟ وعندما شغَّلت صوت الطرق عبر مكبر الصوت، قال: يا إلهي! هذا ما يحدث؟! وانصرف في الحال.

• • •

في جلستي التالية مع الطبيبة النفسية، قالت عن هذه الاستعارة إنها حرب نفسية، وإنه يجب عليَّ التغاضي عنها، واعتبار ما قيل مجرد كلمات قيلت من بعيد في لحظة انفعال.

هناك عبارة مفادها أن العصي والحجارة قد تكسر العظام، لكن لا يمكن أبداً للكلمات المؤذية أن تكسرني، لكن عظامي شديدة الهشاشة، إضافة إلى حساسيتي لسكر الحليب!

• • •

في خطاب الافتتاح، قالت الروائية ج. ك. رولينج إن هناك تاريخ انتهاء لحالة الإلقاء باللوم على الوالدين بشأن توجيهك في

الاتجاه الخاطئ، فمنذ اللحظة التي ينضج فيها المرء بما يكفي كي يتسلَّم دفة القيادة، تقع المسؤولية عليه.

أدرك أنني لست مسؤولة على نحو كافٍ لتولي قيادة أمور حياتي، فبداخلي إحساس بالخوف وبالذنب.

لا يمكنني تحمل غضب أبويَّ مني، لذا لا أستطيع النوم، وبسبب عدم نومي، فلا يمكنني القيام بأي شيء آخر.

بعد خمسة أيام متواصلة من الأرق تملَّكني الشعور بالخوف والذنب والارتعاش والرجفة المستمرة خلالها، تكبّدت محاولات لا حصر لها لربط الحذاء فلم أقدر على الإمساك بالرباط، واضطررت إلى طلب المساعدة من إريك، مع شعوري بالرغبة في القيء وعدم تمكُّني من ذلك؛ لأنني لم أتناول أي شيء بالفعل.

رحت أفر من أمام كل سيدة من ذوات الشعر الأسود القصير، ومن أمام كل الرجال من أصحاب البنية الجسمانية الضخمة، وعند كل منعطف أظن أنهما آتيان لسؤالي!

بينما كنت أشاهد التلفزيون، انتقلت بمحض المصادفة إلى مشاهدة فيلم مثير، يقوم فيه شخصان يرتديان قناعين أسودين باحتجاز فتاة في مؤخرة السيارة.

ظننت أنهما والداها، فمن غيرهما قد يفعل شيئاً كهذا؟ وبمجرد أن توصلت إلى هذا الاستنتاج، صرخت وألقيت بالريموت كونترول عبر الغرفة.

إنها معضلة الدجاجة والبيضة.

هل انخرطت في مجال العلوم لأنني أحبها؟ أم لأنني ـ في البداية ـ كنت متفوقة جدّاً فيها ثم بدأت أحبها؟

ما يحبه إريك في الكيمياء هو الذرة التي هي أساس كل شيء. منذ أربع سنوات، وفي مشهد أول موعد لنا في مطعم «آي هوب» بعد انتهاء العمل في المعمل، تناولنا عشاءً متأخراً، أو ربما إفطاراً مبكراً، فقد أدركنا أن الوقت قد بلغ الثالثة صباحاً.

قال إريك: لفهم الحياة على المستوى الجزيئي، ولفهم العالم على المستوى الجزيئي، نجد أن الذرة مكوَّنة في أغلبها من الفراغ، وإذا قمتِ بإزالة الفراغ من كل ذرة، فسيمكن استيعاب جميع أهل الأرض في مكعب بحجم مكعب السكر.

أخيراً، قلت لإريك: إن هذا لم يعد محتملاً؛ تلك الرجفة المستمرة وإلقائي للريموت كونترول، وإحضار الكلب للجهاز ثانيةً في كل مرة ووضعه في حجري مباشرةً ظنّاً منه أنني ألهو.

أجاب إريك: سوف يغيّرون رأيهم.

سألته: كيف لك أن تعلم؟

أجابني: لأنهم من البشر، وهذا حال البشر.

ربما في مكان ما قد يكون هناك مثل صيني يقول إن الوالدين هما الوالدان، وفي رأي من هم عدا أبنائهم فإنهم بشر.

وأدركت أنني إذا أردت النوم ثانيةً على الإطلاق، فيجب أن أتصل بهما وأكذب عليهما.

وهكذا قلت لهما إنني كنت أمر بيوم سيئ فحسب، وإنني سوف أنتهي من الدكتوراه قريباً، وسوف أحصل على وظيفة.

كل ما قالته أمي كلمة جيد، ثم أنهت المكالمة.

قال إريك: أنا لا أفهم هذه السلطة التي يفرضانها عليكِ.

قلت له: لكنك حتى لم تستطع إخباري بأسوأ شيء قاله والداك.

ـ وهل هذا أمر سيئ؟

لطالما تساءلت ماذا كنت سأصبح إذا نشأت مثله؛ الملاحظات والملصقات وأسئلة المدح التي يطرحونها عليه على المائدة بجوار الموقد. ربما لأمكنني الاندماج اجتماعياً على نحو أفضل وسط التجمعات الكبيرة بدلاً من تحديقي المستمر في الأحذية، ولرفعت رقبتي عالياً كالزرافة... المخلوق الأكثر شموخاً بين الثدييات.

• • •

إليكم هذه المزحة:

ماذا تفعلون بكيميائي مريض؟ هل تعطونه هيليوم.

أم كوريوم،

أم باريوم؟!

• • •

لم يمنعنا بقاؤنا معاً في حالة الانتظار من مشاركة تناول الوجبات اللذيذة، فحتى في حالة الانتظار لم نزل في حاجة إلى تناول الطعام.

فبراير: شهر بارد وكئيب، لكنه أيضاً شهر تضع فيه الكثير من المطاعم الفاخرة قائمة بسعر ثابت للعديد من أطباقها بهدف اجتذاب زبائن أكثر ممن هم في مثل حالتنا المادية.

وهكذا، ذهبنا إلى مطعم إيطالي رفيع المستوى في منطقة باك باي، حيث يظهر مشهد مثالي لمدينة بوسطن؛ صفّ من أعمدة الإنارة، وصفّ من الحجر البني، والثريات البلورية تظهر من خلال جميع النوافذ. هل اللفظ المناسب هو الحجر البني أم الحجر الطوبي؟ في رأيي كان الأخير دائماً هو الأكثر بداهة. واستطعت حل شفرة بعض الأطعمة في القائمة من خلال المنطق الاستنتاجي؛ على سبيل المثال: Antipasto ليس معناها معكرونة، تماماً مثل (antimatter) والتي تعني أنها ليست مادة.

يريد إريك أن يعرف، إذا لم يكن الزواج الآن فمتى؟ إذا كان لديه جدول زمني، فسيستطيع التخطيط بشكل أفضل للمرة القادمة؛ فإذا كان خلال أشهر قليلة، سيحتفظ بعلبة الخاتم في الدرج، وإذا كان خلال سنوات، فسيضع علبة الخاتم في مكان للتخزين، ويطلب الزواج بي مرة أخرى عندما أكون مستعدة.

في بعض الأحيان يجعلني منطقه هذا أظن أن إريك كان مقدراً له الانخراط في مجال العلوم، فقد حاول إديسون عشرة آلاف مرة تجربة أسلاك المصباح الكهربائي قبل أن يتوصل إلى السلك المناسب، وما بين ظهور ليوناردو والأخوان رايت، استغرقت البشرية خمسمائة عام لتحقيق حلم الطيران.

وبعد أن ذكرت لإريك عدم معرفتي النهائية بالموعد، وضعت له قائمة ببعض الفتيات من أصدقائنا المشتركين اللائي قد يكون أكثر سعادة مع إحداهن، فهن فتيات مفعمات بالحيوية والمرح، ولديهن الاهتمامات المشتركة نفسها، خاصةً في الموسيقى، فهن

يرضين فقط بالاستماع إلى الموسيقى كنشاط، كما يحببن فرقة البيتلز وموسيقى الميتال التقدمية وفرق عزف أخرى لا أعرفها، ويمكنهن التحدث معه عن تزامن الإيقاعات المتعددة، فأظن أن تزامن الإيقاعات المتعددة هو أمر يمكن التحدث بشأنه.

نظرت خارج النافذة على الثلج المتساقط.

تحدثت عن واحدة من أصدقائنا المشتركين وهي أكثرهم سعادةً، فهي تميل إلى التصرفات العفوية مثل الوثب فوق ست أقدام من الثلج المتكون حديثاً كي تشتري كتباً مقروءة من متجر لبيع الكتب.

قال إريك بينما يلف المعكرونة الحمراء حول ملعقته: لكنني لا أريد فتاة تقفز فوق ست أقدام من الثلج المتكوّن حديثاً، بل أريد فتاةً تمكث داخل البيت.

في هذا المساء، أسندت رأسي إلى صدره، واستمعت إلى دقات قلبه؛ أصوات فتح الصمامات وانغلاقها، بينما تدخل الدماء من الأذين إلى البطين، ومن البطين إلى الشرايين، وتعود مرةً ثانية، حيث يعتبر نظام الدورة الدموية نظاماً مغلقاً، بمعنى أن لا شيء يدخل أو يخرج منه.

القاعدة الأولى في معمل الكيمياء ألا تُسخِّن أبداً نظاماً مغلقاً، وإلا سوف ينفجر.

• • •

إن أكثر التجارب عاطفية، وبخاصةٍ تلك المنطوية على الخوف، تُنشِّط الأجزاء المسؤولة عن الذاكرة طويلة المدى في

المخ، وهذا منطقي من الناحية النشوئية، لأن القدرة على تذكُّر الأحداث المخيفة تمثل أهمية حيوية لتجنُّب الموت في البرية.

هناك أحد الأمثلة وهو ميلاد الرضيع، فتجد دقة رهيبة لدى الأمهات في سرد فترة الألم وشدته، لكن تقل هذه الدقة فيما يتعلق بتفاصيل المولود نفسه.

استغرقت ولادتي كما تحكي لي أمي عشر ساعات وثلاثاً وعشرين دقيقة.

قالت أمي: تم تعجيل ولادتي باستخدام الأدوية.

ومن دون استخدام الأدوية المسكنة.

سألت أمي وأنا في السابعة من عمري: كيف بدا شكلي؟

ككل الأطفال الرضَّع.

وماذا أيضاً؟

كثمرة البطاطس.

أما بالنسبة إلى الطفل فيجب أن يحدث العكس ويستدعي ذكرياتٍ عن الأم.

وهذا أيضاً ما طلبته مني الطبيبة النفسية.

أذكر ذات مرة أن أمي أوقفت السيارة بصورة أفقية عبر الممر، وبعد ذلك ولكي يتمكَّن أبي من المغادرة بالسيارة فقد اضطر إلى قيادتها عبر المرج، ومن خلال شجيرات الورود ثم مروراً بصندوق البريد، ولم يكن هناك رسائل بريدية في هذا اليوم.

وذات مرة قطعت أمي كل أسلاك الهاتف في المنزل، فقد أرهقتها الاتصالات بأماكن مثل متاجر بيج لوتس ومتاجر مارشلز والسؤال عن توافر فرصة للعمل، وعبر الهاتف كانوا يستطيعون تمييز لهجتها الصينية، ويقولون إن الوظيفة قد شُغلت أخيراً، لكن بعد قطعها للأسلاك ندمت على هذا الأمر، فكيف يمكنها الآن الاتصال بالصين.

وفي ذات مرة، بقيت أمي في الفراش لثلاثة أيام وثلاث ليالٍ تشرب فيها شراب الطهي وتكتب الخطابات. لا أدري إلى من تكتب تلك الخطابات، لكن أظن أنها تحدثت في خطاباتها عن أمور مهمة، ولم يكن بوسعي قراءتها؛ لأنها مكتوبة باللغة الصينية.

وفي المقابل، كسر والدي جميع الأطباق الموجودة في المنزل، ثم وقف في ممر غرفة نومها وهو يصيح قائلاً: لا تجلسي هكذا وتشعري بالأسف على حالك، بل انهضي. وبالفعل... نهضت أمي وغضبت ودفعته إلى خارج الممر حتى تعثَّر ووقع. وتساءلت كيف تمكَّنت أمي من فعل هذا الأمر الجلل، فهي كالطائر صغير الحجم، بينما كان أبي قوي البنية.

سألت الطبيبة النفسية: وماذا أيضاً؟

أجبتها: ربما هذا ما جرى معي... فقد شعرت بالقوة المطلقة عند تهشيمي لتلك الأكواب، لكنني شعرت بالسوء بعدها، لأنني لم أكن رحيمة بالأكواب وجعلتها تعاني بالنيابة عني.

إن إسقاط المشاعر على الجماد من الأعراض التي تحدث

للطفل الوحيد، فلمن عساه يتحدث عندما يتشاجر الأبوان باستثناء الجدران وأعمدة الدرابزين وغيرها من الجمادات؟

• • •

حان الآن وقت تناول وجبة جديدة في يوم جديد، لكن المنطق الاستنتاجي لا يجدي نفعاً في المطاعم التي يُكتب فيها كل شيء باللغة الفرنسية.

لذا، اضطررت إلى سؤال النادل: ما aperitif؟ ما amuse-bouche؟ ما la carte de vins؟

هذا المطعم شديد الرقي، فالطاولات مصنوعة من الرخام، وتخيلت أمي وهي تلتقط منديل المائدة بأصبعيها وتبسطه على حجرها. وكانت أمي لا تفهم السبب في الصورة الفظة المأخوذة عن الصينيين التي صادفتها لأول مرة عند قدومها إلى أمريكا، ولا تفهم السبب في رؤيتهم لنا كأشخاص أفظاظ وقذرين إلى أن دخلت إلى مأدبة صينية وخرجت منها. قالت أمي حينها: لا يحدث أمر مثل هذا في شانغهاي، ففي شانغهاي تجد الأرض نظيفة، وطاقم النُّدُل لطفاء، ويمكن الحصول على أي نوع ترغبه من الأطعمة. لكن أمي سألت: ما لحم الخنزير الحلو والحامض؟ ولم يعجبها مذاقه، وقالت: لا تجد شيئاً مثل هذا في شانغهاي.

قال إريك: الشراب... كلمة vin تعني خمراً.

طلبت من النادل إحضار عربة زجاجات الشراب كلها، إلى جانب شفاطة كبيرة.

قال إريك: ماذا سيحدث إذا جاء لي عرض لشغل وظيفة في أوبرلين؟

هل هذا ما تريده بالفعل؟

قد يكون تسعة وتسعون في المائة مما أريده بالفعل، فهي الكلية المثلى لما أريد أن أقوم به.

حينها أظن أنني سوف أحتفظ بالكلب.

هل يمكنكِ حينها التفكير في المجيء؟

في ذهن العالِم يكون الجمال هو البساطة؛ أجمل التجارب رقياً هي التي لا تستغرق أي وقت في إعدادها وتقدم إجابات شافية عن كل الأسئلة.

أجبته: نعم، لقد فكرت في المجيء.

في عالم مثالي، لكان من الممكن أن أذهب معه دون شك، ولقلت حينها: أوهايو... يا لها من ولاية مختلفة... هيا لنحظى بمغامرة جديدة هناك مع كلبنا.

لكن بمجرد ذهابي إلى هناك صارعتني أفكار أخرى.

فأنا الفتاة التي لحقت بفتاها... وأنا أعلم ماذا يحلُّ بتلك الفتيات؛ فهنَّ لا يشعرن أبداً بالسعادة ثم ينقلن تلك التعاسة في كل مكان.

قال إريك هذا الكلام كثيراً من قبل وكرَّره ثانيةً: إن المقارنة التي تعقدينها غير منطقية؛ أوهايو جزء من أمريكا، ويتحدَّثون فيها

بالإنجليزية، ولن تجدي صعوبة في عقد الصداقات هناك، ومن يدري، ربما تحبين المكان هناك أكثر من المدينة، ثم ماذا عن كل المساحات الشاسعة والهواء النقي؟

عودتنا إلى المنزل من المطعم الفرنسي كانت البداية لشجار آخر كبير.

ورغم كبر الشجار فقد كان أيضاً هادئاً، لأن إريك لا يقول أي شيء عندما يُجنُّ جنونه من الغضب، بل يجلس ويحدّق في الفضاء.

وعندما يزداد جنونه يقف ويذهب إلى غرفة أخرى.

واكتشفت أنني أقرب شبهاً إلى أمي في هذه الحالة، حيث اتبعته إلى الغرفة الأخرى لكي أقول الأشياء ذاتها التي قلتها في الغرفة الأولى: يا هذا! هل تستمع إليَّ؟ هل أنت أصم؟ لكن المضاد لنفاد الصبر الموجود لدى إريك لا يمكن زعزعته.

قال لي أخيراً: الوقت قد تأخَّر، دعينا نحاول النوم.

وبعدها قام بفتح الدش من أجلي، وناولني منشفة جديدة مغسولة، كدت ألا آخذها، كنت قد قلت قبلها بقليل: دعنا نتوقَّف عن التحدث ولننفصل ويذهب كل منا في طريقه، ومع ذلك فقد وضع المنشفة بعناية حول رقبتي.

• • •

أظهرت الدراسات أن الكلاب لا تتأقلم بشكل جيد في بيوتها الجديدة، وأنها تحاول في نهاية الأمر العودة ثانية إلى بيتها القديم،

حتى إن اضطرت إلى الركض في وجه حركة المرور.

وتساءلت: لكن ماذا يفعل أصحاب هذه الكلاب؟

هل يركضون وسط حركة المرور للحاق بها؟

عندما أريت هذه الدراسات لإريك قال لي: هذا لا يعني أي شيء.

قلت له: بل يعني شيئاً ما.

ها أنا أخرج ثانيةً، وسط الرياح والجليد كي أنزّه الكلب، الذي يشعر بالحماس الشديد لذهابه إلى المتنزَّه والتبوُّل على رجل الثلج، ثم نرى طفلة حديثة السير تركض عبر التندرة لاحتضان رجل الثلج الأصفر، وأمها تجري بسرعة من خلفها كي توقفها.

• • •

في تلك الليلة لم أستطع النوم، وفكرت في أنني قد أكون أكثر ارتياحاً إذا نمت على الأريكة بدلاً من الفراش، لكن بمجرد أن أصبحت على الأريكة أدركت أن الجلد بارد جدّاً، والسقف معتم جدّاً، وفي أية لحظة الآن قد تتسلَّل العناكب من تحت الحشوات إلى داخل فمي.

في المتوسط يبتلع الشخص ثمانية عناكب سنوياً خلال نومه.

وقد حاول العلماء كشف زيف هذه الخرافة على مدى سنوات، فيقولون إن الإنسان كبير جدّاً في حجمه بالنسبة إلى العنكبوت، حتى إننا في نظرهم نكون مجرد مشهد طبيعي، وأن اهتزازاتنا (التنفس، والغطيط، وضربات القلب) من شأنها أن

ترسل أي عنكبوت وهو ينتحب إلى التلال قبل أن يقترب بأي حال من الأحوال من الفم.

لكن بمجرد سماعي للرقم ثمانية، لم أستطع أبداً إزالته من رأسي.

وأيضاً هل تنتحب العناكب؟ لا أدري.

في الفجر، حملني إريك ثانيةً إلى الفراش وسألته عن رأيه: كان يترنَّح لكن ذهنه متقد، وذكَّرني بأن للعناكب هيكلاً خارجيّاً والهدف من هذا الهيكل هو الاحتفاظ بالسوائل في داخلها.

• • •

صديقتي المقربة تقول لي: تعالي لزيارتي... تعالي لزيارتي.

قلت لها: حسناً.

ذهبت بالقطار ووصلت ولوَّحت إليها بيدي وسط بحر من البشر، كنت أرتدي بنطالاً أصفر زاهياً وقميصاً أبيض ومعطفاً رقيقاً للغاية. لم أكن قد زرتها منذ عام كامل، وقد نسيت أن مانهاتن بالكامل عبارة عن نفق للرياح.

عندما رأتني قالت لي: تبدين أشبه بثمرة الموز. كانت تمزح عندما قالتها، لكنني حساسة بعض الشيء؛ لذا عندما بدأت في فقد صوابي، قالت: ثمرة الموز مليئة بالعناصر المغذية.

صديقتي المقربة هي إحدى المحظوظات. والداها أيضاً صارمان ودفعاها للالتحاق بكلية الطب رغماً عنها، وفي الجامعة درست علم الأحياء وأحبَّت فأر المعمل الذي لا يَرُد الإساءة

عندما تقتله، وطريقة معاملة الطبيب للمريض، وفكرة حمل الأخبار السيئة لأهالي المرضى، ولم تستأ من كلية الطب نفسها، ربما استاءت من الطلاب لكن ليس من المرضى، فقد كانوا لطفاء. ومن لم يكن لطيفاً منهم، فلا تلومه فيكفيه ما هو فيه من ألم. بعد مرور أول مناوبة لإقامتها كطبيبة، دامت لثمانٍ وعشرين ساعة كانت لا تزال لديها طاقة للتحدث معي، فقد كانت مستيقظة بفعل القهوة، وظلَّت تتحدَّث عن طائر الحمام. سألتها: كيف عرفت أن هذا المجال هو الأنسب لكِ؟ قالت: بكل صراحة، لا يمكنني تخيُّل نفسي أقوم بأي شيء خلاف هذا.

طلبت من الطبيبة النفسية: ابحثي لي عن المجال الذي يمكنني تحقيق أكبر تأثير فيه وسوف أقوم به.

أجابتني: أبحث لكِ ولكل الناس أيضاً.

لفترة من الوقت كان معي قائمة مستمرة من المهن الحيوية الأخرى؛ كاتبة لجدول برامج للمجموعات السياحية، ومتذوّقة للأطعمة الجديدة والغريبة، ومراقبة للناس من مقاعد الحديقة.

قلت لصديقتي المقربة: إننا حتى لم نصل إلى محطة قطارات بنسلفانيا من قبل، وبالنسبة إلى مجال العلوم فلم يزل فيه سحر خاص، لكنني لا أستطيع العثور عليه.

دعكِ من العلوم الآن، ماذا بشأن إريك؟ فقد يغادر من دونك.

ماذا يفترض أن أفعل؟

أبقيه معكِ أو ارحلي معه.

لا أستطيع.

أيهما لا تستطيعين عمله؟

كلاهما.

علمت صديقتي أنني لم أحزم أي الحقائب استعداداً لتلك الزيارة؛ فليس معي ماء أو أي من الملابس أو الحقائب، بل كل ما أحضرته هو نفسي وحُلة ثمرة الموز.

قالت لي: لا عليكِ، ماذا يمكنني أن أفعله لمساعدتك؟

ذهبنا إلى منطقة المقاهي؛ حيث يوجد مقهى سوهو ومقهى ذا فيليدج، وطلبنا كابوتشينو منزوع الدسم. وبعدها ذهبنا نتقافز باحثتين عن دورة المياه، وتفاجأت من معرفتها بكل أماكن دورات مياه الفنادق الجيدة في المدينة رغم جهلها التام بمحطات المترو. قالت صديقتي: السير أفضل على كل حال، وبخاصة مع تلك الأحاديث عن انسداد الشرايين. وكانت دورات المياه رائعة الجمال؛ فهناك دورة مياه بقرميد أزرق لامع، ودورة مياه أخرى بها مناديل قماشية وكبيرة للخدم.

لم أظن أبداً أن الجلوس في دورة المياه قد يبعث على الاسترخاء لهذه الدرجة، فقد تمَّت صناعته بتكنولوجيا عالية في اليابان، وبضغطة على زر الشمس المشع تنبعث إضاءة محيطية، وبضغطة على زر النوتة الموسيقية تنساب موسيقى موزارت.

وأخيراً أخبرتني صديقتي بما كانت تدخره لي من أخبار.

قلت لها: يا إلهي.. طفل!

مسحت صديقتي على بطنها الذي لا يزال مسطَّحاً، لكنه يكبر ميلليمتراً كل يوم، وقالت: موعد ولادتي سيكون هذا الصيف. تخاف صديقتي من ظهور علامات التمدُّد، وكذلك العبء التالي لتربية المولودة (كما تتمنَّاها).

قالت لي: ما مدى صعوبة الأمر؟

قلت لها: لن يكون صعباً، فقط لا تهدهديها كثيراً، دعيها لتنام، اتركيها تفعل ما يحلو لها، قولي لها الأمور المعتادة مثل؛ اتبعي أحلامك، ثم ذكّريها أنه سيتعيَّن عليها في بعض الأحيان التخلّي عن تلك الأحلام لتوسيع مجال لطموحات أكثر واقعية مثل المال اللازم لدفع الفواتير.

تريد صديقتي لابنتها أن تصبح عارضة أزياء، بافتراض أن رجليها ستكونان طويلتين ومناسبتين، أو أن تصبح ممثلة جميلة ومشهورة وليس من الضروري أن تكون شديدة الذكاء.

وأدركت مبعث كلام صديقتي.

• • •

عندما تلد المرأة، يطلق جسمها كميات كبيرة من الأوكسيتوسين وهو هرمون يساعد في إنشاء رابطة الأمومة.

ويطلق على هذا الهرمون أسماء أخرى عديدة منها:

جزيء الأخلاق.

هرمون الثقة.

مصدر الحب والرخاء.

يتباين انطلاق الأوكسيتوسين في أجسام الأمهات، فيظهر في أعلى مستوياته لدى بعض الأمهات اللائي يرفضن أن يتم انتزاع أطفالهن من بين أيديهن، ولا يظهر بهذا القدر العالي لدى أخريات.

عندما سمعت بهذا الأمر لأول مرة، ظننت أنه من المحتمل جدّاً عدم وجود أي ذروة.

• • •

بحثت في المجلات المعنية بتربية الأطفال عن كيف أصبح خالة جيدة لكنني لم أجد أي شيء، ولكن وجدت حديثاً صحفيّاً مع عارضة أزياء شهيرة قد أصبحت أمّاً، وقالت إن مشاهدتها لأمها تقف بكامل أناقتها أمام المرآة كان أول ما اجتذبها إلى عالم الموضة.

وقرأت أحاديث صحفية مع عارضات أخريات، وبدا الرأي السائد هو أن وجود الأم أمام المرآة كان كفيلاً بإبهار كل واحدة منهن.

وكان لا بد من إخبار صديقتي المقربة، فاتصلت بها لكنها في العمل، لذا بعثت برسالة على جهازها الطنَّان فاتصلت بي في الحال.

طلبت منها الخروج في الحال وشراء مرآة كبيرة بالحجم الطبيعي، وعقد طويل من اللآلئ، وفستان جميل. وعند مجيء المولودة، يجب عليها ارتداء هذه الأشياء في كل يوم أمام طفلتها وبعدها في مقر العمل يمكنها ارتداء ثياب المستشفى، وقلت لها: لا يمكن أبداً أن تجعلي طفلتك تراكِ في ملابس المستشفى، وإلا سيضيع الوهم وستراكِ كإنسانة عادية، وترى نفسها عادية، ولن تسعى للانتقال إلى عالم الموضة أو الأزياء.

سمعت أصوات صفارة الإنذار عبر هاتفها وقالت صديقتي: ما الذي تتحدثين بشأنه؟

أعلم أن الارتباطية لا تعتبر سببية، وأعلم أنه من الصعب إثبات صحة السببية، ما لم يكن لدينا بلورة مسحورة أو آلة زمنية نعود فيها بالزمن إلى الوراء، ونخفي الأم من أمام المرآة، ثم نرى ما إذا كانت الفتاة سوف تصبح عارضة أزياء أم لا، أو نخفي كلا الوالدين من أمام المرآة، ونرى ما إذا كانت الفتاة ستظل تسعى إلى الحصول على الدكتوراه أم لا.

إذا كان لي أن أعود بالزمن إلى الوراء، لربحت جائزة اليانصيب أولاً، ولربحت جائزة اليانصيب ثانياً.

إذا فزت بمليون دولار فسوف أستثمرها.

قال إريك: لكنك تغفلين الهدف من السؤال، فمنذ دقيقة كنت تناقشينني في مخطط الفوز باليانصيب.

ويعود إريك فيسأل: لكن ماذا سوف تفعلين إذا امتلكت هذا القدر من المال؟

وأعود فأجيبه، ثم يقول لي: المال ليس الهدف هنا، بل المهم هو ما الذي ستختارين قضاء وقتك في عمله بعد ذلك.

قال إريك إنه لو امتلك مليون دولار، لقضى يومه في العزف على الطبول.

وأنه لو امتلك مليون دولار، فسوف يقرأ.

أضاف إريك: هذا ما أعنيه، وأنا الآن أشعر بالانزعاج.

قلت لإريك: حسناً... لو امتلكت مليون دولار، لذهبت في عطلة قصيرة ثم استثمرت الأموال بعدها.

عادةً ما يُرى الصينيون كأشخاص نفعيين، لكن أليس هذا ما قد يفعله معظم الناس؟ فمن قد يفوز بمليون دولار ويهتم بالقراءة فحسب؟ كما أن إريك ليس لديه وقت للعزف على الطبول، فقد توقَّف عن العزف عليها عندما توقف عن قراءة الكتب، وكان يقول حينها، أين أجد الوقت؟ لكن الأهم، أين أجد المساحة؟ الجدران العازلة للصوت؟ أين أجد الفرقة؟ وقد حاول إريك الانضمام إلى فرقة في بداية دراساته العليا لكنه اضطر بعدها إلى تركها، فأين يجد الوقت؟

عندما ذكَّرته بكل هذا انزعج وقال: أنتِ تأخذين كل شيء بصورة حرفية أكثر من اللازم.

في عطلات نهاية الأسابيع كان يضطر إلى السفر بالطائرة إلى كل واحدة من الكليات لإجراء مقابلات العمل وإبهار المسؤولين بعرضه التقديمي باستخدام برنامج الباور بوينت. عندما تمرَّن على عرضه التقديمي أمامي، انبهرت بما قدمه، وقلت له: ماذا لو أضفت أشعة الليزر؟ وكان هذا اقتراحي الحقيقي الوحيد.

كنت أمكث أنا والكلب في المنزل، ويقول لنا قبل رحيله: حافظوا على الحصن.

وأجيبه بلهجة التابعين: سمعاً وطاعة أيها القائد.

• • •

دوّن أيضاً ما يلي:

فهم الضوء يعني فهم طيفه.

فهو عبارة عن طيف طويل، لكنَّ هناك سبباً لهذا الأمر؛ تأتي الأشعة فوق البنفسجية بعد الأشعة البنفسجية، بينما تأتي الأشعة تحت الحمراء قبل الأشعة الحمراء. إذا أعدت كل شيء إلى مبادئه الأولى، فلن يتعيَّن عليك أبداً حفظ أي شيء.

وأشرت بعدها إلى خارج النافذة، وقلت: انظر كم يبدو الضوء في الخارج مائلاً إلى الزرقة، والظلال أكثر طولاً، لأننا لم نزل في منتصف فصل الشتاء، وتقع الشمس في مكانة أدنى في السماء.

يستمر منتصف الشتاء حتى شهر مارس، وأظل أرتدي الكثير من الملابس الدافئة ثم أخرج إلى الخارج، لكن الرياح الغبية تتخلَّل طبقات ملابسي وصولاً إلى قمصاني القطنية، ولا أتمكَّن حتى من العبوس، بل يتجمَّد وجهي من لسعة الصقيع.

يوصلني إريك حين تزداد برودة الجو، لدرجة يصعب معها الذهاب بدراجتي أو السير إلى المكتبة، ويعود بي إلى المنزل في آخر اليوم. أقول عندما أخطو إلى داخل الصندوق المتحرّك الساخن: شكراً... شكراً، أشكر النفط والمكابس، وأشكر هنري فورد.

تأتي فترة من الوقت يتساءل فيها طلابي عما إذا كنت غاضبة منهم.

أقول حينها: ماذا؟ بالطبع لا. لماذا ظننت هذا؟ لأن الجو بارد؟ الجميع غاضبون بسبب البرد. من منا في هذه الأيام لا يريد معاقبة السُّحب؟

ثم أدركت السبب.

لم يكن البرد هو السبب، بل لأنني كذبت في اختبارات النظر، فأنا أفضل قوة النظر الأقل حدة، وبالتالي أُضطرُّ طوال الوقت إلى إغماض عيني نصف إغماضة، مما يجعل الآخرين يظنون أنني أنظر إليهم بازدراء، بينما أحاول فقط استشفاف ملامحهم.

حاولت معالجة هذا الأمر من خلال النظر إلى كل طالب بعينين مفتوحتين عن آخرهما وحاجبين مرفوعين.

والآن، يسألون ما إذا قالوا شيئاً أدهشني، لكنني قررت أن نظرة الاندهاش طوال الوقت أفضل من نظرة الغضب.

العين عدسة مُجمِّعَة، وسمِّيت بهذا الاسم لأنها تجمِّع الضوء، بما يشبه كثيراً الزجاج المكبّر.

كانت أمي تقول لي وأنا طفلة أنظر حولي: لا تحدّقي. حين كنت أرى زوجين يتبادلان القبلات في الحافلة، أو مسنَّين متشابكَي الأيدي، فقد كان إظهار المشاعر على الملأ يبهرني، حيث يبدو الأمر كمشاهدة جريمة. وتقول أمي: لا تحدّقي؟ وأسألها لكن لماذا؟ فتجيبني لأن العين عدسات مكبرة. في نشأتي كان نظري ممتازاً إلى أن وصلت إلى المرحلة الثانوية، ثم بدأت الأشياء تصبح ضبابية في عيني، وقد أحببت هذه الضبابية؛ فهناك بعض الأشياء التي أفضّل عدم رؤيتها.

الكل يعاني حَبّ الشباب، لكن لماذا يبدو حب الشباب لديَّ الأسوأ على الإطلاق؟ يحظى الجميع بوالدين، لكن لماذا يبدو

والداي هما الأسوأ على الإطلاق؟ ناهيك عن نظرات الناس إلينا عند سيرنا على الملأ، ليس السبب أننا صينيون، بل لأننا في بعض الأحيان أثناء سيرنا نبدأ في المجادلة.

اشترِ هذا وليس ذاك، من الذي يدفع أموال الإيجار؟ من الذي يدفع ثمن الطعام؟ وعندما أقول لهما: توقفا أنتما الاثنان. كانت أمي تقول: ماذا قالت؟ هل سمعت ما قالته؟ من تظن نفسها؟ أميرة صغيرة أو إمبراطورة صغيرة. لم يعد في استطاعة الوالدين حتى التحدُّث من دون أن تتدخَّل الطفلة في حوارهما.

لم أتلقَّ عقاباً قط، فلم يحدث أن أجلساني في غرفتي من دون طعام، فأهلي يجدون سهولة شديدة في هذه الأنواع من العقاب، ويعتقدون أنه ينبغي للطفلة الشعور بالسوء إزاء تصرفاتها، وهكذا تتمثل فكرتهم عن التوبيخ في التحدث عني كما لو أنني غير موجودة، ويتم استخدام ضمير الغائب في حديثهم عني، ويتجاوزان النظر إليَّ، وأيّاً كان ما أقوله فهو غير معترف به، لكن بمجرد غمغمتي بشيء ما باللغة الإنجليزية فقد قلت: إن هذا هراء.

هل كانت اللغة الإنجليزية أم وقاحتي هي ما أوصلت أبي إلى فقد أعصابه؟ وفي الحال تلقَّيت لطمة فوق وجهي.

• • •

على مدى عطلة أخرى في نهاية الأسبوع قضيتها من دون إريك، كنت أشغل وقت فراغي في متجر للبقالة مشهور بعيّناته المجانية، وتجد صديقتي المقربة غرابة في هذا الأمر، وتسأل: لماذا أجدك دائماً في المتجر؟

قلت لها: لأن الممرات منظمة وموضوعة بشكل جيد، ولأن كل شيء، تقريباً كل شيء يمكن أكله، فالمكان يبعث على الهدوء، عليكِ تجربة هذا الأمر، لكن صديقتي لا تفضل تجربته، حيث يتم توصيل منتجات البقالة إلى بيتها بصورة أسبوعية، وهذا ـ بالنسبة إليها ـ هو ما يبعث على الراحة.

أقف في الطابور للحصول على العيّنة المجانية، ثم أعود مرة أخرى إلى آخر الصف للحصول على عيّنة أخرى، وكنت أرتدي طقم الملابس نفسه على مدى ثلاثة أيام.

عند طاولة اللحوم الباردة والجبن، كان طفل في العاشرة يخبر أمه أن الأقمار الصناعية تسقط بصورة دائمة حول الأرض، وترى الأم أن هذا الكلام سخيف، وتسأله: من أين أتيت بفكرة مثل هذه؟

لم أشأ التدخُّل، لكن بينما كنت أنتظر عيّنة اللحم المدخَّن المجانية، تدخَّلت على أية حال.

وقلت: هو في الحقيقة على صواب، ولنفس سبب سقوط كرات القاعدة بعد إلقائك لها، كذلك تسقط الأقمار الصناعية، لكن انحناء الأرض نفسه يمنعها من الارتطام بالأرض.

واستكملت كلامي: فكّري بماذا قد يحدث لأعداد الركض إلى القاعدة إذا لم يُقدَّر لكرة القاعدة أن تلمس الأرض أبداً، وعندها ابتسم الابن، ودفعت الأم ابنها للتحرك بعد ما كانت تحدّق بي.

المقياس هو المسافة بين علامتين على قضيب البلاتين، وهو المقياس الباريسي المعتمد.

المقياس هو المقدار لما تناولته من الشوكولاته منذ رحيل إريك.

في أحد الأيام، أنهيت كل دروسي التعليمية بمغالطة، حيث قلت للطلاب: أظهرت إحدى الدراسات أن الدول الأوروبية الأعلى في استهلاكها للشوكولاته هي أيضاً الأعلى في عدد الفائزين بجائزة نوبل، مما قد يوحي بأن الطريق إلى نوبل مُعبَّد بحبوب الكاكاو. وسأل أحد الطلاب: لكن كيف نعرف أن من تناولوا الشوكولاته هم من فازوا بالجائزة؟

أجبت الطالب وأنا أكسر قطعة من الشوكولاته وأعطيه إياها: لن نعرف.

الحمية الغذائية تبدأ في الغد!

أعاني مشكلة غريبة، حيث تتجمَّع الدهون لديَّ فقط في منطقة البطن، ولا تذهب أبداً إلى الأذرع أو الأرجل أو تحت الذقن.

وعلَّقت صديقتي المقربة ـ التي كان جسمها بالكامل يتضخَّم ـ على هذا الأمر قائلة: هذا من حسن حظك، إن الوهج الجمالي الذي يتحدَّثون عن ملازمته للمرأة الحامل ليس إلا كذب، وهو طريقة أخرى لقول كلمة بدينة ومبللة بالعرق ومشعَّة بالغضب الهرموني. فصديقتي تشعر معظم الوقت كما لو كانت فرس نهر مجنوناً.

أظن أن الوهج لم يزل موجوداً على الأرجح، لكن يصعب رؤيته... ربما يمكن رؤيته بالأشعة فوق البنفسجية أو بشيء أعلى منها.

عندما عاد إريك إلى المنزل تركت الكلب يندفع إليه بدلاً مني، ولم أخبره أنني قد التهمت رطلين من اللحم المدخَّن.

رأى إريك عدد زجاجات الشراب على الطاولة.

وسأل: ما هذا؟

لقد كان عرضاً، اشترِ اثنتين واحصل على الثالثة مجاناً.

لكن لماذا جميع الزجاجات فارغة؟

هذا ما قد حدث، لكن انظر فلدينا الآن ثلاث زهريات جديدة.

• • •

قبل تمكُّني من قراءة الأسماء كنت أظن أن كل الأولاد في أمريكا يسمون بن، وكل البنات يسمين جين؛ ففي المدرسة الابتدائية وحدها كان هناك سبعة أولاد يحملون اسم بن، وست بنات يحملن اسم جين. ولتقليل خلطي بينهم كنت أرقّمهم؛ بن 1، وبن 2، وبن 3. فقد لاحظت في هذه الثقافة الجديدة تشابه الأسماء الأولى، رغم التأكيد على الفردية.

وقد اختارت أمي اسم جوي كاسم أمريكي لنفسها.

على مدى فترة فراغ حظيت بها بين حصتي التدريس، حدَّقت في هاتفي وتخيَّلت اتصالي بأمي وإخبارها بأن الكلية قد أرسلت إليَّ خطاباً، ينبئونني فيه أنني لم أعد طالبة في الكلية، وأن هذا يُعد فصلاً دائماً ثم تمنَّوا لي التوفيق.

الهدف من الدكتوراه في العلوم هو معرفتي بفكرة مبتكرة، أما من لم يستطيعوا ذلك فعادةً ما يطلق عليهم فنيون؛ والفني قادر على اتباع البروتوكول، لكنه غير قادر على التفكير فيما يتجاوز ذلك، ويستطيع أفضل طلاب الدراسات العليا الساعين للحصول

على الدكتوراه تحقيق القفزة من صفة الفني إلى صفة العالم في سنوات قليلة، أما أسوؤهم فلا يستطيع أبداً تحقيق القفزة. يدرك بعض موجّهي الدكتوراه هذا الأمر في وقت مبكر، وينصحون طلابهم بترك العلوم، بينما يسمح بعضهم الآخر للطلاب بالوصول إلى تلك النقطة بأنفسهم.

عند وجودنا معاً أنا وإريك في المعمل ذاته، سألته: كيف استطعت القيام بهذه القفزة؟ وشرح لي المخطط الانسيابي في رأسه، وكيف يقوم مخُّه بتوجيهه، بعد كل تجربة، إلى قرميدة أخرى يبني بها نتائج الخطوة الأخيرة.

وبعدها، بدأت في الاستيقاظ كل يوم بأمل ظهور مخطَّطي الانسيابي، ثم أصدم عند عدم ظهوره.

كان إريك هو أول من أخبرني.

حيث قال لي: لا أقصد أنك لست كيميائية جيدة، فإنك بالفعل جيدة، لكن لعلك لا تبرعين في هذا الأمر.

وكانت تلك أول مرة أغضب منه إلى هذا الحد.

وصِحتُ قائلة: لا أبرع فيه؟ من تظن الكيمياء نفسها؟ إذا أردت أن أبرع فيها، فسوف أبرع فيها.

الكل عباقرة، عبارة قالها أينشتاين، لكنه قال أيضاً: الشخص الذي لم يقدم إسهاماً ضخماً في العلوم قبل سن الثلاثين فلن يفعل على الإطلاق.

وبالمثل، يبلغ أداء عالِم الرياضيات ذروته في سن السادسة

والعشرين؛ فلسبب ما تضمحل الابتكارية اللازمة في تحقيق العمل بعد هذه السن المبكرة.

أريت خطاب الكلية لطبيبتي النفسية، وقلت لها: انظري... ها هو ذا التوقيع المختوم، وانظري إلى الخط شديد الرسمية.

• • •

إلى جانب قلعة العزلة كان هناك غرفة أخرى لتخزين المواد الكيميائية، لكن إريك فكر في اسم مختلف لها، وأسماها كهف الخفاش.

رحت أتذكَّر: بعد قول إريك لي إنه يحبني بينما لم أدرِ ماذا أقول له، لم أقل أي شيء كان يسعى لسماعه مني. تشاجرنا، ثم هدأنا، ثم لم يرد كلانا التحدث إلى الآخر لبضعة أيام، وهذا ما حدث. في المعمل، تلك الأيام القليلة كان فيها الكثير من النظرات والإشاحة بالنظر، والكثير من سير كلينا حول الآخر دون الاقتراب كما لو كان أحدنا مصاباً بالطاعون، وكذلك إشراك أطراف ثالثة عند حاجة أحد منا إلى تبليغ نبأ عاجل للآخر؛ نبأ مثل نفاد النيتروجين وطلب كتابة طلب للحصول عليه، أو نفاد ثنائي كلورو الميثان المقطَّر، وطلب تقطير المزيد منه، أو القول بأن التفاعل الذي تقوم به هو على وشك الانسكاب... بل ينسكب الآن.

كان من الممكن أن يستمر هذا إلى الأبد، فمن أفضل في لعب دور البرودة والاستظراف أكثر من الآخر، لكن الأمر الذي لم يحتمله أيُّنا هو عدم معرفته بمكان الآخر في حال غيابه عن مكانه في الكمَّة المجاورة.

وهكذا عندما يكون في كهف الخفاش، أذهب إلى هناك للبحث عنه.

وعندما أكون في قلعة العزلة، يذهب إلى هناك للبحث عني.

ونتبادل القول بينما ندَّعي الانزعاج: ماذا هنالك؟

وأخيراً، قدَّمت له شطيرة البوريتو الحار، وكتبت على غلاف ورق القصدير ما أرادني أن أقوله.

• • •

أحضر لي طالب جديد طبقاً من الجبن والبسكويت في يومنا الأول، وقد دخل إلى المكتبة مخبئاً الطبق في معطفه، وفور رؤيتي للهدية نسيت ما كان مفترضاً مني أن أعلّمه إياه، فقلت: ما المفترض أن أقوله لك؟

تذكَّرت فقلت له: الرياضيات ليست مادة يمكنك تعلُّمها في ساعة واحدة، وأنت قد نسيت الكثير بالفعل، فقد سألتك ما الجذر التكعيبي لأربعة وستين لكنك لم تعرف، ولن تكون مستعداً لهذا الاختبار في الوقت المناسب، بل على الأرجح سوف ترسب أو بالكاد تنجح.

لكن بدلاً من أن يجيبني دفع بالطبق ناحيتي، وطلب مني تناول قضمة.

كان آخر شيء أكلته قطعة من الحلوى تناولتها بالأمس، ومن حيث المبدأ فأنا أعارض الرشوة، لكن عند حدوثها فلم يزل بوسعي تناول الطعام، وكان للجبن مذاق فاخر.

كان معلمي في الرياضيات يجعلني ألعب ألعاباً عقلية، هذا المعلم هو أبي وكانت اللعبة تنطوي على مجموعة من أوراق اللعب، حيث يضع أربعاً من أوراق اللعب الرقمية دون الصور على المنضدة ويجمع إجمالي الأربع، ويسمح لي باستخدام أي ترتيب للعمليات الحسابية للوصول إلى رقم 24. وأقول اقتراحات مثل: 2×2= 4 − 1= 3× 8= 24، أو 10× 10= 100 ÷ 5= 20 + 4= 24. كنا نلعب هذه اللعبة كلما كان من المفترض بي الذهاب إلى مكان آخر، مثل مدرسة الرقص أو الحفلة. وكان دائماً ما يقول: كل ثانية لا تتعلمين فيها... تضيع منكِ. فلم يرَ أبي جدوى من مدرسة الرقص.

وكانت القاعدة ألا أتمكن من الذهاب إلى أي مكان حتى أهزم أبي، وهو يعلم أنني لا أستطيع هزيمته.

وبشكل عام لم يكن مسموحاً لي قول عبارة إنها معقَّدة، رغم أنها عبارة دارجة على لسان طلاب المدرسة الإعدادية في وقتها. وحين يسأل أبي: ما الواجب المدرسي الذي تؤدينه؟ وأخطئ وأخبره بتلك الجملة، فيقول لي: لا يوجد أبداً ما هو شديد التعقيد بالدرجة التي لا تُمكِّنكِ من توضيحه وتمكّنني من فهمه.

والآن يسأل والدي: ما الأمر الشديد التعقيد في حياتك؟ فأنتِ لا تتحمَّلين أعباء مالية أو ضرائب أو رهناً عقارياً، أو تتقلَّدين وظيفة من التاسعة صباحاً حتى الخامسة مساءً، أو حتى أي وظيفة على الإطلاق باستثناء التعلُّم والتلمذة.

يستكمل والدي كلامه: فلا تتباهي، وكذلك لا تقولي إن حياتك معقَّدة.

لا تتباهي... ولا مجال للجدال.

عندما علمتُ بالتحاقي بأفضل كلية في أمريكا، كان والدي يقطّع الفجل لوجبة العشاء، وكنت قد علمت بشأن التحاقي بالكلية منذ عشر دقائق بالضبط، وكنت في قمة سعادتي، فقام والدي بوضع السكينة ليصافحني ثم عاد ثانية إلى تقطيع الفجل.

• • •

بعض الطلاب قالوا لي إنني لا أقدّم لهم التشجيع الإيجابي الكافي، وكانوا ينتظرون حتى نهاية الدرس، ويقولون لي هذا الأمر على استحياء.

هل تعتقدين أنني أتقدَّم؟ أنا لا أعلم ما إذا كنتِ تعتقدين أنني أتقدَّم أم لا؟

لذا، تمرَّست على بعض العبارات، مثل تقريباً، لكن ليس بالضبط، محاولة جيدة، هذا هو المطلوب، لا تقسُ على نفسك. ورغم غرابة تلك الكلمات عليَّ، فقد أصبحت شعلة من الإيجابية.

وهكذا، عندما يخطئ طالب الرياضيات في حل المسألة، أقول له: تقريباً، لكن ليس بالضبط. وأقول أيضاً: محاولة جيدة، لأنه بالفعل يحاول لكن الإجابة لم تزل بعيدة جدّاً عن الصواب.

يسأل أحد الطلاب: ما المعدَّل؟

هو عدد مقسوم على الزمن.

ما النسبة؟

هي عدد مقسوم على عدد آخر.

ما الفارق بين المعدَّل والنسبة؟

أحدهما تابع للآخر، مثلما يكون المربع دائماً مستطيلاً لكن المستطيل لا يكون دائماً مربعاً.

ما المربع؟ ما المستطيل؟

لا تقسُ على نفسك.

في نهاية حصَّتنا، قدَّم لي الطالب الجبن والبسكويت، ثم عرض توصيلي إلى المنزل.

كان الجليد يذوب في الشوارع مخلّفاً وراءه أمواجاً من الماء، وعما قريب سوف تغرق الشوارع، لكن الطقس يمازحنا، ففي الغد سوف يتحوَّل إلى البرودة مرة أخرى، وبعدها يبدأ في التغير والعودة على هذا النحو حتى قدوم فصل الصيف.

يكبر هذا الطالب عن معظم أقرانه من الطلاب الجامعيين ممن أعلّمهم، فقد سافر على مدى عدة أعوام في أنحاء العالم بعد المرحلة الثانوية، فذهب إلى أماكن مثل باتاجونيا والتبت والمغرب وفيتنام.

لماذا بحق السماء أردت السفر إلى فيتنام؟ وفجأة بدوت شديدة الشبه بأمي.

سمحت له بتوصيلي إلى المنزل، وأشرت إلى الرقم الموجود على عداد السرعة في سيارته وقلت له: انظر هنا، هذا هو المعدل.

• • •

قالت صديقتي المقربة: يظل الكثيرون معاً على المدى الطويل ولا يتزوجون أبداً. وأخيراً، بعد حصولها على إجازة من العمل في عطلة نهاية الأسبوع فقد قضتها في البحث من أجلي عن ثنائيات المشاهير ممن لم يتزوَّجوا، مثل جورج ساند وفريدريك شوبان، وكاثرين هيبورن وسبنسر تريسي. قالت: لماذا لا تفعلان الأمر نفسه؟ فليس بالضرورة أن يكون كل شيء أو لا شيء.

ونَقَلْتُ هذا الكلام إلى إريك.

وفكر إريك في كل هؤلاء الرجال الذين أحبوا عشيقاتهم بكل ذرة فيهن، لكنهم لم يتزوجوهن قط.

ونظر إليَّ كالمصعوق.

فهناك أمور أخرى تزعج إريك في الوقت الحالي.

في متجر هول فودز ماركت، وجدت ماسحاً ضوئيّاً محمولاً باليد عند ماكينة تسجيل فارغة. وأخذته وصوَّبته في كل الاتجاهات وأنا أهمس طاخ.. طاخ.. طاخ، لكن إريك أخذ الماسح الضوئي بعيداً عن يدي.

قلت له: لم يكن هناك داعٍ لأخذه مني، فأنا حتى لم أتظاهر بإطلاق النار عليك.

عندما كنا ننزّه الكلب، قال إريك إنه يشعر كما لو أنه ينزّهني أنا أيضاً، لأنني أسير ببطء شديد وأنظر إلى كل شيء.

وسأل إريك بينما كان يغطّي المرحاض من بعدي: من الذي سوف يفعل هذا بعدما أرحل؟

ولم تكن نبرة صوته في الحديث حانية كالسابق، بل كانت أقرب إلى الاقتضاب والغضب وباعثة على الدوار، وبدأ في التفوُّه بأمور يعرفها كما أعرفها أنا، لكننا لم نقُلها بصوت مسموع من قبل.

وقال إريك: أليس واضحاً السبب في أنك على هذه الحال؟ أنتِ لم تحظي بطفولة حقيقية، ولهذا تهاجمينني.

لكن في المساء، ما زلنا حميمين.

استعنت بصديقتي وسألتها: ماذا تظنّين رأينا جميعاً فيما حدث؟

أجابت صديقتي وهي تكرّر كلامي: رأينا جميعاً فيما حدث... إننا نرى أن كلاً منكما قد فقد صوابه وفي حالة من الارتباك.

• • •

الأغنية الرسمية لولاية أوهايو هي أغنية روك اسمها «تشبثي يا سلوبي أو Hang on Sloopy»، استمعت إليها ووجدتها جذابة، لكن «سلوبي»؟ أي اسم هذا؟!

في وسط الولاية يوجد حقل من الذرة الأسمنتية بطول ثماني أقدام.

وفي جزء آخر من الولاية توجد أكبر سلة تنزُّه في العالم.

وفي مكان ما، قرأت أن هناك متحفاً بكل الأشياء التي تم ابتلاعها واستطاع الأطباء استرجاعها ممن ابتلعوها.

يعجبني في بوسطن قربها من البحر، ويمكنني للحظة فقط أن أطلق على هذا المكان الغريب موطني.

طرحت على إريك فرضية: إذا ذهبت معك، فهل يمكنك استبعاد طلبك الآخر؟

استبعاده إلى متى؟

إلى الأبد؟

لا أظن ذلك.

• • •

تحدثت الطبيبة النفسية عن الهوايات فقالت: يجب أن تجدي بعض الهوايات، هل لديكِ أية هوايات؟ يجب أن تجدي بعض الهوايات.

أما ما قالته زميلتي في المختبر عن الهوايات: لا يمكنك على الإطلاق تأدية العلوم باعتبارها هواية، فبمجرد تخليكِ عن مجال العلوم، فإنك بهذا تتخلّين عنه بشكل كامل.

وبالنسبة إلى ما يقوله أبي عن الهوايات: من الضروري زراعة حديقة خضراوات موسمية.

لذا، قرَّرت اتباع مدربة لياقة عبر الإنترنت، فهذا ـ حسبما أظن ـ لن يضر، إلى أن حدث الضرر... الجسيم.

تقوم المدربة بتمرين يسمى بيربي، وهو عبارة عن تمرين قفزة جاك الذي يتحوَّل إلى تمرين الضغط الذي يتحول إلى تمرين

البلانك الذي يتحوَّل إلى تمرين آخر لقفزة جاك، وقد أديت واحداً فقط من تلك التمارين وسقطت على الأرض.

ثم شاهدتها وهي تؤدي باقي التمارين على مدى الخمسين دقيقة الباقية، لكن هذه المدربة تجيد بالفعل تحميس متابعيها، فتقول:

الجسم يحقّق ما يؤمن به العقل.

العَرَق هو بكاء الدهون.

أنتِ كالألماس يا عزيزتي، لا يمكن لأحد كسركِ.

وبعد كل تسجيل، تُذكِّر متابعيها أن عضلات المعدة تصنع في صالة الألعاب لكن تتكشَّف في المطبخ، وذهبت حينها إلى المطبخ ورفعت قميصي، وقلت لنفسي لا بد أن العضلات موجودة هنا في مكان ما.

تفحَّصت الطبيبة النفسية هواياتي الجديدة: لا يوجد اكتشاف في المشروبات الكحولية، ولا يوجد صنع لزهرية، ولا يوجد... ما المكتوب هنا؟ وأغمضت عينيها نصف إغماضة كي تتمكَّن من قراءة كتابتي، وسألتني الطبيبة: هل المكتوب هو البحث عن شخص مشرَّد وتقديم عصير الليمونادة له؟

قلت لها: دعيني أوضح لكِ؛ هناك رجل مشرَّد يبحث في قمامتي الخاصة بإعادة التدوير عن علب المشروبات، وأتنبَّه عند مجيئه وأعرض عليه تناول مشروب، وإذا لم يتوافر لديَّ عصير الليمونادة، فعلى الأقل أقدم له كوباً من شراب الشعير البارد.

سألت الطبيبة النفسية: هل تعطينه شراب الشعير؟

كوباً واحداً فقط، وأعطيه بعدها العلبة للتبادل.

هذه ليست هواية، ولا يعتبر أيٌّ مما سبق هواية.

يمكن أن تعتبر هوايات، فتلك هي هواياتي.

بعض الأشخاص يقومون بأعمال البستنة.

لكن النباتات تكرهني.

أو السفر.

إلى أين يمكنني الذهاب؟

أو يلتقطون صوراً لبعض الأشياء.

أية أشياء؟

أيّاً ما تريدينه.

أنا لا أعرف ماذا أريد، أليس هذا هو سبب وجودي هنا؟

حاولي إلزام نفسك بشيء ما.

لكن ماذا عن البشر الخارجين من البشر؟

ماذا تعنين؟

في كل ثانية يولد 4.3 مولود.

استأذنت الطبيبة لإحضار الماء، ورأيت ظلها حين عادت، لكنها بقيت خارج الباب لبضع ثوان، وتذكَّرت قول إريك بأنني أحمل بالقرب من صدري كرة من الأسلاك الشائكة التي ألقيها في بعض الأحيان على الآخرين.

عندما ركبت القطار في طريق عودتي إلى المنزل، فاتتني محطة نزولي، وسأضطر إلى ركوب القطار للعودة إليها ثانيةً، وعند حسابي لتلك الفترة الزمنية وجدت أنه خلال فترة انتقالاتي قد وُلِدَ خمسون ألف مولود.

• • •

ذهب جيراننا في الطابق العلوي لقضاء شهر العسل، فقد تزوَّجا منذ أسبوع في يوم ربيعي جميل ظهر في بداياته علامات على سقوط الأمطار، ثم أمطر بالفعل.

وقد أطلقنا عليهما السيد والسيدة ستومب، إضافة إلى اسميهما الحقيقيين. كانت العروس ضئيلة الجسم وقدمها صغيرة، وكان هو ضخم الجثة بأرجل عملاقة، ولا يمكن للمرء أن يتخيَّل كيف يمكنهما الاقتراب على نحو مريح، أو كيف نظر كل منهما في عيني الآخر.

حوَّل الزوجان بريدهما علينا وذهبا إلى سانتوريني.

رأيت صوراً لسانتوريني ولا أصدق أنها تبدو بالفعل بهذا الشكل، فلا يوجد مكان بهذا الجمال، بل لن يتعدَّى الأمر أن يكون مجرد فخ للسياح، وبمجرد وصولهم، أتخيَّل وجود هيكل لمشاهد طبيعية على ورق كرتوني مقوَّى تلقي إليهم بالتحية، ومن خلفه يوجد مكب لجبن الفيتا.

قال إريك: قد يكون المكان جميلاً بالفعل، كيف تعرفين أنه لن يكون؟ وأنت لم تذهبي إليه من قبل.

أجبته: هذا مجرد استنتاج.

وصلتنا طرود بريدية لآل ستوب، صندوق مكتوب عليه مكنسة كهربائية، قابل للكسر، وصندوق آخر مكتوب عليه مكنسة كهربائية، قابل للكسر، وصندوق ثالث، حتى بات الأمر هزليّاً بحق، ولم نكن نعلم بشأن عبادتهم للمكنسة الكهربائية، أو ربما تلك هي الطريقة التي يمارسون بها اقترابهم.

جمعنا كل تلك الهدايا خارج باب شقتهما، وبعد مرور فترة من الوقت، تراكمت الهدايا حتى لم يعد باستطاعتنا رؤية الباب، وفي الأسبوع ذاته اكتشفنا تسرباً للمياه في شقتهما على شقتنا، وظهرت بقعة صغيرة بنية في سقف مطبخنا، وبدأت تكبر حتى أصبحت تشبه القارة.

وسألت إريك: هل هذه البقعة تشبه أستراليا؟ لكنه لم يعلّق بشيء وكان شديد الاتزان، وقال: لا يمكننا مواجهتهما بهذا الأمر، فهما ما زالا يعيشان حياة الجزيرة، ولا بد أنهما في عجلتهما للمغادرة قد تركا صنبور المطبخ مفتوحاً.

لكنني قلت: أجد صعوبة في تصديق هذا الأمر، ألم يسمعا الصوت العالي للصنبور في تلك الحالة، صوت الصنبور وهو يطلق المياه الجارية ويرجوهما أن يغلقاه؟ فكّر بكل الأسماك التي يقتلانها.

لكنكِ أيضاً تفعلين أشياء مماثلة طوال الوقت.

لا... مطلقاً، لم أكن أبداً لأترك صنبور المياه مفتوحاً، ولو حدث لظللت أبكي بعدها وأنا أفكر في كل ما قتلته من أسماك.

وأخبرنا صاحب العقار عن التسريب.

سألنا: هل التسريب كبير جدّاً؟

أجبناه: نعم، بل هو ضخم.

وقال صاحب العقار: حسناً، سأرسل شخصاً لإصلاحه.

لكن صاحب العقار ليس دقيقاً في مواعيده ولا ملتزماً، وعلى مدى أيام لم يأتِ أي شخص للإصلاح.

وقلت لإريك: ربما أخطأ الزوجان ستومب وخلطا صوت الصنبور المفتوح بصوت آخر في ذهنيهما وهما يقفزان من فوق المنحدرات المسنَّنة إلى أمواج البحر الأبيض المتوسط، أو ربما قاما بهذا الأمر عن عمد كهديتهما لنا عند رحيلهما، وإذا كان الأمر كذلك، إذاً فهما بشعان، ويجب علينا إعادة تسميتهما إلى آل قذارة.

قال إريك: لا تلقي بالشتائم. فإريك ينفر من هذه السمة ويجدها غير جديرة بسيدة راقية.

قلت له: هناك استخدام للألفاظ النابية، يختلف عن مجرد نطق كلمة قذارة.

• • •

استعنت بالصنبور المفتوح في شرحي لديناميكية المائع للطلاب، قلت لأحد الطلاب: ضع يدك هنا واشعر بدفعها في اتجاه التيار، حيث تخلق الموائع المتحرّكة ضغطاً منخفضاً، وفراغاً، وتشفط كل ما يحيط بها، أترى مدى ضعف التيار في

الجزء السفلي، ومدى ضآلته مقارنةً بالجزء العلوي؟ وهذا هو الهواء أثناء دفعه لإدخال المياه.

وأكملت كلامي: تعريف المائع هو عبارة عن أي مادة ليس لها شكل ثابت؛ فالغاز مائع، والهواء مائع، وهذا سبب الانحناءة الموجودة في جناحي الطائرة، حيث يتيح الجزء العلوي تحرُّك الهواء بصورة أسرع، مما يخلق ضغطاً منخفضاً ويرفع الطائرة وبهذا يتم الطيران.

وانتظرت سماع كلمة «آآه» من الطلاب، لكنها لم تُقَل.

إضافة إلى أن الطلاب لم يعودوا يقولونها.

يذهب إريك إلى عمله ويعود، لكن ما الذي أتممته في فترة غيابه؟ الغسيل؟ لا، فلم تزل كومة الثياب هنا. في المساء وقبل خلودنا إلى الفراش، لم يزل يدعني أتكئ على ذراعه، لكن في بعض الأمسيات يتكئ هو على ذراعي. العمل لا يزال مجهداً، إضافة إلى الضغط الناشئ عن انتظار عرض الكليات لمنحه الوظيفة.

قال لي بصوت ناعس: لماذا تفعلين هذا؟

أفعل ماذا؟

ما نفعله... هذا الوضع بما يشبه حيوان الكنغر.

وكان إريك في حالة تشبه النوم.

• • •

وقع جزء من السقف ومعه ثلاثون رطلاً من المادة العازلة المتعفّنة، وتحت كل هذا يوجد طعامنا، وماؤنا، وشرابنا؛ بمعنى أن كل الأشياء التي يمكنها مساعدتنا على تخطي هذه الأزمة مأخوذة منا. أصبحت رائحة المطبخ كالكهف، رائحة كبريتية ورطبة، مثل رائحة البومبانين.

سألت إريك وهو يحدّق في ذهول في الهوَّة الموجودة في السقف: هل الأفضل أن أتصل بهاتف الطوارئ؟ وكنت أمسك بالكلب حتى لا يقترب من المادة العازلة المبلَّلة، فهو يعتقدها مطراً ويريد التقلُّب فيها، لكن لا يمكنني السماح له بهذا.

في النهاية، قرَّرنا أن هذه الأزمة ليست من اختصاص خدمة الطوارئ الهاتفية، لذا اتصلنا بصاحب العقار.

سأل صاحب العقار: على مقياس من واحد إلى عشرة ما مدى سوء الوضع؟ وأخذ إريك الهاتف من يدي وبدأ في الصياح.

ذهبنا للمكوث في قرية فندقية تسمح باصطحاب الكلاب بالمجان، حيث تم الاستئجار هناك حتى الانتهاء من إصلاح السقف، وقيل لنا إن الأمر لن يتجاوز أسبوعاً بحد أقصى.

في الفندق أشياء مثل المفارش الصغيرة التي يتم وضعها على أشياء أخرى مثل منضدة الشاي.

في وجبة الإفطار، صب إريك فنجان القهوة لي، ثم أعاد ملئه مرة أخرى عندما حركت فنجاني الفارغ أمامه. وقال إريك: أنت كالمشرَّدين.

وقلت له: لكننا بالفعل مشردون، أفهمتها؟

من سمات الكوميديان السيئ عدم إضحاك الآخرين، بينما من سمات الكوميديان الأشد سوءاً سؤاله عما إذا كان الناس قد فهموا مزحته.

انطلق هو إلى المعمل، وانطلقت أنا إلى التعليم، بينما بقي الكلب في الفندق ومعه الماء والغذاء الطازج، لكن يبدو أن وسائل الراحة هذه لم تكفِه، فظلَّ يخدش في الجزء السفلي من كل الأبواب.

وقمت بتوبيخ الكلب عند عودتي، لكنني كنت سعيدة في داخلي بسبب تركه للعلامات نفسها على كل باب، ففي العلوم الكمال في قابلية الاستنساخ يمثل أعلى الدرجات.

• • •

اتضح أن القرية الفندقية في غاية البطء وسوء الإدارة.

بعد انقضاء الأسبوع، طُلب منا الانتظار لأسبوع آخر كحد أقصى، أو قد يزيد أو ينقص عن أسبوع.

• • •

قلت لصديقتي المقربة: كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ من ذلك. وسألتني: حقّاً!؟ وكيف يتحقَّق ذلك؟

المتفائل يرى النصف الممتلئ من الكوب، والمتشائم يرى النصف الفارغ منه، بينما الكيميائي يرى الكوب ممتلئاً عن آخره، فنصفه ممتلئ بالحالة السائلة والنصف الآخر بالحالة الغازية، ويكون كلاهما على الأرجح سامّاً.

في بداية التحاقي بالدراسات العليا في الجامعة، حذَّرنا مسؤول الأمن من إمكانية قص خمس سنوات من أعمارنا عند عملنا في معمل الكيمياء، فقال إن بعض المواد لا تغادر رئتيك مثل السيليكا.

آه، حسناً، من يحتاج إلى عيش كل تلك السنوات على أية حال؟

بسبب عدم وجود مطبخ في الفندق، كنا نتناول الكثير من قوالب الجرانولا.

عندما أقرأ على عبوات الأغذية عبارة خالية من المواد الكيميائية أشعر حينها بعدم الفهم وبالسخط؛ فإن كل شيء مصنوع من المواد الكيميائية، ولكي نقول إن شيئاً ما خالٍ من المواد الكيميائية، فهذا يعني أن ما بداخل العبوة هو فراغ مطلق.

فلماذا إذاً أدفع كل هذا المبلغ في الفراغ؟

وكذلك، متى يكون تناول الجرانولا أكثر مما ينبغي؟

يتمثل الفرق الوحيد بين السم والترياق في الجرعة المحددة، فإن شرب الكثير جدّاً من الماء سوف يميت المرء، وكذلك استنشاق الماء سيميته أيضاً.

• • •

في الفندق ذي المفارش الصغيرة، لا نشعر بأننا على طبيعتنا في كل الأوقات، ففي إحدى الأمسيات، مال إريك ناحيتي فوق الفراش متودّداً إليَّ، وكان في صوته بحَّة بسيطة. وعندها قفز

الكلب على الفراش وراح يضحكنا بحركاته، ولتسهيل الأمور فقد أدخلناه إلى دورة المياه وطلبنا منه الانتظار هناك.

رجع إريك إليَّ بسرعة، فسألته عما يحبه في أغنية «Dear Prudence».

فأجاب: طريقة بناء الأغنية بالكامل، فالجزء الخاص بالجيتار شديد الجمال، وكذلك الجزء الخاص بالكمان الجهير، وقد أبدع مكارتني في العزف على الكمان الجهير، بصورة غير تقليدية على الإطلاق، وببراعة شديدة، كما أن هناك تفاعلاً عاطفيّاً غامضاً من بدايتها، والإيقاع شديد البساطة في أولها، لكن يجمح على نحو مفاجئ في آخرها.

بعد هذا، تركته يعزف ألبوم وايت الغنائي بالكامل والأضواء مطفأة.

• • •

كان الكيميائيون في الماضي يُجرون التفاعلات الكيميائية يدويّاً؛ كانوا يتحقَّقون من حدوث التفاعل الكيميائي عن طريق لمس الإناء بأطراف أصابعهم، وكان دليل مهارة الكيميائي هو عدد أصابعه؛ فكلما فقد عدداً أكبر من أصابعه دلَّ ذلك على خبرته في العمل داخل المختبر.

لم يفقد إريك أياً من أصابع يديه وقدميه. كنت أمازحه مشيرة إلى أن ذلك دليل على عدم مهارته في المختبر فيضحك ملء فيه. تلقَّى إريك عروض عمل في أماكن عديدة مثل أوبرلين وأوهايو.

وضع إريك مفرشاً صغيراً فوق رأسي ورقص معي في أرجاء الغرفة.

عرض إريك عليَّ الزواج مرة أخرى فور عودتنا إلى شقتنا القديمة ووافقت، ثم طلب مني السفر معه فأخبرته برغبتي في ذلك. ألا يكفيه أنني أرغب في ذلك؟

• • •

كنت تعيسة في عمر الثانية عشرة، وظلَّت التعاسة تخيّم على حياتي طوال هذه السنة. كانت والدتي تخفي السكاكين تحت وسادة والدي لمدة ثمانية أشهر، وكان دوري أن أعيدها إلى مكانها.

كثيراً ما كانت والدتي تدفع إليه بورقة بيضاء وتطالبه بالطلاق، ولكنه كان يكوّر الورقة ويقذفها بها.

كنت أجلس على الكرسي الخلفي في السيارة في إحدى المرات وقلبي يرتجف من الرعب عندما انطلق والدي بالسيارة بسرعة جنونية، كنا في طريقنا إلى حضور حفل شواء، عندما وصلت السيارة إلى الطريق السريع، بدأت المشاجرة المعروفة سلفاً بين والدي ووالدتي. صاح والدي: «أنتِ غبية ومجنونة بالفعل! هل تعتقدين أنك حققتِ كل ذلك بمفردك؟ من يدفع الفواتير ويسدّد الإيجار؟ من اشترى هذه السيارة؟».

لقد كانت مشاجرة متجدّدة على مدار عقد من الزمان.

سرعان ما نزعت أمي حزام الأمان غاضبة وطلبت مني أن أفعل مثلها حتى نغادر السيارة، وقالت لي: «هيا بنا! لقد سمعت

والدكِ؛ إنه لم يعد بحاجة إلينا، فهو يتحمَّل جميع التكاليف الآن وليس بحاجة إلى مساعدتنا».

كانت والدتي تبدأ في العد إلى ثلاثة إذا لم أجبها. أعتقد أنني قادرة على تمييز مشاعر الاستياء عندما أراها، وقد رأيتها في وجه والدتي عندما كانت تنقر على مقبض باب السيارة حينها وتعدّ إلى ثلاثة.

سألتني طبيبتي النفسية: «وكيف شعرتِ حينها؟ وكيف تشعرين حيال ذلك الأمر الآن؟».

يزداد معدل إفراز الأدرينالين في أوقات الخوف الشديد فيغمر المخ بالكامل، فلا يشعر الشخص بأي شيء عدا الخوف، ويتبع ذلك ردة فعل الجسم التي تهيئه للمقاومة أو الهروب من التهديد الذي يواجهه، ولكن إلى أين كان من الممكن أن أذهب حينها؟ إذا قفزت من السيارة أثناء تحركها فسأكسر عنقي ثم يُسحب جسدي تحت العجلات. لم يختلف شعوري حينها عن شعوري الآن حيال ذلك الأمر؛ إنه شعور سيئ للغاية.

أظهرت الدراسات أنه في أوقات الخطر الشديد والشعور بالتهديد يمكن أن يكتسب الإنسان قوى خارقة تمكنه من رفع سيارة، ولكنني لم أختبر مثل هذه القدرات الخارقة من قبل.

قلَّل والدي من سرعة السيارة قبل أن تنهي والدتي العد إلى ثلاثة؛ كانت سيارة الشرطة تطاردنا.

• • •

لم يمارس إريك العَدْوَ قبل ذلك. أعتقد أن السبب وراء ممارسته للعدو هو تقليل الوقت الذي يقضيه معي في المنزل في المقام الأول. كان الجو دافئاً خارج المنزل والعداؤون منتشرين بكثرة على طول النهر، ولكن كان إريك الوحيد من بينهم الذي كان يعدو مرتدياً بنطلوناً من الجينز وحذاءً مقاوماً للمياه.

سألت إريك: «هل تُفضّل قضاء حياتك كلها في استكشاف المحيطات أم الفضاء؟»، أطرح عليه هذا السؤال عندما يقضي يوماً سيئاً في المختبر ويأتي إلى البيت مرهقاً ليرتمي في أحضان كرسيه. يرد إريك على أسئلتي بالتنهُّد؛ فأطرح عليه مثل هذه الأسئلة السخيفة حتى أحمله على الكلام. اختار إريك قضاء عمره في استكشاف الفضاء لأنه بعيد جدّاً عن الأرض، بينما اخترت استكشاف المحيطات لأنني سأظل على الأقل على كوكب الأرض. أخذت أفكر في كل الحيوانات والكائنات التي تعيش في البحار والمحيطات؛ يمكننا البحث عن الحوت الأسطوري موبي ديك أو الوحش الأسطوري «نسي» ونحقّق ثروة ضخمة!

ذكّرت إريك كذلك بأن شعوره في الفضاء سيكون مختلفاً عن شعوره في المختبر، فلن يقابل أحداً إذا ما أبحر في الفضاء، كما أن الجو معقم بالكامل، وأضفت قائلة: ولكن إذا ذهبت إلى الفضاء فسأذهب معك؛ وأردّد ساخرة «الفضاء: الحدود النهائية» بصوت «السيد سبوك» من فيلم ستار تريك.

• • •

كنت أتوقَّع هذه اللحظة، أليس كذلك؟ فلماذا إذاً ما زلت أتذمَّر؟

لقد أخبرني لتوّه أنه لا بأس من افتراقنا لبعض الوقت.

ربما ظننت أنه لن يقولها بهذه الطريقة العفوية والصريحة في قسم الخضر والفاكهة بمتجر البقالة!

سألته مستنكرة: «هل هذا سؤال؟».

رفض إريك أن ينظر في عينيَّ حينها، واستدار ليضع عشر تفاحات في كيس.

صُمّمت سهام الغزلان بطريقة خاصة كي لا تخترق جسد الغزال بعمق شديد، ولكن يصل عمق الجرح إلى بضع بوصات فقط ثم يستقر السهم في مكانه.

لا تشعر الغزلان المصابة بألم مفرط في البداية، ثم تبدأ حواف السهم الحادة في قطع الأنسجة المحيطة بمكان الإصابة أثناء جري الغزال المصاب، وينتج عن ذلك نزيف يستمر حتى يموت الغزال.

وكما قيل فالحقيقة ليست سوى وهم، لكنه وهم ثابت.

• • •

لقد حدث ذلك بالفعل. لقد قلت إنني سأذهب معه إلى الفضاء إن ذهب ولا يزال ذلك العرض سارياً، ولكنني لم أقل بأنني سأذهب معه إلى أوهايو!

إنه الخوف من اتباع شخص آخر، حتى وإن كان ذلك الشخص طيباً وعقلانيّاً ولطيفاً. ما هذا الرهاب أو ربما الغباء؟

• • •

أراد إريك زيارة أحد نوادي موسيقى الجاز قبل مغادرة المدينة.

سألته أي نادٍ يرغب في زيارته تحديداً، فأجابني: «نادي رايلس».

قلت متعجبة: «إنه على بعد مبنيين فقط من هنا»، فأخبرني بأن ذلك يعجبه على أي حال.

سرنا معاً نحو اللافتة الضوئية المضيئة. كان إريك يرتدي سترة رمادية ضيقة، بينما كنت أرتدي فستاناً أسود ضيقاً كذلك.

تزاحمت الأفكار في رأسي، وأخذت أفكّر في كمية الطعام والمشروبات التي سنتناولها في النادي، ولكنني قلت لنفسي: «إن الوزن ما هو إلا خدعة من فعل الجاذبية؛ لو كان هناك نادٍ لموسيقى الجاز على القمر لكان وزني فيه أقل بكثير!».

لم يكن من المسموح لنا تبادل القبلات ولا تشبيك الأيادي في هذا الموعد، ولا أن نصفه بأنه موعد في المقام الأول؛ كان إريك يصفه بأنه مجرد «نزهة» لإغاظتي ثم يتساءل متعجباً لماذا لم نقم بزيارة نادي رايلس من قبل!

ربما لأنه على بعد مبنيين فقط من هنا!

لا أعرف شيئاً عن موسيقى الجاز، ولا أعرف سوى اسم لويس أرمسترونغ.

أخبرني إريك أنها بداية لا بأس بها، ثم سألني: «هل تعرفين ما الآلة التي يعزف عليها لويس أرمسترونغ؟».

أجبته قائلة: «أظن أنها الترومبيت»؛ فنظر إليَّ مبتسماً.

جلسنا على كراسٍ مخملية فخمة داخل النادي، وكنت أرى من مكاني آلة البيس، والترومبيت، ومجموعة من الطبول، ومجموعة من العازفين يرتدون الملابس السود ويتمايلون في وسط الغرفة.

جلست معتدلة وكأن ظهري مستنداً إلى لوح خشبي، وقلت لنفسي: «سأغرق في سبات عميق إذا لم أنتبه كما حدث من قبل مراراً، فأستيقظ من نومي بعد الانتهاء من عزف السيمفونية كلها لأجد الجماهير تصفّق بحرارة مطالبة بإعادة عزفها!».

كان من المقرَّر أن تعزف الفرقة أولاً أغنية «What a Wonderful World»، وتليها أغنية «Caravan»، ولكن سرعان ما بدأت الفرقة الموسيقية في عزف أغنية أخرى لا أعرف اسمها، واستمرت في العزف لفترة طويلة من الوقت. كان الحضور واقفين على أقدامهم من فرط المتعة، وكان إريك من بينهم بالطبع. تساءلت عن اسم الأغنية التي يعزفونها؛ شاركتهم التصفيق وظننت أن أحداً منهم سيجيب عن سؤالي عاجلاً أمْ آجلاً.

كانت أغنية «Do not fear the mistakes, there are none» للمغني مايلز ديفيس، وأغنية «Man, if you gotta ask, you'll never know» للمغني لويس أرمسترونغ.

قرر إريك في وقت لاحق من ذلك المساء إخباري بمعلومة مهمة للغاية! بعد أن احتسى شراباً كثيراً، اقترب بوجهه من وجهي وقال: «يدفن العازفون صنوج الطبول النحاسية الجديدة تحت الثرى لزيادة عمرها بسرعة أكبر مما يجعل الصوت الذي يُصدره المعدن أعمق؛

فتُصدر الطبول صوتاً يشبه صوت «تاه» بدلاً من صوت الأزيز. ضحكتُ ملءَ فيّ عندما استخدم إريك كلمة «أعمق».

قلت له: «يا له من تلاعب بالألفاظ!».

أجابني مستنكراً: «أي تلاعب بالألفاظ تقصدين؟».

• • •

إن تفكيك الروابط يحتاج إلى طاقة، وهذا أحد القوانين الأساسية في الديناميكا الحرارية.

سرنا بمحاذاة النهر وقد شبّكت ما بين ذراعيَّ، بينما وضع إريك يديه في جيبه.

قلت له: «إن النهر ملوث للغاية».

فأجابني قائلاً: «احترسي! يقفز طلاب الجامعة من هنا طوال الوقت».

أضفت: «نتناول ثلاث وجبات خلال اليوم وكأساً واحداً من الشراب مع كل وجبة».

استأنف إريك حديثه قائلاً: «ينجح واحد فقط في عبور النهر من بين كل عشرة يقفزون، ويسبح التسعة الباقون خائفين نحو الشاطئ يجرُّون أذيال الخيبة».

سألته متعجبة: «هل سمعت ما قلته؟».

أجابني: «نعم، سمعتك! كنتِ تقولين إننا نتناول كأساً من الشراب مع كل وجبة من الوجبات الثلاث كل يوم».

• • •

بدأنا في حزم الأمتعة. إذا بدأ إريك عمله في الخريف فسيلزمه السفر مع بداية الصيف حتى يتمكَّن من تجهيز مختبره.

كان الكلب هائجاً حينها، لكنه كان ماكراً للغاية؛ كان يجلس على حذاء إريك حتى لا يضعه في الحقيبة ويجلس على ملابسه حتى لا يقوم بطيّها ويجلس على الحقائب حتى لا يغلقها! حاولت إغواءه وإبعاده بالطعام ـ عظمة كبيرة شهية أو شريحة لحم مقدَّد أو ملعقتين من الآيس كريم بطعم الفانيليا ـ إلا أنه لم يتحرك قيد أنملة.

استغرقت عملية حزم الأمتعة أياماً؛ فقد كنا بحاجة إلى مزيد من الوقت لترتيب الفوضى التي يُحدثها الكلب. تبوَّل الكلب على رابطات العنق واضطررنا إلى إرسالها إلى المغسلة لتنظيفها وجلسنا ننتظر مكالمة منهم عند الانتهاء من تنظيفها، وقام إريك بتنظيف الأرض من فضلاته كذلك، ولم تسلم أفضل بدلة لديه من ذلك الكلب أيضاً واضطررنا إلى إرسالها إلى المغسلة وجلسنا في انتظار مكالمتهم. تساءل عمال المغسلة متعجبين: «هل كلبكم مريض؟».

أجبناهم قائلين: «يبدو أنه مصاب بسلس البول المتعمَّد!».

انتهينا من حزم الأمتعة أخيراً بعدما استنفد الكلب ما في جعبته من أفكار لتعطيلنا، أو هكذا ظننَّا. عندما وصلنا إلى باب المنزل، رأينا الكلب يفرغ كل ما تبقَّى في جعبته دفعة واحدة؛ فكان يجلس ويستلقي ويزحف ويتظاهر بالموت ويتدحرج ويصافحنا، وهكذا دواليك. طلبت منه التوقُّف عن مثل هذه الأفعال المجنونة وتقبُّل الأمر، ولكن يبدو أنني لم أدرّبه على ذلك الأمر بعد.

نادى إريك على الكلب فانحنى الكلب له كي يحكَّ أذنيه، وأطلق الكلب نباحه الطويل. كان حاجباه كثيفين ويحتاجان إلى التهذيب.

• • •

سيتساقط شعر ذلك الكلب الغاضب في كل مكان، وسأضطر إلى تتبُّع خطواته وتنظيف الشعر بالفرشاة!

قلت لطبيبتي النفسية إنه من الممكن أن آخذه في جولة بالسيارة إلى أوبرلين في الليالي التي يثور فيها غضبه، ولكنها أخبرتني أن ذلك ليس تعبيراً عن الحب، ولكنه خوف من مواجهة هواجسي الداخلية. أجيبها مستنكرة بأنني ليس لديَّ أي هواجس داخلية؛ لديَّ طلاب وكلب (يدفعونني إلى الجنون)، ولكن لا ينفي ذلك حقيقة أنني أغلق خزانتي في المساء خشية أن يدخلها شيء ما؛ ربما أخشى أن تدخلها «مادة مظلمة» على ما أظن.

أخبرت صديقتي المقربة بأنه تركني ولم أمنعه، وأنه أخبرني أنه سيحاول ألا يتصل بي مرة أخرى.

سألتني الطبيبة النفسية: «ماذا ستفعلين حيال ذلك؟».

فأجبتها: «أتخطَّى الأمر!».

سألتني مرة أخرى: «ماذا ستفعلين حقّاً؟».

قلت: «أحدّق في الملاعق».

أُخبر طلابي في صف الرياضيات أنني والكلب معاً نمثل نقطتين والخط يصل بين نقطتين.

هل تذكرون من الأستاذ الذي تحدث بشأن الخطوط؛ لم يكن حديثاً شائقاً على الإطلاق!

نحتاج إلى ثلاث نقاط أو أكثر لتحديد شكل معين.

المثلث أقوى الأشكال الهندسية. عندما نفكّر في الهندسة، علينا أن نفكّر في المثلثات؛ فالنظرية الأشهر التي يعرفها الجميع بالاسم، فيثاغورس، هي نظرية حول المثلث.

إذا أمكنني العودة في الزمن فسأقوم بتصميم شقق سكنية لا يتردَّد فيها صدى الصوت؛ سأقوم بتعطيل قدرة الصوت على الانعكاس وإحداث صدى الصوت في الأساس.

إن صدى الصوت والمادة المظلمة هما ما يؤرّقان ليلي.

إذا أمكنني العودة في الزمن فسأغط في النوم العميق.

أعتقد أن ستيفن هوكينج أحد الأسباب الواضحة التي تجعل السفر عبر الزمن ضرباً من ضروب المستحيل؛ لم يتمكَّن أحد من الماضي من السفر عبر الزمن إلى المستقبل، ولم يتمكَّن أحد من المستقبل من السفر عبر الزمن إلى الحاضر كذلك.

• • •

كنت أستعين برموز مختصرة لاستدعاء المعلومات الكيميائية من الذاكرة حتى أتمكَّن من تذكُّر ترتيب الألكانات الأربعة الأولى.

كانت عبارة «أتناول زبدة الفول السوداني» تذكّرني بالميثان والإيثان والبروبان والبيوتان.

أرى أنه لا ينبغي تناول مثل هذه الأطعمة من العلبة مباشرةً.

كنَّا في المنتزه عندما طرح إريك عليَّ سؤاله للمرة الأولى، وكان ذلك في صباح عرض الألعاب النارية المقام في ليلة الرابع من يوليو. أحضرنا بطانية وسلة معنا واصطحبنا الكلب، وأحضر إريك خاتماً، ولكنني لم أكن على علم بذلك حينها.

جلسنا ننتظر غروب الشمس حتى تضيء السماء بالألعاب النارية، بينما كنت أضع رأسي في حضنه طوال هذا الوقت؛ وأخيراً أضاءت الألعاب النارية السماء.

كان يجب أن ألاحظ التغيير الواضح في تصرُّفات إريك حينها؛ لم تبدُ على وجهه ملامح البهجة مثلي، بل كان غارقاً في التفكير يقلّب عينيه في صفحة السماء بحثاً عن شيء ما. كان يبحث عن أضخم الألعاب النارية في السماء كي يقدم لي الخاتم تحت ضوئها، وكما أخبرني لاحقاً، فلم يكن يرغب في وضع الخاتم في كفّه حين يطرح عليَّ السؤال، ولكن كان ينوي وضعه أمام عيني مباشرة وكأنني أنظر إليه عبر عدسة التلسكوب.

ظل إريك يبحث في السماء عن أضخم الألعاب النارية، وأخيراً وجدها، ولكن فجأة اشتعلت النيران في المركب الذي تُطلق منه الألعاب النارية وتوقَّف العرض!

قال إريك مستاءً: «يا إلهي! لا يمكن أن يحدث ذلك!».

انتظرنا لمدة دقيقة أخرى بينما غادر الجميع من حولنا.

عندما ابتلعت النيران القارب بأسره وسارعت القوارب الأخرى

إلى إنقاذه، اضطررنا إلى إخلاء المكان كإجراء احترازي تحسُّباً لانفجار المركب.

قلت له: «لا بأس، سنحضر الاحتفالات العام المقبل»، ولكنه أخبرني بأنه لا يستطيع الانتظار حتى ذلك الحين. قلت له: «بإمكاننا مشاهدة عرض آخر على التلفزيون»، فأجابني بأنه لا يستطيع فعل ذلك أيضاً.

لم أفهم حينها ما يقصد، ولم أستوعب ما يحدث إلا عندما ركبنا القطار ووضع إريك الخاتم على ركبتي، بينما كان القطار يسير عبر النفق.

الجزء الثاني

تقول الحكمة الصينية إن تعلم ثلاثة تخصُّصات يجعلك لا تخشى شيئاً في العالم، ألا وهي الرياضيات والفيزياء والكيمياء.

أُدرّس في المدرسة الصيفية لعدد من التلاميذ الأذكياء، ولكنهم كسالى يريدون أن يتعلَّموا جميع هذه العلوم بأسرع طريقة ممكنة، فهم يريدون نقل ما لديَّ من علم إلى عقولهم، ويتمنَّون لو أن بإمكاني نقل المعلومات لهم بشكل أسرع عن طريق أنبوب، أو تحميلها عبر الإنترنت، أو أي وسيلة ممكنة.

وعندما يرفضون إنجاز الفروض المدرسية يبرّرون ذلك بأن الكيف أهم من الكمّ.

ولهذا قرَّرت إعطاءهم فرضاً مدرسيّاً من نوع جديد، وطلبت منهم أن ينكبُّوا على الكتاب المقرر، وأخبرتهم أنهم إذا تمكَّنوا من قراءته بحلول الغد فسأعترف وأُقرُّ بذكائهم الفائق، وبالطبع حاولوا ذلك.

ما معنى أن تعيش بلا خوف؟ أذكر أنني سألت الطبيبة النفسية: هل هذا يعني ألا يوجد ما تخاف منه، أو أنها تمتلك من الشجاعة

ما يكفي لمواجهة الخوف؟ ردَّت قائلة: أن تمتلكي ما يكفي من الشجاعة.

ـ ومن أين أستمدُّ هذه الشجاعة؟

• • •

ونحن في المكتبة، كانت أنظار الفتيات عند مرورهنَّ بجانبي تتجه صوب أحد طلاب الرياضيات، ويحاولن التودُّد إليه وإسقاط بعض الأشياء مثل الأقلام والكتب مما أفقدنا التركيز، لذا ذهبنا إلى المقهى، ولكننا وجدنا النوع نفسه من الفتيات اللائي يُسقِطن الأقلام والكتب، ولكن هذه المرة كنّ يُسقِطن فناجين القهوة، ومن ثم يوجّهن إليه نظرات الإعجاب.

هل لاحظت ذلك من قبل؟ عيناه خضراوان مثل نبات اللبلاب، وشعره أصفر كلون الرمال، أعتقد أنني أراهُ جذاباً، فقد كان يأتي عادةً مرتدياً نظارته الأنيقة وسرواله القصير ذا الطابع البحري، ولكنه لا يُلقي بالاً إلى تلك الفتيات.

فسألته لماذا لا تبدو مهتماً بهؤلاء الفتيات؟ يبدو أنهن ودودات جدّاً.

أخبرني بعد ذلك عن الفتاة التي يكنُّ لها شعوراً قويّاً وتُبادله إياه، ولكنه ذكر أن العلاقة بينهما لا يمكن أن تنجح، فأجبتهُ: هي في الغالب لا تعرف شعورك تجاهها.

فقال: ولكنها على حق.

عرفت بعد ذلك أن تلك الفتاة التي تُبادله الشعور بالإعجاب

تدرس جيولوجيا الأحوال المناخية القاسية، وتمضي أغلب العام في القارة القطبية الجنوبية.

سألته أن يعيد هذا الكلام على مسامعي مرة أخرى، فأنا لم أسمع هذا الكلام من قبل.

يؤمن العديد من العلماء بأن العالم لا يتقدَّم دون تضحيات.. إريك يُؤمن بذلك وأبي أيضاً.

واستدل كلاهما على ذلك بأن الإنسان الأول لم يكن ليعلم ما السم حتى تذوَّقه وشاهده إنسان آخر وتعلم ممَّا حدث له.

حاولت تصوُّر كيف كان ذلك مروّعاً، وهل واصل الرجل الثاني مشاهدة ذلك أم ركض عائداً إلى القرية مصدوماً؟

قابل طالب الرياضيات الفتاة في الكلية وتجاذبا أطراف الحديث، حيث أبان عن رغبته في السفر حول العالم، وبعد انتهائه من الحديث قالت إنها تريد الذهاب إلى القارة القطبية الجنوبية، ويحتاج التنقُّل بين المواقع الجليدية في تلك القارة إلى طائرة أو إلى مركب كبير، حيث إنه لا يمكن للسيارة العمل في مثل تلك الأجواء القاسية.

نظرياً القارة الجنوبية كانت موجودة في وقت مبكر من بداية القرن الأول، ولكن لم يتم اكتشاف القطب الجنوبي حتى عام 1911 على يد فريق من النرويجيين، ثم وصل إليه فريق من البريطانيين، وأصاب البريطانيين خيبة الأمل؛ لأنهم لم يكونوا أول من وصل إلى القطب الجنوبي، وعلاوة على هذا الإحباط تسرَّب الوقود أثناء عودتهم من حاويات الكيروسين بعد تفتُّت لحام القصدير، وانتشر

على إمدادات الطعام فمرض أحد أفراد الفريق ومات، وأصيب آخر بالجنون وأصبح هائماً، وتابع الثلاثة المتبقون الرحلة... ثمَّ لقوا حتفهم على بعد أحد عشر ميلاً خارج القاعدة البريطانية.

أخبرت صديقتي المقربة بهذه القصة، فماذا تعنين بأن جميعهم ماتوا؟ ظننت أنك تحاولين إخباري بقصة سعيدة.

لا، أنا لم أقل أبداً إنها قصة سعيدة، ففي الوقت الحاضر قصص الكوارث هي ما يشغل تفكيري.

هل تعلمين أن نفس الأمر حدث لجيش نابليون؟ لم تستطع أزرار المعاطف المصنوعة من القصدير تحمُّل الصقيع السيبيري وتحوَّلت إلى مسحوق، وسرعان ما لقي الجنود حتفهم من قضمة الصقيع.

لم تجد صديقتي أيّاً من هذه القصص مشوقّاً، وعوضاً عن ذلك أخبرتني أن أغادر المنزل ذات مرة.

ـ إذا لم تغادري سآتي وأسحبك خارج المنزل بنفسي.

ـ لا يمكنك ذلك فأنت سمينة.

ـ سوف أرسل إليك من يفعل ذلك.

• • •

ما هذا الشعور؟ ألم بسيط تحت القفص الصدري، شعور بوجع عميق، وهذا مستحيل، لأن القلب لا يمكنه أن يشعر بالألم، وهذا لأن الأنسجة القلبية لا يمكنها الشعور بالتعب. كي تشعر هذه الأنسجة بالألم يجب أن تحتوي على أعصاب حسية تستقبل هذا الإحساس وتنقله، والقلب لا يوجد به مثل هذه الأعصاب، ولكنني

بدافع الارتياب استشرت مرجعاً طبيّاً على الإنترنت: ما الذي يجعل القلب يشعر بالألم؟ أمراض القلب.. ماذا غير ذلك؟ السرطان.

لكن ما قد يفسّر هذا الشعور هو أنك حيثما ذهبت وشاهدت رجلاً مرتخي الكتفين وذا شعر أحمر تريد تتبُّعه لتعرف إلى أين هو ذاهب، وهذا ليس لمضايقته أو أي شيء، وإنما من باب الفضول، مثلما حدث البارحة في متجر البقالة، حيث ذهبنا إلى ممرات الغذاء والمجمَّدات وملأ سلَّته بالملح والقهوة وطعام الأطفال، فملأت سلَّتي بالملح والقهوة وطعام الأطفال، ثم تبعته خارج المتجر وشاهدته يضع البقالة في سيارته، فسألني هل يمكنني مساعدتك؟ فذهبت مسرعة من الطريق الآخر.

سرطان! هذا مؤكد، ومن المحتمل أن يكون سرطان الدماغ.

سأبتعد عن هذا الاختبار تيقُّناً مني بكفاءة الطبيب البشري، فهو على الأقل يعطيك خيارات.

• • •

من يطوي الملابس المغسولة الآن؟ لا أحد.

من يطهو طعام العشاء؟ الميكروويف!

• • •

يتصل والدي في منتصف الصيف.

من دون أن يُلقي التحية أو يسأل كيف حالك؟ بل سألني مباشرة عن رسالة الدكتوراه؟ هل اقتربت من إكمالها؟ أنت لم تتحدثي عن رسالة الدكتوراه منذ فترة. ما الذي يؤخّرك طوال

هذه المدة، أنتِ تعملين ببطء شديد، ومن المؤكد أن المشرف على رسالتك يرى ذلك أيضاً.

ـ سأحاول العمل بجدّ أكثر.

ـ لا تقولي سأحاول.

ـ آسفة

ـ لا تتأسَّفي.

ـ سأعمل بجدّ أكثر.

ـ لا تقولي ذلك من أجلي، بل من أجلك أنتِ. تحلّي ببعض الانضباط.

ـ بالتأكيد سأفعل ذلك.

وبعد هذه المحادثة، عدت إلى مشاهدة التلفاز، حيث بدأت في مشاهدة أحد برامج مسابقات الطهي، حيث أتسلَّى كثيراً بها لأنها لا تحتاج إلى تفكير، ولفت انتباهي طباخ أمريكي من أصول صينية كان دائماً ما يقول: أنا هنا لأجعل والديَّ فخورين، وأريد أن أثبت لهما أنني أجيد الطهي، وأنني جاد فيما أفعله، وقد كرَّر ذلك مرات عدة، وفي النهاية لم يفز.

وعندما لم يفز، كان هو الوحيد الذي قال: أتمنَّى ألا تتسبَّب هذه النتيجة في أن أفشل في حياتي.

• • •

سألت الطبيبة النفسية: لماذا يتم تشجيع الفتيات على دراسة العلوم؟ أنا أرى لافتات وإعلانات في كل مكان، وكلما رأيتها تجاهلتها.

بالطبع الإعلانات جيدة الطباعة تجذبنا لقراءتها، فإذا كنت فتاة شجاعة فيمكنك الدخول في مجال العلوم، المجال يحتاج إليك بشكل مؤكد، وإلا عليك الالتحاق بمجال آخر.

من المشهور أن دراسة الكيمياء للرجال فقط، وأنا أتفق مع من يريدون تغيير هذا المفهوم، ولكن كيف يكون الطريق إلى ذلك؟

الجميل في مجال العلوم أنك تكتشف حقائق عن العالم، وفي المقابل فالسيئ في ذلك أنك لست من تكتشفها، فالحظ له دور كبير في ذلك، ولكن كما قال باستير «إن الحظ يفضّل أصحاب العقول المستعّدة».

قبل مغادرتي المعمل، كانت هناك فتاة أخرى في السنة الأولى من برنامج دراسة الدكتوراه، وقد كانت فتاة لطيفة وجريئة. ذات يوم رأيتها أمام الميكروويف تدفع الباب وتتلفَّظ بعبارات تشير إلى الاستياء، فقد أنذرها المشرف قائلاً: يجب أن تعطيني نتائج وإلا سأطردك من المعمل، وحتى تنتهي في الموعد المحدَّد توصَّلت إلى بيانات مُختلفة.

تم إيقافها عن العمل في المعمل نهائيّاً وجميع برامج دراسة الدكتوراه في أنحاء البلاد، ومثل هذه نسميها ضحية حرب، وهذا ما يدخل في إطار صراعات العقول الذاتية.

أشعر في بعض الأحيان بأنني خذلت العديد من الأشخاص، أبي على سبيل المثال يردّد دائماً حكمة صينية عن الشجاعة، هل يمكنه تخيُّل ابنته ولو لحظةً تفعل أي شيء بجانب دراسة الرياضيات أو الكيمياء أو الفيزياء؟ إذا سألته فإن الرد سيكون: قطعاً لا.

يتباهى المهندسون بمدى فهمهم لسير الأمور في العالم، فهم يتخيَّلون مركز الأرض محركاً حرارياً والقمر جسماً كروياً. أنا بالنسبة إليَّ لا أختلف مع ذلك كليةً، فأنا أحب أيضاً معرفة كيف تسير الأمور في العالم.

سألت الطبيبة النفسية: إذاً لماذا تركت دراسة العلوم؟ هل هذا لأني لم أحبها، أو لم أكن مستعدة بما يكفي لدراستها؟

ردت قائلةً: هل هذا مهم؟ لم تكن مناسبة لك. تقبّلي ذلك وامضي قُدماً.

• • •

أنا والكلب على الشاطئ

استيقظت هذا الصباح والسماء صافية والرطوبة منخفضة، وتجتاحني رغبة غير معتادة لرؤية البحر. ركبنا القطار واتجهنا إلى مكان يسمى وندرلاند.

الخدعة التي تدفع الكلب للسباحة في الماء تتمثَّل في أن تلقي أي شيء يحبه الكلب بعيداً في الماء، وأن تشاهد التوتر الذي يصيبه. يحب الكلب أن يبتل، ولكنه لا يحب السباحة في المياه المفتوحة بسبب خوفه من أسماك القرش غالباً، ويتحرَّك على الشاطئ الرملي، ومن ثم ينبح ويقفز إلى المياه ويعوم، ويلتقط لعبته بسلام، ثم اقذفها مرة أخرى.

عندما أذهب مع إريك إلى الشاطئ لا يمكنني الجلوس ساكنة أو الاستلقاء. لم أكسر الكؤوس الزجاجية في المعمل حتى الآن، ولكني أفكر في ذلك، وبينما أفكّر أُدوّن على الرمال قائمة بالأشياء التي لا أقوم بها في المعمل لأني على الشاطئ.

إعادة تبلور العنصر X.

تنقية العنصر Y.

إعادة محاولة إعادة التبلور.

إعادة محاولة التنقية.

البدء من جديد.

اختُرِعت الدائرة المتكاملة على يد شخص ظل في المعمل لأسبوع، مع أنه من المفترض أن يكون في عطلة.

أخبرت إريك فيما بعد أن الشاطئ يصيبني بالتوتر، وأنني لا أعتقد أنه يمكنني الذهاب إليه مرة أخرى، فما كان منه إلا أن قذفني بحفنة من رمال الشاطئ على وجهي قائلاً: كل شيء يصيبك بالتوتر، ولكن هذه المرة لم يكن الأمر بهذا السوء، يعود الكلب المبتل عادةً إليَّ في النهاية حاملاً قطعة من الأعشاب البحرية، وهذه إشارة أن اللعبة فُقِدت إلى الأبد.

يحب العلماء أن يقولوا في حديثهم مع العلماء الآخرين: «الأمر يعتمد على سؤالك».

والسؤال الذي أسأله هو: كيف أحظى ببعض المتعة دون مثل ذلك الشعور الذي أُسبّبه لنفسي وهو الألم؟

اقترحت صديقتي المقرَّبة أن أتناول الأعشاب المخدّرة، إذ إنها قرأت أن بعض أشهر الفنانين والموسيقيين يرجعون شعورهم بالسعادة لأول مرة إلى حالة الانتشاء التي لا تحدث فقط بتناول العشب المخدر، بل الأمفيتامينات أيضاً، ولكن بدافع من ضميرها كطبيبة، لا يمكن أن توصي بها.

سألتها من أين يمكنك الحصول على الأعشاب المخدّرة؟ فأجابت:

ـ الأمر ليس بهذه الأهمية، إنها مجرد أعشاب مخدّرة.

أعشاب مخدّرة، ظللت أُردّدها مراراً وتكراراً، ولكن بصوت غريب جدّاً. حاولت أن أضعها في جملة لقولها عندما أريد الأعشاب المخدرة: عزيزي تاجر المخدرات هل لديك أية أعشاب مخدرة من أجلي؟

ردَّت قائلة: لا تُعيري الأمر التفاتاً، فقط تابعي تعاطي المشروبات الكحولية.

• • •

هناك سبب آخر يتمثَّل في أن فعل الأمور المرحة يضع على عاتقي ضغوطاً هائلة.

عندما كنت بسن العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، حاولت اجتياز المرحلة الإعدادية، ولكنني كنت أقضي أوقاتاً عصيبة. يسخر الطلاب مني باستمرار؛ لأنني كنت الطالبة الوحيدة من أصول آسيوية، بالطبع كان هناك طالب آخر من أصول آسيوية ولكنه كان ولداً بالتبني، وكان يتبع مبدأ «أنا لست مثل غريبة الأطوار هذه، أنا ولد بالتبنّي، وبالطبع مختلف عنها، فأنا سيّئ في الرياضيات أيضاً».

ومن وجهة نظري الآن بوصفي بالغة، أتساءل: متى أصبح الغباء ميزة؟ فقد حصل على درجات منخفضة فقط ليثبت لأصدقائه أنه مختلف عني قطعيّاً، ليس مثل الفتاة التي تحاول الحصول على درجات مرتفعة، حتى وإن حقَّقت درجة الامتياز في المادة، هذه الفتاة التي تحب قراءة الكتب الدراسية وتدوّن الملاحظات.

في مرة من المرات، أقلَّتني أمي مبكراً من هذه المدرسة المريعة وكنت سعيدة للغاية، وقد أخبرتهم في المدرسة أن لديَّ موعداً مع الطبيب، وقد كان الأمر قابلاً للتصديق؛ لأنني كنت صغيرة الحجم بالنسبة إلى سني وضعيفة، وكانت المفاجأة أنها أخبرتني ونحن في السيارة أننا ذاهبون إلى مكان ممتع.

وذهبنا بالسيارة إلى متنزَّه دير أكيرس الترفيهي في بينكونينج، وركبنا سيارات تصادم عتيقة ولعبة الخيل الدوَّارة.

ذهبنا إلى كروس رود فيلدج في فلينت، وركبنا قطاراً بخاريّاً وقارباً بمجداف.

تبعتني أمي من مكان إلى آخر تشاهدني وأنا أستمتع بهذه الأشياء الطريفة، ولكن لم تشارك في أيٍّ منها، واشترت لي الفشار ولم تتذوَّقه، وكانت تبتسم في بعض الأوقات، ولكن ترى هل كانت تبتسم فعلاً كما أذكر، أم كانت تجفل من الشمس؟ ثم قادت بنا السيارة إلى المنزل.

الوجه الخالي من التعبير، تعلَّمت في المدرسة الثانوية هذا المصطلح الذي يُقصَد به أي صوت عفوي وأحادي يشير إلى سلوك هادئ، بغض النظر عن عبثية الموقف، وقد تتمثَّل في صوت تستخدمه أم وزوجة غير سعيدة مع طفل.

سألتني: هل كان الأمر ممتعاً؟ فأومأت برأسي موافقة، ثم اتجهت إلى الطريق الخاص بنا، وطلبت مني النزول.

سألتني الطبيبة النفسية: ماذا تقصدين بأن تغادري السيارة؟

ـ أعني أنها أرادت عكس اتجاه السيارة ثم المغادرة.

ـ ماذا تقصدين بكلمة تغادر؟

ـ أقصد تذهب إلى نُزُل.

ـ ماذا بعد ذلك؟

ـ عادت إلى المنزل بعد أسبوع.

• • •

حدث أمران في السنة التي توقَّفت فيها عن العزف على البيانو؛ الأول: في أحد العروض، تعرَّقت يداي وفقدت تتابع المفاتيح، ولم يعد باستطاعتي تغيير النغمة أو التبديل بسرعة بين المفاتيح، أو القيام بحركة ثنائية أو ثلاثية أو حتى طي الصفحة حتى علقت بها، القسم الثالث من السوناتا رقم 5 في سلم الصول الكبير، وظللت أكرر النغمة من شريط التكرار حتى انتهاء العرض.

الثاني: لم يكن مفتاح سي ـ منخفض يعمل، لقد ضغطت عليه مراراً وتكراراً ولم يصدر أي صوت، فما كان منّي إلا أن رفعت يدي أمام جمهور يقدَّر بخمسمائة شخص، وقلت لهم: هل لي أن أتوقف الآن؟

بعض الفنانين يشبّهون رهبة الصعود إلى المسرح بالدخول في حالة من الفراغ العقلي، ولكنها تشبه أكثر الانزلاق والاصطدام بالرصيف.. لم يحضر والدي حفلاتي مطلقاً.

بالطبع معلّمة البيانو قالت لي: يمكنك التوقُّف الآن، ولم أرَ وجهها ثانيةً.

أعتقد أن ما قيل عن رفعي ليدي وأنا بسن تسعة أشهر كان حقيقياً، فقد أصبحت غريزة لديَّ أن أبقى مهذبة، مثلما يحدث الآن في الحانة، حيث إنني رفعت يدي أكثر من مرة لأطلب طلباً واحداً، هل لي بكوب آخر من الشراب؟ كوب آخر؟ وكوب آخر؟ وعندما بدأ الساقي التحدث معي، أخذت أردّد (احذر في التعامل معي، فأنا منتشية من الشراب، ويراودني كثير من الأفكار السيئة)، وفي نهاية الأمر طُلِب مني المغادرة.

يمثّل المسار الذي يقطعه شخص سكران باتجاه عمود الإنارة مثالاً كلاسيكيّاً لنظرية الاحتمالات. ومع نسب متساوية من الاحتمالات، يمكن أخذ خطوة إلى اليسار أو إلى اليمين أو الأمام أو الخلف، ويمكن استخدام أنماط السير هذه لنمذجة طول مدة لعبة ما، حركة جزيئات الغبار، انتشار النيترونات في المفاعل والعديد من الأشياء الأخرى.

اتصلت بإريك بينما أنا في طريقي إلى عمود الإنارة، وأجابني بسرعة، ولكن عندما أدرك أن ليس ثمَّة خطر كبير، قال إن عليه أن يذهب.

ـ تذهب إلى أين؟ أنت بالفعل في أوهايو.

رد قائلاً: من الأفضل أن نتواصل هاتفياً على فترات متقطّعة، ولكن لا تشعري بالحرج من مراسلتي عبر البريد الإلكتروني في أي وقت.

حاولت ألا يبدو على صوتي التوسُّل، وأن أقول ذلك: هل يمكنك البقاء معي على الخط لفترة أطول قليلاً؟ حاولت ذلك

ولكنني فشلت، أنت لست مجبراً على قول شيء، فعليّاً لا تقل شيئاً. فقط استمع لي أثناء عودتي، وأنا أستمع إليك أثناء عودتك، وبمجرد وصولنا إلى المنزل نغلق الخط.

ولكنه بالفعل قد أغلق الخط!

قالت لي صديقتي المقرَّبة في وقت لاحق: أنتِ شخص لا يصدَّق، اتصلت به ولم تخبريه أن يعود؟

ـ لقد نسيت.

حتى وإن وصلنا إلى يوم الزفاف فلن يكون بإمكاني فعل ذلك في هذا الممر، وكل هذه الأعين تنظر تجاهي، عينان لكل شخص. ومازحني إريك في ذلك الوقت أنه سيسير في الممر ويتركني أقف هناك، ولكني لم أكن أستطيع فعل هذا أيضاً، فلا شيء يظل ساكناً حتى في المواد الصلبة تستمر الجزيئات بالتحرُّك.

• • •

ذهبت مع أمي مرة أخرى بالسيارة إلى باي كانتري فير، أول مدينة ملاهٍ حقيقية أذهب إليها، حيث استمتعت بركوب ألعاب مروّعة مثل ساندستورم، ولعبة العجلة الدوارة.

هناك لافتة خارج لعبة العجلة الدوارة مكتوب عليها «غير مخصَّصة لأصحاب القلوب الضعيفة»، وتحت هذه اللافتة أخرى مكتوب عليها «نحن نعني ما نقول، لا تركب اللعبة إذا كنت تُعاني مشكلات قلبية». كان طولي بالكاد يسمح لي بركوب هذه اللعبة، ومثل أي طفل أبله كنت متيقّنة أنني أتمتَّع بقلب قوي.

هذه اللعبة عبارة عن دقيقتين ونصف الدقيقة من الدوران الشديد وأنا موضوعة في قفص حر الحركة يدور بلا توقُّف، ولقد شعرت بدوار ودوخة ورؤيتي أصبحت ضبابية، لدرجة أنني لم أكن أستطيع إلا أن أرى بعض ومضات الضوء.

هذا أيضاً ما كنت أشعر به عند انتظار أبي في الطريق الخاص إلى المنزل، وبمجرد أن يراني يتجهَّم، وعند وصولنا يبدأ برمي الأشياء.

تسأل الطبيبة: في اتجاهك؟

ـ في اتجاه الحائط أو التلفاز. أذكر أنه حاول مرة رفع التلفاز، ولكنه أعاد التفكير: التلفاز غالي الثمن، كما سيكون فظيعاً أن يُكسَر أنبوب أشعة الكاثود بداخله.

آمنت أن قلبي قوي، ولكن ليس إلى هذه الدرجة!

• • •

هل وُلدت الطفلة؟ ولدت الطفلة. حقّاً لقد وُلدت! أحتضنها بين ذراعيَّ عند زيارة صديقتي المقرَّبة بعد ظهيرة يوم ليس شديد الحرارة.

عقَّبت قائلة: صغيرة للغاية ولكن تمتلك رأساً كبيراً.

تحسَّست رأسها بحرص شديد وأشرت إليه قائلة: هنا الفص الصدغي المسؤول عن الكلام، وهنا الفص الجبهي المسؤول عن التفكير. هذا هو الحُصين المسؤول عن الذاكرة. كل المؤشّرات حيوية وجيدة.

للطفلة شعر أسود وعينان سوداوان وبشرة بيضاء، وكأنَّها صورة مرسومة بالفحم.

حدَّثت الطفلة قائلة: يبدو أن عقلك متعب. وحينئذٍ استسلمتْ للنوم.

ثم سألت صديقتي التي غالبها النُّعاس أيضاً: ماذا أفعل الآن؟

ـ دعينا نضعها هنا لدقيقة، ولكنها بدأت في الغمغمة وانجرفت ببطء في اتجاه الأرض.

تفحَّصها الكلب وتأكَّد أنها على ما يرام، وقرَّرت اصطحابها إلى الخارج، هناك شمس وعشب وهواء نقي، يمكنك أن تعتبري استمتاعك بها من الأمور البديهية، ثم ستعاودين اكتشافها، وأنت بين ذراعيك طفل صغير.

تسأل سيّدة من الجهة المقابلة في الشارع: كم يبلغ عمرها؟

ـ لست متأكّدة، شهرين أو أربعة أو بضع ساعات!

تجوَّلنا في ثلاثة متنزَّهات، حيث واصلنا المشي دون توقُّف أو بكاء. على ما يبدو فالطفلة تحب الحركة، وبخاصة السريعة، وبعد ذلك ذهبنا إلى الأراجيح. فتحت عيناً واحدة ونظرت إليَّ بريبة.

ـ ما هذا الشيء الغريب؟ تسأل في صمت، عملاق صغير في يدي.

ـ هذا هزَّاز توافقي بسيط، مثل البندول، يتحرَّك بشكل دوري.

أعتقد أن الفصَّ الصدغي الخاص بها إذا أصدر صوتاً سيكون ـ وييييي.. ستصبح هوايتي الجديدة تعليم هذه الطفلة كل شيء عن العالم. سوف أدوّن كل شيء لها، أو أهمس به في أُذنها، أُريدها أن تصبح عارضة أزياء، وإن أمكن ستكون عبقرية أيضاً.

عند عودتنا كانت صديقتي قد استيقظت، ولكنها ما زالت تتثاءب بعد كل جملة، فزوجها قد حصل أخيراً على ترقية، ولديه مواعيد عمل كثيرة، ويعمل لأوقات متأخرة من الليل أكثر مما سبق. كيف تدبّرون حالكم؟ قرَّرنا تقسيم اليوم إلى نوبات، فينام هو عندما تحين نوبة الأم، وأنام أنا عندما يحين دور الأب، ولكن الزوج يجب أن يكون عالي الكفاءة وأكثر تركيزاً من أجل العمل. ردت قائلة: أثناء الليل يجري اتصالات عمل بآسيا، وهو يهز الطفلة حتى تنام.

ـ هل تنام جيداً؟

ـ ليس فعلياً.

أتذكَّر أنني تعلمت في مرحلة ما، وكان رائعاً، ما يشير إلى أن الطفل طوال المدة التي يقضيها في الرحم يكون حيواناً مائيّاً يعيش مدة أربعين أسبوعاً قبل الولادة داخل كيس مملوء بالماء.

ماذا لو جعلت الطفل يستمع إلى صوت الأمواج؟ ربما يشعره ذلك أنه بداخل الرحم.

قالت صديقتي المقرَّبة إنها لم تحاول فعل ذلك، فبحثنا عن أصوات المحيط عبر الإنترنت، ولكن الطفلة لم تهتم بأصوات المحيط ولا الأمواج، إنما اهتمَّت بإضاءة الحاسوب وصوت كتابتنا عليه، وقبل المغادرة أضع ذراعيَّ حولها حتى تميل رأسها بتلك الطريقة المضحكة.

• • •

أعود إلى نصيحة كليف ستيبلز لويس: إذا أحببت أي شيء فأنت تحكم على قلبك بالعذاب وقد يُجرح بشدَّة، فإذا أردت أن تحافظ على قلبك صحيحاً، فلا تسلمه لأحد حتى وإن كان حيواناً. أحِطه بحذر بالهوايات وبعض أسباب الراحة، وتجنَّب إدخاله في أية علاقة معقَّدة، أغلِق عليه بإحكام في تابوت أو نعش حب الذات والأنانية، وبوضعك له في هذا التابوت المظلم والآمن والخالي من المشاعر والأحاسيس سوف يتغيَّر ولن يُجرح أبداً. سوف يصبح عصياً على الجروح ومنيعاً وغير قابل للاستغلال من الغير.

أنا لا أريد أيّاً من هذه المشاعر لقلبي. من فضلك اترك قلبي في تابوته، واذهب إلى مكان آخر.

• • •

هذا ما نسمّيه ملاحقة الأوراق.

نسافر في شهر سبتمبر من كل عام أنا وإريك بالسيارة إلى نيوهامبشاير لمشاهدة أوراق الأشجار، ثم نبحث عن سرير، ووجبة إفطار نتناولها ونرتاح، ثم نتوجَّه إلى أعلى جبل ونتسلَّقه.

ذهبت هذه السنة دون أن أخبر أحداً، وتوجَّهت إلى ثاني أعلى جبل وبدأت في تسلُّقه، مع ارتفاع صوت نباح الكلب.

كان إريك يقول لكل شجرة يمر بها: قد تغيَّر لون أوراقك، ثم أرد أنا: نعم تغيَّر، تغيَّر. ونتجاوزها، وكنا نطلق على الأشجار الخضر النضرة لقب الأشجار المُقاوِمة.

هذه السنة، يبدو أن المقاومة في أوج نشاطها، فقد كان الصيف

شديد الحرارة، والآن درجة الحرارة مرتفعة في الخريف أيضاً، وقد وصل الكلب إلى القمة، بينما أنا أخلفه بنصف ميل وينبح على فترات لإرشادي إلى الموقع.

أدركت أن ثاني أعلى جبل يتمتَّع بإطلالة أفضل من أعلى جبل، حيث إنني لاحظت وجود بحيرة لم أكن ألاحظها من قبل.

فوق الارتفاعات العالية، يضخُّ الجسم مزيداً من خلايا الدم الحمر لتعويض كثافة الهواء المنخفضة، وهذا ما يمنح الرياضيين الذين يرفعون مستوى التدريب إلى الحافة التنافسية، وبعض متسلّقي الجبال الشعور بالحيوية.

أشعر باليقظة هنا في الأعلى، ولكن دون حيوية، والكلب يجري حولي في دوائر.

ضللت أنا وإريك الطريق في إحدى رحلاتنا، حيث تبعنا الشجر الذي وضعنا عليه علامات ولكن العلامات اختفت، وسرعان ما اختفت الشمس أيضاً.

وانتابنا الذعر، فالغابة تكتسي برائحة الأوراق المبتلَّة والعفن الفطري، ولم يعد بإمكاني تمييز ملامح وجهه أو وجه الكلب، ولكنَّني أستطيع سماع خفقات قلبيهما بجانبي. لقد بدأنا التسلُّق من طريق، ثم سلكنا طريقاً آخر.

ظل إريك يسأل: أي طريق هو الشمال؟ سؤال بليغ.

فنظرت إلى السماء، وكالمعتاد أمكنني إيجاد نطاق الجوزاء، ولكن لم أتمكَّن من رؤية مجموعة الدب الأكبر أو الأصغر، ولا حتى

النجم القطبي. يسافر الضوء المنبعث من النجوم سنوات عديدة حتى يصل إلينا، فالذي نراه هو شكل النجم في الماضي، وقد يكون اختفى إلى الأبد.

وأخيراً وجدنا نهراً، وشاهدنا طريقاً للسيارات بعد هذا النهر، وأمرنا الكلب بالعبور، وبعد دقائق أصبح الكلب في الناحية الأخرى، بينما نحن نعبر النهر شديد البرودة، ونحمل جميع المعدَّات الخاصة بنا، وكانت المياه تصل إلى منتصف جسمي والصخور أكثر انزلاقاً مما تبدو عليه.

قال لي بعد مرور عام على هذا الموقف: اعتقدت أنك ستتخلَّصين منّي في ذلك اليوم.

ـ لماذا أتخلَّص منك؟

ـ لجعلك تعبرين النهر على قدميك.

ـ لم أهتم لذلك.

ـ أعلم.

أدركت ذلك اليوم أن الأمور بيننا ستستمر.

• • •

قررت إيجاد غرفة في نُزل، بدلاً من خيار النزول في فندق وتناول وجبة الإفطار، فلماذا أتناول وجبة إفطار بمفردي؟ لماذا أمنح الآخرين فرصة للتحدُّث؟

كانت لديَّ مشكلة مع اللغة الصينية، حيث ترد بعض الألفاظ

بأكثر من معنى، وعندما كنت أقول إحدى تلك الكلمات كان مستمعي ينفجر بالضحك.

قلت للتوّ «فنجان قهوة» بدلاً من المعزى، وكلمة «تابوت مثلَّج» بدلاً من «نُزُل».

تتحوَّل بعض غرف الفنادق إلى تابوت مثلَّج؛ كهذه الغرفة، حيث إن المدفأة لا تعمل، والبطانيات خفيفة، وتنخفض درجة الحرارة في الليل إلى أقل من 50 درجة!

أتعجَّب كيف لها أن تفعل ذلك؟ تأتي إلى مكان مثل هذا وتظل لسبعة أيام من دون فعل شيء. هل تناولَت أي شيء، أم هي فقط تمضي وقتها في النوم؟

تلد الدببة خلال فترة السبات؛ أتخيَّلها تستيقظ فجأة وهي أم، أعتقد أن شعوراً بالاندهاش ينتابها، ولكنْ لم تسجّل أي حالة تركت فيها أمهات الدببة صغارها بسبب الصدمة. من المحتمل أن والدتي انتابتها لحظات من الصدمة خلال تربيتي.

كيف وصلت إلى هنا؟ ما الذي أفعله؟ تقول ابنتي: مؤكد أنت مخطئ.

عند إخباري إريك عن حديقة الملاهي، أخبرني أن والدتي شخص سيئ، وتساءل: من يفعل ذلك بطفلة؟

فرفعت يدي عالياً وقلت: لا، لا، لا، هي ليست سيئة. وشرحت نظريتي في الصدمة التي تصيب الأمهات، فقد كانت مصدومة لبعض الوقت حتى أدركت أنني موجودة، وأعتقد أن هذا ما دفعها إلى الرحيل.

قال إريك: لكن هذا ليس عذراً.

واجهت صعوبة بالغة في إيصال ما أعتقده لإريك، وهو يقول إذا فعلت أمي هذا معي لكرهتها، ولم أسامحها لفترة طويلة.

سألتني الطبيبة النفسية أيضاً ما إذا كنت غاضبةً منها، ومن الطبيعي أن أغضب منها. ماذا لو تم اختطافي؟ ألم يتعيَّن عليها ترك رسالة إلى أبي بأنها قرَّرت عدم العودة ثانيةً؟

إذا توجَّب أن يغادر أحد الأبوين، فليكن الأب، فغياب الأب أكثر شيوعاً وليس بالضرورة أن يكون إنساناً سيئاً.

قبل أن يعلم إريك عن كل ذلك أخذني إلى سيكس فيلاج على أمل مفاجأتي وقد نشرت على مدونتي هذه الكلمات «لا توجد طريقة أفضل للاحتفال من أن تشاركني فعل شيء تحبه من طفولتك على أمل أن أحبه أنا أيضاً»، فأخذني لركوب لعبة ويكد سيكولوني وجريت تشيس وماينـد ريزير، ولكن عند وصولنا إلى البوابات أدركت إلى أين نحن ذاهبون، وطلبت منه أن يوقف السيارة لأتقيَّأ.

ظنَّ بأنني أمزح ولم يتوقَّف جانباً، ثم تقيَّأت على يدي، فأصابه هذا بالفزع وجعله يقود مسرعاً، بينما أحاول عدم إيقاع السائل من يدي.

• • •

عدتُ من التابوت المتجمِّد لأجد المدينة قد أصابها البرد وانخفاض درجة الحرارة، وعلى ما يبدو أن الجيران غير سعداء بذلك، وسيقتصر الحديث في الأيام القادمة حول كم بدا هذا الخريف قصيراً، وكم بات الشتاء الصعب الطويل وشيكاً.

خلال فترة غيابي أنشأت لي صديقتي المقرَّبة صفحة مواعدة على الإنترنت.

تحدَّثت صديقتي عن هذا الأمر وقالت: لا تنظري إلى الأمر على أنه مواعدة، فقط فكّري فيه على أنه عودة إلى العالم والتعرُّف إلى أشخاص جدد يمكنهم أن يوفّروا صحبة جيدة لك خلال تناولك الطعام.

وعقَّبت: كل شخص يجب أن يأكل، وأنا أتفق معها في ذلك.

هي أيضاً وصفت جسمي بالممشوق وعيوني بالعنبر، فلا أحد يمتلك عيوناً بنية هذه الأيام.

أعطاني أسئلة لأجيب عنها، وهي:

صِفِي ليلة الجمعة النموذجية بالنسبة إليك.

ـ أظل بالمنزل وأشاهد فيلماً وأبدأ مناقشة مع نفسي.

صفي صباح عطلة نهاية الأسبوع المثالية بالنسبة إليك.

ـ أستيقظ وأوقف المنبه وأبدأ في حل المناقشة مع نفسي.

اقتبست هذه الكلمة وفيما بعد تحدَّثت مع موظف الاستقبال في قسم السيارات قائلة: انظر إلى لون عيني؛ فهو عنبري أو أسود أو رمادي، لكن مؤكد أنه ليس بنيّاً.

النقاش الحاد الذي أدخل فيه مع نفسي هو:

أتناول الفشار، لا لن أتناول الفشار، سوف أتناول الفشار، لا ليس الفشار، سأتناول الفشار!

أنا بخير، لا أنتِ حزينة، أنا بخير، أنتِ مرتبكة ومجروحة ومشوَّشة وبالتأكيد لستِ بخير.

اعتقدت ذات مرة أنني بحلول الآن سأكون قد وجدت إجاباتٍ لجميع الأسئلة.

أعد مراسلتي إذا...، ثم أكتب، أعد مراسلتي إذا كنت تعرف كيف تطير الصواريخ.

قد تكون المشكلة التي تواجهني في توجيه مسار جزيء الغاز ناتجة عن مشكلة بسيطة. بطريقة أوضح: لا يمكنني التفرقة في الحديث بين الاتجاهات (اليمين واليسار)، أستطيع أن أفعل ذلك في اللغة الصينية، بينما في اللغة الإنجليزية يجب عليَّ الإشارة بإصبعي على أول حرف من الكلمة واليد التي في اتجاه هذا الحرف تشير إلى اتجاه اليسار، وجد إريك أن هذا مضحك، فهي طريقة أخرى يخبرني فيها أن الإنجليزية ليست لغتي الأم. كان يطلب مني إحضار الفنجان بقصد أن يقول إن الفنجان مكانه في اليسار، فقط من أجل مشاهدتي وأنا أتخيل كلمة إنجليزية وأشير بيدي إلى بدايتها حتى أعلم أين الاتجاه الذي يقصده.

الشخص القادم لن يعرف هذه الإعاقة الصغيرة، فلن ألتفت إلى توجيهاته بكل بساطة وسأحضر أقرب فنجان تقع عيناي عليه.

الإجابات التي حصلت عليها:

تطير الصواريخ في الفضاء لعدم وجود جاذبية، ولأنهم يستطيعون ذلك ويؤمنون أنهم يستطيعون، وأي شيء تؤمن به يمكن أن يحدث.

الوقود، غير مهم!

أستطيع أن أحصي عدد الأخلاء الذين حظيت بهم على إصبعين من أصابع يدي، كيف لي أن أفعل ذلك مجدداً؟ ماذا عليَّ أن أقول؟ ردَّت صديقتي المقربة: ابدئي الحديث بإخباره عن اسمك، ثم اسأليه عدداً من الأسئلة، واستغلّي إجاباته في سؤاله أسئلة أخرى، وأعيدي توجيه أي سؤال يسألك إياه.. ابتهجي.

ـ ولكن كيف تعرفين أنه مهتم؟

ـ إذا حضر.

ـ فكيف تعرفين إذا كان يجامل؟

ـ إذا حضر.

أتذكر أنه في إحدى المرات على العشاء حضر ذلك الشخص الذي لديه حسٌّ عالٍ في اختيار الملابس، حيث كان يرتدي ملابس منسَّقة بشكل أفضل مني، وعندما عطست أخرج منديلاً من جيب معطفه مطرزاً بالأحرف الأولى من اسمه، فأعدت إليه المنديل، فأنا لا أريد أن أعطس على الأحرف الأولى لأي شخص.

أتذكَّر ذلك الشخص الذي دخل في صلب الموضوع مباشرةً وسألني ما إذا كنت أنا الأخرى أبحث عن علاقة عابرة. إذا لم تكوني كذلك فتخطّي الموضوع.

وهناك ذلك الشخص الذي لم يرغب في التحدُّث عن العروض السينمائية، كان يقول إن العروض السينمائية تقتل الروح، بينما الأفلام...

قاطعته وأخبرته أنني أعلم القليل عن الأفلام ولم أشاهد أيّاً من الأفلام القديمة، وهو لم يشاهد أي فيلم خيال علمي.

فسألته: ماذا عن فيلم جاتاكا؟

رد قائلاً: لا أعلم حتى ما تعني هذه الكلمة.

فعلت ذلك في بعض المرات: حبست أنفاسي خلال محادثة كاملة مع أحد الرجال وشعرت بالإغماء، ولكن لا يمكنني حبس أنفاسي لما يزيد على أربع دقائق، ففي الدقيقة الرابعة يتحتَّم عليَّ مقاطعة الشخص الذي يتكلَّم وإصدار صوت يوقفه عن الحديث، بعد ذلك توقَّف الحديث عن المواعدة.

ما يعجبني حقّاً في فيلم جاتاكا أنه يقدّم صورة مختلفة عن أفلام الخيال العلمي، حيث إنه يحتوي على القليل من الخدع البصرية والمؤثّرات الخارجية، فالفيلم يتناول شخصية عالِم يؤدي عمله في المعمل، ويعمل يوماً في المعمل ويوماً خارج المعمل، ينتظر جهاز الطرد المركزي حتى ينتهي. يستخدم الماصَّات لامتصاص الأشياء من القوارير، وأحداث الفيلم تجري في المستقبل البعيد، ولم يستخدم أي أضواء مبهرجة في المشاهد العلمية، وهذا ما يجعل الفيلم خالداً.

• • •

حتى مع انقطاع العلاقة وانطوائها في طي النسيان، فإنَّ إريك لا يزال يمارس اللغة الصينية. كان يقول إنه يتعلَّمها لنفسه، ولكن عندما أخبرت صديقتي المقرَّبة قالت، لا يمكن، هو يتعلَّمها من أجلك.

ولكنِّي أغفلت هذه الحقيقة، فماذا يعني إذا أصبح يتحدَّث اللغة بطلاقة ذات يوم؟ اللغة الصينية واحدة من أصعب اللغات في التعلم، إذا لم تكن الأصعب. قد يعني ذلك أنه اهتم لأمري كثيراً، وأنني كنت مجنونة لرفضي الزواج به.

واظب على دراسة اللغة كل يوم قبل الذهاب إلى النوم من خلال برنامج تعليمي على التليفون المحمول الخاص به.

قلت له ذات مرة: أنت لا تحتاج إلى فعل ذلك الآن.

ردَّ عليَّ قائلاً: هذا يساعدني على النوم.

لم أخبره أن هذا يساعدني أنا أيضاً على النوم، كونه يدندن باللغة الصينية بجانبي.

تعلَّم الكثير من الكلمات خلال السنوات الأربع، وتعلَّم بعض الجمل البسيطة ـ حضرت الشمس وها هو القمر، انظر.. الباب، ولكنه رفض التحدُّث باللغة الصينية عند زيارتنا لوالديّ.

لم يتحدَّث معهما طوال إجازة نهاية الأسبوع إلا باللغة الإنجليزية، وتحدَّثا معه بالإنجليزية فقط، وكان ذلك منذ سنتين. أصابني الغضب وأنا أرى عدم الارتياح يظهر في ملامحهما، وبالأخص أمي التي لم تتذكَّر كلمة ملح بالإنجليزية وتوجب عليها الإشارة إليها بيدها، وتسأل: ما هذا الشيء؟ ملح، فلفل، وعاء، مقلاة. لم يلاحظ إريك طريقة كلامها والصعوبة التي تواجهها، وكان يخبرها عما تسأل في كل مرة. لاحقاً تعاركنا بصوتٍ خافتٍ في غرفة نومي القديمة.

لا يحق لك ذلك، فهذا ليس مكانك، هذا منزلهما، ثم ما فائدة تعلُّم هذا الكم من اللغة الصينية إذا لم تستخدمها في الوقت الذي يتوجَّب عليك استخدامها فيه؟

نتجادل حول هذا السؤال، هل هذا مهم؟ ما الأمر الجلل في ذلك؟ ما الأمر الجلل في ذلك؟ ما الأمر الجلل في ذلك؟!

وجدت نفسي أتعارك ولكن ليس بصوت خافت، وفي النهاية قال إنه لم يستطِع إجبار نفسه على فعل ذلك، فهو لا يمكنه إبراز شخصيته وإظهار حس دعابته وهو يتحدث باللغة الصينية، فهو يشعر أنه مقيد.

من يهتم بروح دعابتك؟ برأيك ما شعور أمي الآن وهي تحاول التعرف إليك؟ هذه ليست مشكلتي، بما أنها تعيش هنا الآن فهي تتوقَّع التحدُّث باللغة الإنجليزية.

عند سماعي له وهو يتفوَّه بهذه الكلمات أمسكت أثقل شيء قريب مني– دباسة، على ما يبدو أنني كنت أخطّط لأن أدبس شفتيه حتى يشعر بأنه مقيَّد بشكل أكبر.

• • •

جمع أوراق الشجر المتساقطة أمر مُملّ، لذلك استأجرت الصبي الذي في المنزل المجاور لي للقيام بهذا العمل، ولكن الرياح التي تهب خلال الليل مزعجة وتسقط جميع أوراق الشجر الموجودة في العالم أمام عتبة باب بيتي.

تقول كعكة الحظ: مع وجود عقبات في طريق بيتك لن يزورك أحد.

كتب لي أبي رسالة إلكترونية كبيرة وأمضيت الظهيرة في محاولة قراءتها، ليخبرني أن الأمور في حديقته الموسمية تسير بشكل جيد، وأنه موسم جيد بالنسبة إلى زراعة الباذنجان.

يفترض عند قراءة اللغة الصينية تجميع الرموز ونطقها في وقت واحد، ولكني لا أستطيع ذلك، فأنا أقرأ رمزاً واحداً في كل مرة مع وضع إصبعي على الشاشة والكلمات التي لا أعرفها أجمع كل ثلاث كلمات وأبحث عنها.

قريباً سوف يحصد المحصول ويعطي بعضاً منه للأصدقاء، وقريباً سوف أتلقَّى سلَّة بها ثلاث حزمات من الباذنجان.

هذا يذكّرني بالوقت الذي أجبرني فيه على أن آخذ بطيخة شتوية معي وأنا عائدة إلى بوسطن. أتذكَّر أنها كانت كبيرة جدّاً على أن توضع في حقيبتي، لذا توجَّب عليَّ أن أحملها خلال مروري من البوابات الأمنية، وعندما نظر إليها الشرطي بنظرة شك، توجَّب عليَّ أن أضعها على جهاز الأشعة السينية.

تعلَّم عبارة الإبهام الأخضر في أمريكا، ولكنها كانت غريبة عليه في البداية. عمل عندما كان صبيّاً لساعات طويلة في الزراعة. كان يستخدم ماكينة تقطع الأفرع وتربطها، وعلى ما يبدو أنه وضع يده في النصل الحاد وسحب الفرع إلى الخارج، لكنه كان بطيئاً جداً لثانية. نظر قائلاً: إبهام أخضر؟ ثم فكر: على ما يبدو أنه لا يوجد إبهام أساساً.

وصلت سلَّة الباذنجان وهي معبَّأة بعناية، حيث كل باذنجانة ملفوفة بالورق المعدني. رتَّبتها في صف من الأصغر إلى الأكبر.

أنا قلقة، فإذا تناولت كل هذه الكمية سوف يتحوَّل لوني إلى البنفسجي.

وجهت سؤالاً إلى صديقتي المقربة: هل هذا يمكن أن يحدث؟ ردَّت قائلة: اممم، في الحقيقة علم الأحياء البشري عجيب جدّاً، ولكن إذا تحوَّلت إلى اللون البنفسجي، يجب عليك إخبارها بذلك، هذا سيجعله يومها بالتأكيد.

أيامها طويلة للغاية، حيث تطعم الطفلة، ثم تلاعبها، ثم تطعمها وتضعها لتنام.

تقول صديقتي: مؤكَّد أنك تظنّين أن هذه هي النهاية.

ـ لا هذه ليست النهاية، فيجب عليها أن تراقب الطفلة وهي نائمة، وتتفحَّص جفونها خلال ما تعتقد أنه حلم سعيد.

آخذ الاثنين في نزهة شهرية، وبكل سعادة أحمل الطفلة وأصطحبها إلى المراجيح، ولكن عند عودتنا عادةً ما تقف صديقتي المقرَّبة أمام إناء به ماء يغلي وتضع وجهها في مواجهة البخار، وعلى ما يبدو أنها قرأت في مكان ما أن البخار يحتوي على خلاصة السموم والأفكار الشريرة، مثل: اتركي طفلتك تبكِ بمفردها حتى تنام، أو ضعي ابنتك في صندوق، وهي تصحّح الأفكار لنفسها، فليس صندوقاً إنما هو مكان تجد فيه جميع متطلَّباتها حتى تصبح بعمر الثامنة عشرة وتكون جاهزة للذهاب إلى الكلية.

ثم عقَّبت: لتصبحي أمّاً وزوجة جيدة يجب عليك أن تكوني آلة دائمة الحركة.

والزوج الذي لم ترَهُ منذ يومين في رحلة عمل، تظنُّ أنها إلى شيكاغو هو من أخبرها مكانه بالتأكيد في وقت من الأوقات ولكنها نسيت، ودائماً لا يشاهد كل منهما اتصالات الآخر.

هي تقول إن البخار هو السبب في أنَّ وجهها باهت اللون، متغافلةً عن العوامل الأخرى الواضحة.

تقول إنها مرحلة وستمر في النهاية.

قائمة بأشهر الكيميائيين:

ـ ألفريد نوبل.

ـ فريتز هابر.

ـ فيكتور غرينيار.

الرجل الذي أنشأ جائزة نوبل هو نفس الرجل الذي اخترع الديناميت المتفجّر ويطلق عليه تاجر الموت، وسعياً منه لترك ميراث مختلف وهب كل ثروته لإطلاق هذه الجوائز بما في ذلك جائزة نوبل للسلام، وعلى ما يبدو أن هذه الاستراتيجية تعمل بنجاح، فعند إخباري للتلاميذ عن الديناميت يتفاجؤون.

أما فريتز فاخترع عملية ثورية ـ طريقة لإنتاج الأمونيا من النيتروجين والهيدروجين، وهي طريقة سهلة ويمكن استخدامها للإنتاج الكمي، حيث تدخل الأمونيا في الأسمدة، وقيل عن هذه العملية إنها تجعل الخبز متاحاً من الهواء، ولكن فريتز شخص معقَّد، ولم يكتفِ بكونه مؤسس علم الزراعة الحديثة، بل قرَّر أن يكون رائداً في مجال الحرب الكيميائية، واخترع أشياء مثل غاز الكلور.

عند رؤيتي صورة فيكتور عالم الرياضيات الذي تحوَّل إلى عالم كيمياء عضوية للمرة الأولى، أكثر شيء لفت انتباهي هو الشارب المتدلّي الكثيف الذي ينمو من الأنف، ويلتفُّ حول الفم ويغطي جزءاً من الخدّين ويشبه مقود الدراجة. اخترع تفاعلاً شهيراً سمّي باسمه يعرفه كل طالب كيمياء عضوية. خلال فترة الحرب العالمية الأولى، اخترع فريتز للألمان غاز الكلور، بينما اخترع فيكتور الذي كان يعمل لصالح فرنسا غاز الفوسجين، وهو غاز آخر ولكنه أكثر فتكاً، وله رائحة تشبه رائحة العشب المقطوع حديثاً.

فاز فيكتور بجائزة نوبل في الكيمياء عام 1912. وفاز فريتز بنفس الجائزة عام 1918.

• • •

دائماً يقال في المجال العلمي إن استنساخ النتائج هو أعلى درجات الإشادة.

تسلسل الكتابة في اللغة الصينية مهم جدّاً، وكانت والدتي تحاول تعليمي أن أرسم الخط أولاً ثم النقاط وليس العكس، ولكن سرعان ما كانت ترفع يدها عني من الإحباط، فيما بعد نتج عن هذا النهج المنظم خط جميل في الكتابة، وعند عودتي أنا وأبي وأمي إلى الصين اكتشفت أن الجميع يكتبون بهذه الطريقة.

كيف يمكن أن أظل أُخبر شخصاً صينيّاً بالكتابة بالطريقة التي يكتب بها حرف الإس مثل رقم 5 بالإنجليزية أن حرف الإس أنيق بأنف طويل.

حرص والدي على ذهابي بشكل أسبوعي إلى مدرسة صينية، وهذا لسنوات عديدة، حيث يفترض أن أتعلم القراءة والكتابة، ولكنني لم أنتبه جيداً وكنت أتكلم مع الجميع خلال الحصص الدراسية.

ما حاجتي إلى اللغة الصينية؟ لغة قديمة وصعبة.

أدركت بعد ذلك أن هذه كانت فرصتي لأتعلم الكثير وقد أضعتُها.

إذا كانت تعيش هنا فهي تتوقَّع التحدث باللغة الإنجليزية، هذا ما قاله إريك.

اعتذر إريك على الفور عن هذه الكلمات، وعلى الفور تركت الدباسة، ولكن لا يمكنني نسيانه. هذه الكلمات التي تفوَّهت بها، قد سبق أن سمعتُها من أشخاص آخرين، ولهذا لم أُرِد سماعها منك.

• • •

من أحاول أن أسامح حقّاً؟ لقد فكرت في نفس الكلمات التي قالها، وفي الغالب قُلتُ هذه الكلمات أنا أيضاً. ضعفها في اللغة الإنجليزية ليس ناتجاً عن عدم محاولتها إتقانها، فقد ذهبت إلى دروس تحدُّث اللغة الإنجليزية وإلى مجموعات قراءة. هي صيدلانية محبطة بذاكرة حديدية ولكن الذاكرة تلاشت، لكن كيف كان شعورها في هذا الموقف: عندما كنت في المرحلة الثانوية، ابتعدت عنها لمسافة عشر خطوات بينما نحن في الخارج في مكان عام، فطلبت المساعدة وتظاهرت أنني لم أسمعها، وعندما كانت

تخبر جيراننا بأن لدينا ثلاثة فهود في المنزل كنت أُحرج جدّاً من ذلك وأصحّح لها. أدركت فيما بعد فقط مدى الفكاهة في ذلك.

سخر الأولاد في الملعب مني وهم يقولون تشونغ تشانغ تشينغ، غنِّ لي أغنية، فلم أذهب إلى المدرسة الصينية هذا الأسبوع.

سخر الأولاد مني في الفصل قائلين تشونغ تشانغ تشينغ، طوال الليل، فانقطعت عن المدرسة الصينية طوال الشهر.

• • •

ـ من الذي كنت تلعبين معه في صغرك؟

ـ هل لديك أبناء عم في نفس عمرك؟

لا أشعر بالرغبة في الإجابة عن هذه الأسئلة، ولذلك سألتني الطبيبة النفسية سؤالاً أسهل: ماذا فعلت اليوم؟

ـ شاهدت الكلب يطارد نفسه حول شجرة، وهو يظن أن ذيله هو ذيل كلب آخر. هذا تقدم كبير، أليس كذلك؟ فهذا الشكل الأكثر تطوراً من مطاردة الذيل.

قالت الطبيبة النفسية إنها لا تدري.

الجو شديد البرودة في الخارج ويصل إلى درجة التجمُّد، حتى إن التنفُّس يؤلمني. يتوقَّع خبراء الأرصاد الجوية شتاءً قارساً لم تشهد البلاد مثيلاً له من قبل، حيث يتوقَّعون انخفاض درجات الحرارة بشكل غير مسبوق وهطول الثلوج ليس بدرجة تكوُّن الجليد العادية إنما قد تدفنَّا أحياء.

إضافة إلى مشاهدة الكلب، أقطّع الباذنجان لأُعدّ الحساء. أنا لا أعلم كيف أُعدّ الحساء ولكني أحاول. لقد شاهدت عدداً كافياً من الأشخاص يُعِدُّونه في برنامج الطبخ هذا.

إذا حضرت أمي هنا كانت لتقول: ضعي «باذنجاناً» في الحساء، وهذا لأن اللغة الصينية لا تحتوي على أدوات تعريف، فاللغة الصينية المنطوقة محايدة الجنس، أي لا يوجد مذكر ومؤنث. كلما أتعمَّق في التفكير بهذا الآن أحب هذه اللغة. أنت رجل أو امرأة؟ هل هذا ذو أهمية؟ مجرد شخص وفقط.

قال ماو ذات مرة: «النساء يرفعن نصف السماء».

• • •

بالفعل لديَّ ابنة عم في نفس عمري، نشأت وكبرت في الصين، وعند زيارتي لها في نهاية الثانوية كانت قد نمت لتصبح شخصاً رائعاً، يتعيَّن عليها تعليمي الكلمة المقابلة لكلمة رائع في اللغة الصينية.

قالت لي: أنت تتحدثين مثل والديك. طريقة قديمة بعض الشيء، قالتها بتعجرف، بالطبع. لا بد من ذلك، فهذه الطريقة الوحيدة التي سأتذكَّر فيها هذه الكلمات لسنوات قادمة وأنا أشعر بالخجل الشديد.

أنا أكثر قرباً من جدّي لأمي على الرغم من أنني لم أرَه منذ أن غادرت، وآخر حديث لنا معاً كان وأنا في الثانية عشرة من عمري وهو يحتضر. قالت إنني سوف أزوره في الغد، لا تقلق سوف أحضر.

انتظرت الحصول على التأشيرة للعبور وركوب الطائرة

والعودة إلى الصين، ولكن قبل أن أتمكَّن من رؤيته ثانيةً كان قد مات، في نفس الشهر مات جدي الآخر.

اعتدت إخبار إريك إلى أي درجة هو محظوظ بقرب المسافة بين أفراد عائلته، فكل ما يتطلَّبه الأمر بضع ساعات من السفر بالسيارة ليذهب كل قريب إلى الآخر، ولا توجد حاجة إلى تأشيرة، وهذا ما يكون عليه الأمر في العائلات إلى أن يقرّر أحد أفراد العائلة الهجرة.

أنا على ثقة من أن والديَّ عند مغادرتهما أدركا أن العودة أمر صعب.

بمرور الوقت وصلنا إلى الصين وقد انتهت الجنازة. قالت والدتي الحزينة إنها لن تعود معنا وستظل في الصين مع والدتها.

دار الكثير من النقاش الحاد حول هذا الأمر خلف الأبواب المغلقة. التوهُّج الذي تراه حول الباب المغلق هو خاصية انحراف الضوء، وهو ضوء يحاول الهروب من الغرفة ويتحرَّك حول عقب الباب، وفي هذه الحال فإن الباب هو باب غرفة والدي، وأنا أجلس خائفة على حافة سريري أمعن النظر فيه.

قال: هذا الأمر لا يتعلَّق بك أنت أو أنا فقط، وتوقَّف عن الكلام.

قالت: ليس لديَّ أحد إلا والدتي الآن. وبدأت في البكاء، وقالت بعض كلمات بلغة أهل شانغهاي قد يكون معناها أن الأمر لم يكن أبداً يتمحور حولي. ألست تعباً من ذلك؟ بسبب أفعالي. استشففت من نبرة صوتها أنها تتحدَّث وهي تبكي، ولا بد أنها مجهدة، وحين فُتح الباب أخيراً وجدتها على بعد خطوات مُلقاة على الأرض. أتذكَّر فقط الطريقة التي كانت منهارة بها، الأكتاف

ملامسة للأرض والركب مرتفعة قليلاً، في هذا الوقت انتابني شعور شديد بالذنب، وخلال عودتنا بالطائرة أخبرتُها بأني لا أمانع إذا ما أرادت العودة في الطائرة المقبلة إلى الصين.

سألتني الطبيبة النفسية: لماذا تدافعين عنها بهذا الشكل؟ فهي لا تستحق هذا الكم من الولاء.

ـ لأن الأمهات أيضاً لديهن آباء وأمهات يهتمون لأمرهن؟ لأن لديهن في حياتهن أموراً أخرى يهتممن لأمرها خلاف أطفالهن، ولأني أتمنى لها السعادة دائماً.

كثيراً ما كانت توجّه وجهي إليها وتقول: يجب أن تصبحي أفضل من الرجل الذي ستتزوجين. لا بد أن تحقّقي نجاحاً أكثر مما يحقّق.

لا أستطيع أن أخذلها هي الأخرى.

• • •

المعادلة

السعادة = الواقع – التوقعات

إذا كان الواقع – التوقعات، إذاً فأنت سعيد.

إذا كان الواقع – التوقعات، إذاً فأنت لست سعيداً.

فكلما انخفض سقف توقُّعاتك أصبحت أكثر سعادة.

وبمجرَّد توصُّل علماء النفس إلى نتيجة هذه المعادلة توقَّفوا وأطلقوا تحذيراً: لا ينبغي أن يعيش الشخص بسقف توقُّعات منخفض، فأحاسيس كالشعور بالإحباط تستحق التجربة.

لا يعلم الكثير عن التأثير طويل المدى للسفر في الفضاء، على الرغم من أن المشكلة الرئيسة التي تواجه المسافر هي الوحدة الشديدة.

أجلس أنا وإريك ثانيةً في مطعم الفطائر المحلاة إنترناشونال هوس أو بينكيك، وأتناول فطيرة محلاة تدعى الوجه المبتسم، وهو يأكل خبز التوست.

أخبرته أنني الابنة الوحيدة.

فقال لي هذا شيء آخر مشترك بيننا، فهو أيضاً الابن الوحيد.

ولكني أنا الابنة الوحيدة في عائلة مهاجرة، فنظر إليَّ في حيرة.

وما الفرق في ذلك؟

إنه مثل السفر في الفضاء.

للعلم، فكَّرت في وقت ما أن أحصل على دكتوراه في علم الكيمياء، وعلى الرغم من الوضع الحالي فقد كانت هذه فكرة جيدة.

ما يقوله بعض الناس عن سؤالهم عن التجارب القاسية:

ـ إذا كان بإمكاني العودة وتكرار الأمر، سأفعل.

ـ لا، لا أعتقد ذلك.

ادَّعى مقال في إحدى الصحف أن مدارس النخبة الأمريكية تجيد فقط إنتاج أشخاص ضعفاء بدرجات علمية ممتازة، ضعفاء من النوع الذي ينفّذ الأمر تلو الآخر دون أن يسأل لماذا.

كما ادَّعت الصحيفة في مقال آخر أن هذا الوصف ينطبق أيضاً

على الآسيويين، فكل ما عليك أن تعطيهم مهمة وسوف يحقّقونها بنجاح ساحق، وسوف ينفّذون كل ما تأمر به، ولكن إذا طلبت منهم أن يفكّروا في مصلحتهم الخاصة فلن يستطيعوا ذلك، كما أنهم لن يسألوا لماذا.

تعتقد صديقتي المقرَّبة، وتشاركها الرأي الدكتورة النفسية، أنني يجب ألا أهتم برأي الآخرين فيَّ، ولهذا توقَّفت عن قراءة هذه المقالات.

رغم وجود بعض التعليقات من الأشخاص الذين أخبرتهم عن عدم إكمالي لرسالة الدكتوراه فلن ترتقي لصعوبة إخبار أبي وأمي:

ـ واجهيهما ولو مرة.. أنت فقط لا تعرفين كيف تواجهينهما.. لا يمكنك أن تعيشي حياتك لهما، في النهاية سوف يموتان، ماذا ستفعلين بعد ذلك؟

في النهاية لم تقل صديقتي أو الطبيبة النفسية أيّاً من هذا الكلام. قالت إحداهما: أعلم أن هذا أمر صعب، أخبريهما حين تشعرين أنك مستعدة، والأخرى أعطتني علبة مناديل.

ـ أنا تابعة مثالية، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل الآن للأخذ بزمام المبادرة وأكون بطلة قصتي؟ أين الهيكل الخارجي الخارق عندما أحتاج إليه؟

دائماً ما يدفعني فيلم ستيب مام إلى البكاء، ويعرض هذا الفيلم كثيراً على التلفزيون، وكلما يعرض أشاهده حتى نهايته، وتدفعني المحادثة بين الأمهات حول الابنة في المشهد قبل الأخير إلى البكاء في الغالب، حيث تتحدَّث الأم التي تحتضر بسبب مرض السرطان

وزوجة الأب التي لا يرغب أحد في وجودها، فالأم التي تحتضر من السرطان قلقة من أن تنساها الابنة التي تبلغ من العمر اثني عشر عاماً حين يأتي يوم زفافها، وزوجة الأب هي الأخرى قلقة من أن تتمنَّى الابنة في يوم زفافها لو تكون أمها الحقيقية بجانبها بدلاً من زوجة أبيها. شاهدت أمي هذا الفيلم عدة مرات. كانت تشاهده في غرفة نومها والباب مفتوح بشكل جزئي. سألتها: هل تبكين خلال المشهد قبل الأخير من الفيلم؟ فقالت: لا، أبداً، ثم خرجت من الغرفة والمنديل على أنفها وهي تقول إن موسم الإصابة بالحساسية قد بدأ!

سألتني الطبيبة النفسية: ما الذي يعجبك في الفيلم؟

ـ لا شيء محدداً، إنما أحبه لأنها تحبه.

نصيحة من أمي: ابكي وأنتِ في وضع رأسي؛ لأنك إذا بكيتِ وأنتِ مستلقية ستدخل الدموع إلى أذنيكِ وتسبّب تلوث الأذن.

عندما تشاركت هذه التفاصيل مع إريك، سأل كيف ما زلت أصدّق هذه الأمور؟

قلت بغضب: هذه الأمور، وأردت أن أضربه على وجهه بقبضتي، وفعلت ذلك.

ـ لماذا تستحق كل هذا الولاء؟ هي لم تفعل شيئاً لتستحقه.

ـ ولكنها تستحقُّه، فهي أمي.

• • •

أدركت حلول فصل الشتاء عندما سرت بالخارج وشعري مبتلٌّ من الاستحمام، وخلال عشر دقائق فقط تجمَّد شعري. لاحظت

في الآونة الأخيرة انتشار مجموعة من الفيديوهات المصوَّرة لأطفال بوسطن وهم يقومون بشيء مشابه لاختبار البرد، إلا أنهم ينقعون البنطلون الجينز في الماء ثم يتركونه خارجاً لمدة عشر ثوانٍ حتى يتجمَّد ويظل منتصباً من تلقاء نفسه.

استعانت صديقتي المقربة في النهاية بمربية، لأن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر، حيث تقضي ساعاتٍ طويلةً في المستشفى وتترك المربية في المنزل طوال هذه الساعات، في بداية الأمر ظنَّت أن المربية ستمنحها راحة البال، ولكن بدأت في التساؤل خلال ساعات العمل: هل تؤدي المربية عملها، أم تشاهد فيلماً على التلفاز؟

خشيت صديقتي لوهلة أن تكون قد ارتكبت خطأً جسيماً، وهذا لأن المربية شابة وتجلس في المنزل والزوج بالمنزل، ولكنه مشغول جداً هذه الأيام، لدرجة أنه لم يلاحظ وجودها إلا منذ ساعات، حيث رفع عينيه من جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به في دهشة: أعتقد أن هناك شخصاً غريباً بالمنزل.

بينما فصل الشتاء يبدأ في بوسطن، يبدأ فصل الصيف في القارة القطبية الجنوبية، وفي بداية كل فصل يحب طالب الرياضيات إعطائي تقريراً بحالة الطقس من هناك.

إنها بداية فصل الصيف وما زال البرد قارساً.

سالب 10 مع هبوب رياح تصل سرعتها إلى ستين ميلاً في الساعة، أو سالب 5 مع درجة رطوبة مثل رطوبة الصحراء.

حسبما علمت فإن القارة القطبية الجنوبية هي أكثر مكان جاف في

العالم على الرغم من أنها مكوَّنة من الثلج، فردَّ قائلاً: لا هذا ليس حقيقياً، فنسبة واحد في المائة من القارة القطبية الجنوبية لا تكسوها الثلوج.

يعرض عليَّ صورة للفتاة وكل ما أستطيع رؤيته هو سترة حمراء ببطانة من الفرو ونظارة واقية.

قلت له: تمتلك فماً جميلاً. من المدهش أنه غير مشقَّق، نظراً إلى الظروف.

قال إن الصورة قديمة ويبقيها في محفظته. لقد قامت بقصّ شعرها من ذلك الحين اثنتي عشرة مرة أو أكثر.

فسألته: كيف يبدو شكل شعرها الآن؟

استغرق دقيقة للرد: أعتقد أنه قصير ومجعَّد.

• • •

أمر دارج في المجال العلمي أن تعمل من أجل اكتشاف شيء وتجد أنك اكتشفت شيئاً آخر، فالصينيون اكتشفوا البارود بينما هم يحاولون اكتشاف إكسير الحياة، وأعظم أربعة اختراعات صينية هي البارود والورق والطباعة والبوصلة، ولكن الصين أعظم من ذلك بكثير، أخبرت إريك بذلك، فالصين تجمع بين عراقة الماضي وحداثة الحاضر. ستفهم ما أقصد عند زيارتك لها.

رد قائلاً: ومتى سوف أفعل ذلك؟ كان ذلك بعد أول مرة طلبها.

قلت: لا أعلم، وأنا أتصنَّع عدم إدراك ما يريد. أعتقد بعد الزواج بشخص صيني.

في أشد أيام العام برودة، ذهبت بالدراجة الهوائية إلى المكتبة. أفتقده بشدة، ولكني أحياناً أفتقد السيارة، وطريقة انتباهه إليَّ وأنا أتسلَّق إلى المقعد الأمامي أمام جهاز التدفئة المعطَّل. قابلت العديد من الطلاب أثناء وجودي بالمكتبة طالباً تلو الآخر، إنه لأمر متعب أن تستمر في التحدث والكتابة ورفع أحد حاجبيك لكيلا تبدو غاضباً.

سألتني الطبيبة النفسية: هل تؤدّين عملك على أكمل وجه؟ فأجبت بأني لا أعلم، كما أنه كيف يكون لك الحق في معرفة أي شيء تريدين معرفته؟

ابتسمت الطبيبة النفسية، فهي تظنُّ أن محاولتي إيقافها نوعٌ من الدُّعابة.

من المؤكَّد أنني لا أؤدي عملي بطريقة سيئة، لأن السيدة التي وظَّفتني تريد إعطائي علاوة، وهذا كثير، من يمكنه دفع كل هذا؟

ـ الكثير من الأشخاص على ما يبدو.

ـ هل هذه أربع قطع بيتزا أم خمس؟ حسبتها وعلى ما يبدو أنها بالفعل إحدى وعشرون قطعة بيتزا في الساعة، تدعوني صديقتي المقربة بالسيدة الغنية.

أحاول حل مسألة كلامية عن الفواكه: لديك تفاحتان وموزتان، كم عدد الأناناس الذي بحوزتك؟

تمعَّنت في قراءة المسألة لمرة أخرى، حيث إن الخدع العقلية دائماً ما تحدث معي وأنا أوجّه طالب الرياضيات الذي سبق أن أحضر لي ورقة عمل وأخطأت في فهم جميع المسائل.

هل هذا مساوٍ أو أكبر من عدد الأناناس؟

افترض أن الأناناس بستة جوانب، والآن واحدة أخرى، أناناس، أناناس.

أخبرت طالب الرياضيات في النهاية أن ينظر باتجاه الفتيات اللائي يوقعن الكتب والقهوة بدلاً من النظر إليَّ، حتى أتمكَّن من التوقُّف عن رؤية الأناناس.

أعطتني الطبيبة النفسية مهمة أخرى: لا تنسَي والدك، وأعيدي الاتصال به كما يتصل بك.

ـ هذا ما قاله:

لا تكتسي السماء باللون الأزرق أو الرمادي أو الأبيض، وإنما هذا لون سبتيليون من قطع الثلج التي تسقط على الأرض، والسبتيليون هو رقم واحد وبجانبه أربعة وعشرون صفراً، وهي أصفار أكثر مما يمكنك كتابتها في جلسة واحدة لأنك طفلة غير صبورة، والآن اجلسي هنا بهدوء لأوضح لك كيفية حل العمليات الحسابية وسير الأمور في الرياضيات.

اتبعي هذا الترتيب: الضرب ثم القسمة ثم الجمع ثم الطرح، لأن هذا هو ترتيب العمليات الحسابية، وهذه هي الطريقة التي يمكنك بها حل أي شيء. هذه هي الوحدة التخيُّلية وليس لها وجود حتى كتابة الحرف ـ حينها تكون موجودة، وتوجد هناك في الصفحة، وهذا هو الجذر التربيعي والجذر النسبي ومقلوب العدد والقاعدة المترافقة والمترافقة المركبة، وهذه أشياء من الصعب حلها، ولكن يجب عليك ذلك إذا أردت تعلم أي شيء.

يمكنك اللعب بالدُّمية لكن ليس لأكثر من ساعة، يمكنك اللعب بها ليس لأكثر من خمسين دقيقة، يمكنك اللعب بها لثوانٍ، يمكنك ذلك لميلّي ثانية. إذا كان تعلُّمك للرياضيات بنفس سرعة ركضك خارج المنزل للعب لأصبحت عبقرية، ولكنك لا تتعلَّمينها بسرعة ولست بعبقرية. أنت بئر تسقط فيها المعرفة وتذهب أدراج الرياح!

اجلسي هنا لأوضح لك ما الفيزياء وكيفية سير الأمور في علم الفيزياء، فمن دون تعلُّم الفيزياء يصبح المرء جاهلاً بكل ما في العالم. يصبح أجوف وفارغاً من المعرفة وغير قادر على تبيُّن السبب في جميع الأشياء المحيطة بنا. على سبيل المثال: فالصاروخ يطير في الفراغ الذي يسميه أساتذتك الفضاء الخارجي، فلماذا يطير الصاروخ في الفضاء؟

لا أعلم لماذا. أنا حتى لم أفكر في هذا الأمر، كم أنا غبية! وافقني الرأي هو أيضاً وقال: كم أنت غبية.

وصّلي بيت الدمية الخاص بك بأسلاك الكهرباء وسوف تدركين ما الكهرباء، وصّلي ضوء الحمام بأسلاك الكهرباء وستدركين حقّاً ما الكهرباء، وصّلي جهاز الجلفانومتر هنا وهنا وتجنَّبي التعرُّض للصعق بالكهرباء، هل رأيت ماذا يحدث عندما لا تنفذين ما أقول؟ لقد عرَّضت نفسك للصعق بالكهرباء. الآن انهضي وحاولي فعل ذلك من جديد.

حاولي من جديد..

حاولي مرة ثانية..

حاولي مرة أخرى.

استمعي إلى ظاهرة دوبلر، أو لن تفهمي التردُّد والصوت إذا لم تفهمي آلية الصوت فلن تدركي ما اللحن أو انسجام الأصوات أو السبب في صنع الكمان بشكله الحالي.

تعالي هنا إن أمكن لأريكِ مقذوفات حقيقية تطير، هو هذا الحجر الذي يتعيَّن أن تجعليه يتخطَّى المكان المحدد له إحدى عشرة مرة، لا أكثر ولا أقل، ووجهي زاوية الإطلاق فقط نحو الاتجاه الصحيح.

رميت الحجر في الأسفل ولم يتخطَّ المكان المحدد في أي مرة، وقال: أنتِ لستِ ابنتي بالتأكيد.

ادفعي الضرائب المفروضة عليك مبكراً، وادفعي الفواتير في وقت استحقاقها وأنفقي الكثير على التأمين الخاص بك، واحرصي على الاشتراك في خطة التقاعد 401 (كي) وأنشئي حساباً مصرفيّاً عالي الفائدة، أو لا تفعلي وستصيرين فقيرة لبقية حياتك. هل ترغبين في العيش فقيرة؟

ـ لا.

ـ إذاً فكِّري في الأطفال الذين ستنجبينهم في المستقبل، لأنهم لو كانوا مثلك سيحتاجون إلى أشياء لا تستطيعين توفيرها.

أتذكر أنه في يوم عيد ميلادي قال: أنت الآن تبلغين من العمر أربعة آلاف وأربعة عشر يوماً، وإذا تمكَّنت من إخباري ما الأس اللوغارتمي لهذا الرقم، يمكنك الحصول على بعض البالونات، وإذا لم تستطيعي فلن تحصلي على بالونات.

وأكمل الحديث بقوله: فكِّري ملياً فيها ولا تتسرَّعي في الحكم. ما معنى هذا التعبير؟ أنت على وشك فقدان شيء بمقدار شعرة؟

فأجبته: ها، احسب لي عرض هذه الشعرة.

ثم قال لي في المساء: أخبريني كم الساعة الآن؟ لا ليس بهذه الطريقة. أخبريني ما الوقت في قوس الثواني بالثانية أو لا تخبريني.

وعلى الرغم من ذلك فهو يعتقد في كثير من الخرافات.

أتذكَّر قوله. إذا سقط العنكبوت على كتفك فهذا بشير بالحظ الجيد. ومرور البزاق على يدك نذير حظ سيئ. تفحَّصي المقعد الدراسي قبل الجلوس واجلسي بحذر.

الحلم بالأسنان المتساقطة يعني المرض.

الحلم بالملابس البيضِ يعني الموت.

الحلم بالأسماك يعني الحظ الجيد، ما لم تكُن نافقة.

حاولي ألا تحلمي.

اشحذي جميع أقلامك بالسكين، فهذه أفضل طريقة للمحافظة على القلم الرصاص.

أتذكر أنه أراني هذه التقنية وهو يقول: تريدين أن تعرفي كيف تفعلينها خلال حياتك؟ هذه هي الطريقة؛ يجب أن تُبقي إبهامك على النصل وادفعي للأسفل. عليك الضغط إلى أسفل بقوة، وعلى الأرجح سيصاب إبهامك قبل أن يصبح القلم حادّاً.

• • •

تُعرض حلقة جديدة من حلقات برنامج الطبخ، والذي تتنافس فيها طاهية أمريكية من أصول صينية، لديها شعر أزرق يشبه الكهرباء، وتقوم ببعض الحيل بالسكاكين، ولهذا تركت كل شيء لأشاهدها تطهو.

جميع الأكلات فرنسية، جميع الأكلات تبدو لذيذة ومقطَّعة بدقة، تتحدث بين الجولات عن نشأتها، وكيف أن والدتها كانت هادئة جدّاً ووالدها كان صارماً جدّاً، وكيف أنهما كانا يتوقَّعان لها أشياء كثيرة إلا أن تصبح طاهية، ولكن ها هي!

جاهزة للمنافسة.

ثم بدأت جولة من التصفيق من قبل المحكّمين وهم يقولون: ممتاز، لقد وجدت طريقتك الخاصة وتفردتِ بها وتمردتِ على القديم.

شعرت بالإحباط من الطريقة التي حكت بها قِصَّتها، ربما بسبب الابتسامة العريضة التي تكتسي وجهها، أو الطريقة الراقية التي ترفضهم بها. أو لأن والدتي أيضاً هادئة مثل جميع الأمهات الآسيويات، كما أن والدي أيضاً صارمٌ مثل كثير من الآباء الآسيويين، ونحن غير سعداء مثل كثير من العائلات الآسيوية.

لقد فازت على الرغم من كل ذلك، وأعلنت عن نفسها بشكل واضح. أنا طاهية ولست ضعيفة. أتذكَّر أن أول من قال لي نحن أنفسنا أسوأ دعاة لمثل هذه الأفكار المبتذلة، كانت زميلتي في السكن، وأن كلاً منا تدفع الأخرى تحت عجلات الحافلة.

ولكني غاضبة من هؤلاء المحكّمين، لماذا نشجّع باستمرار فكرة التمرد دون تفهُّم وجهة نظر الأشخاص الذين لا يشجّعون هذه الفكرة؟

• • •

أتوقَّف مع كل سيارة تعبر من هذا الطريق لأسمع صوت الزمجرة الذي تحدثه.

هذه هي ظاهرة دوبلر.. ما قاله تولستوي عن العائلات غير السعيدة.

• • •

أخبريني عن الطفلة إلى أي درجة قد نمت؟ وكيف هو شكل أظافرها؟ وما طول رموشها؟ وأرسلي إليَّ صورة للشامة التي على ظهرها. هل أصبحت شامتين الآن؟ أرسلي إليَّ صورة للشامة الثانية أيضاً.

أخبرتني صديقتي المقرَّبة أن الطفلة تتحسَّن بشكل جيد، حيث أصبح بإمكانها النظر إلى الأشياء التي تشير إليها بالكلام وليس فقط بالأصبع، كما أصبحت قادرة على الشعور بالوقت، وتسأل نفس السؤال الذي تسأله صديقتي، وهو أين الأب والزوج؟

ـ لكن أليس مشغولاً على الدوام؟

ـ نعم، هو كذلك، أو هناك شيء آخر تشتبه فيه.

ينصُّ مبدأ الريبة لهايزنبرج على أن محاولة تحديد موقع الجسيم بدقة لن ينتج عنه إلا تسارع حركة الجسيم، وينطبق الأمر نفسه على الزوج، فسؤاله عن المكان الذي وجد فيه طول الليل سيدفعه فقط إلى

المراوغة والتذبذب وتفادي الإجابة عن السؤال أكثر، وسوف يختفي مرة أخرى، ولهذا توقَّفت صديقتي المقربة عن طرح هذا السؤال.

خلال كورس الكتابة الذي حضرته في الكلية كان المدرس ضد فكرة الكتابة عن موضوع نعرفه.

ـ اكتب عن شيء لا تعرفه، أو شيء تريد أن تعرفه.

فكتبت عن فتاة قابلت شابّاً وعاشا سعيدين إلى الأبد.

نظر إلى الموضوع وقال: لا يمكن أن يكون الأمر بهذه السهولة، اكتبي على الهوامش، وعلى الغلاف المواقف التي تعبّر عن الألم والكفاح، وأي عقبة أخرى قد تفكرين فيها.

فكتبت عن فتاة قطَّعت شابّاً بالفأس وأخفته في الجدار، وعن فتاة قطَّعت شابّاً وقلته في الزيت المغلي.

فقال: على الأقل هذا مشوّق، في قادم المرات اجعلي الفتاة والشاب يتكلمان قبل أن تقطّعه بالفأس، فالشاب له الحق في معرفة السبب في ذلك.

عانت صديقتي لبضعة أيام من الأفكار المبتذلة الخاصة بها، ففي بادئ الأمر كانت تخمّن أنها المربية، ولكن هناك قصة مختلفة قليلاً، فالزوج لديه سكرتيرة جديدة بقوام ممشوق.

قالت لي: يجب أن أقتلهما، فهذا هو حلها الجديد لكل شيء، وهو يشبه كثيراً نهج الجراح، فإذا كان الورم خبيثاً نزيله، وإن كان الورم حميداً نتركه.

وخلال دفاعه قال إن السكرتيرة ذات القوام الممشوق ليست السبب وإنما العرض.

سألتها: ماذا كان ردك عندما قال ذلك؟

ـ لم أقل شيئاً أنا فقط رميت المقلاة.

ـ هذا جيد، دائماً ما أبدأ بالمقلاة.

خلال متابعتي للأخبار لفت نظري هذا الخبر: من الصين، فتاة مستاءة من انفصالها أخيراً تجلس في مطعم دجاج كنتاكي لمدة عشرة أيام قبل تدخُّل الشرطة التي أخرجتها من المطعم.

حلمت بنفس الحلم لأربع ليالٍ متتالية، حيث يوضع الزوج على سير ناقل ويرسل إلى الجزء الداخلي من الأرض ويعود دلواً من الدجاج المقلي.

• • •

إنه واحد من الأسابيع الشتوية، حيث اكتست السماء باللون الرمادي الذي يشبه لون الفيل لسبعة أيام متتالية، ومع حلول اليوم الثامن يعم الضباب أرجاء البلاد وتختفي الشمس، حتى إنني تساءلت هل ذهبت الشمس إلى القارة القطبية الجنوبية.

ترى القارة الشمس لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم خلال أسبوعين من شهر ديسمبر.

تبتعد صديقتي المقربة عني بعض الشيء هذه الأيام، وتبطئ في الرد على رسائلي، فالعقل مشغول بمعالجة ما يشعر به الجسم.

أسألها عبر الرسائل النصية، هل تبكين؟ فتقول لا، ولكن غير مسموح لي أن أسألها هذا السؤال لمرتين في اليوم الواحد وإلا ترسل إليَّ رمزاً تعبيريّاً غاضباً.

نادراً ما تتصل بي في بعض أيام العطلات وتقول: دعينا نقدم على فعل ممتع، لا مزيد من التحدُّث عن زوجي. دعينا نتكلم في موضوع مختلف: ما الذي يحدث بينك وبين طالبك؟ بما أنها هي والطفلة في مركز للتسوُّق مفعم بالضجيج حاولت تغيير الموضوع وسألتها هل قلت شيئاً؟ هل ما زلت معي على الخط؟ آسفة ولكني لا يسعني سماعك.

أنا لست معجبة به بالطريقة التي تجعلني أبدأ علاقة.

لماذا يجب أن أعجب به؟ هل جزء مني يرغب في بدء علاقة؟

في صباح أحد الأيام، وبينما كنت أرتدي سترتي، أدركت أنني نسيت كيف أقول كلمة سترة باللغة الصينية. أصابني الذعر طوال فترة الصباح حتى عثرت على قاموس.

قالت والدتي إن ملامح وجهك صينية تماماً، لذا من الضروري أن تتحدَّثي بلغتك الأم، فأنتِ أيضاً ابنتي.

وما لا تتحدثين به كثيراً، ستنسينه حتماً في النهاية.

لذلك بدأت التحدُّث إلى الكلب باللغة الصينية.

لكن الكلب يعاني أزمة هويَّة كذلك، فهناك أوقات يعتقد بأنه قطة، فهو يلعق فراءه، ويسعل مثل القطة، ويحني ظهره مثلها كذلك.

فأمرته بالتوقُّف عن ذلك، وكرَّرت ما كان يعتقده إريك بقوة: جميع القطط حمقى.

لا تكن أحمق!

يعشق الكلب أيضاً الجوارب، ولم يكن يهتم بالأحذية مطلقاً. هذا يجعلني شخصاً محظوظاً، أخبرت الكلب بذلك في حديقة الكلاب، فهو يفسد كل جورب يجده ويضعه في فمه ويتجول من غرفة إلى غرفة، كما يفعل الآن.

ماذا لديك هناك؟ أسئلة، ويجب أن نخرجه من فمه.

إنه ليس أحد جواربي. إنه أحد جوارب إريك.

ـ من أين حصلت على هذا؟

إنه يتدحرج.

ـ توقَّف عن التهرب من السؤال.

إنه يستمر في التدحرج

فأنهيت الأمر بوضع الجورب على المنضدة الجانبية للسرير، حيث أستطيع أن أرى ذلك، وكلما رأيته، كنت أنزعج وأغضب مرة أخرى.

تسمي الطبيبة النفسية هذا عقاب الذات.

لديَّ صعوبة في التخلُّص من الملابس بصفة عامة، حتى عندما تبلى وتظهر فيها ثقوب. لا أستطيع التخلُّص من تلك البلوزة. لقد ارتديتها وأنا ذاهبة إلى حفل ما، ولا أستطيع رمي هذه السراويل. ارتديتها لطبيب الأسنان. هذا القميص المقطوع من أسفل الجانب، لا، بالتأكيد لا، لقد ارتديته في نزهة طويلة سيراً على الأقدام مع إريك ثم اشتبك بشجيرة.

قد يكون السبب وراء هذا السلوك، ما كانت ترتديه الفتيات عندما بدأت بالذهاب إلى المدرسة؟ ملابس من ليميتيد تو، أبيركرومبي، جاب (محلات ملابس شهيرة) هذه الملابس باهظة الثمن وترفض أمي شراءها، وهنا أدرك معنى الحفاظ على كل بِنس. فليست الشقة الصغيرة التي نعيش فيها، خزانة، وليس الطعام الذي نأكله؛ ليس طعام أبل بيز مطلقاً.

أثناء طفولتي كان نادراً أن أحصل على ملابس جديدة، وعندما كان يحدث كنت أؤجل ارتداءها، وعندما يأتي اليوم الموعود الذي أقرّر ارتداءها فيه، تكون الملابس غير مناسبة.

في منتصف أسبوع غابت عنه الشمس، أتت على نحو غير متوقَّع أعز صديقاتي، وكانت ترتجف عندما وصلت.

وظلت تقول: لمدة يوم أو يومين، حتى يعود كل شيء هناك إلى طبيعته.

لقد كانوا في غرفة النوم، لذا يجب حرق المراتب.

كان الطفل في يديها، أكبر بكثير مما كنت أظن. لا تزال عيناه بلون الرخام الأسود، أما بشرته فلا تزال تتسم بحمرة خفيفة.

انتقدنا الزوج أولاً قائلين بأنه لا يستطيع ربط ربطة العنق. لم يقُم بتغيير حفاضة واحدة، وتنبعث منه رائحة السجائر الكريهة، كل يوم، حتى آخر العمر. لا يستطيع طهي أي شيء. نقول اللعنة بهدوء، بينما نضع أيدينا على أذن الطفل لكيلا يسمعنا.

هذا غير صحيح، قالت ذلك بعد أن هدأت. لقد قام بتغيير الكثير من الحفاضات، وحاول طهي بعض الأشياء. المعكرونة

والجبن، وقطع دجاج دينو.

ماذا أفعل؟ هي تسأل.

ـ أأتركه.

ـ وماذا بعد؟

ـ أظن أني أعرف ماذا سيحدث.

أجد أعز صديقاتي نائمةً على الأرض وملتفة. تقول إن السرير مريح للغاية لما تحاول تحقيقه.

ـ ما الذي تحاولين تحقيقه؟

ـ أن أشعر بقسوة كل شيء.

ـ هل يجدي ذلك نفعاً؟

ـ لا أعرف كل شيء يؤلم.

إذا أرادت البكاء، لا تبكي أمامي، بل تفعل ذلك أثناء الاستحمام بينما يصعب معرفة ذلك.

نحن نشاهد الأفلام معاً في وقت متأخر من الليل. لا نشاهد إلا الأفلام التي فيها مطاردات طويلة بالسيارات وانفجارات وملاكمة بالأيدي. أفلام مثل ماد ماكس، فنحن نحب هذا الفيلم، وكلما كان الفيلم يحتوي على مدافع رشاشة أكثر كان ذلك أفضل، حيث نقول: لا تستهوينا الأشياء الخاصة بالجبناء، الطفلة لا تزال كما هي، وأطلقنا عليها لقب «مدمرة الأشياء الصغيرة»، فهي تأخذ كل شيء من محافظنا وتلقيه على الأرض.

تسأل الصديقة المفضَّلة المدمّرة قائلة: هلا ذهبتِ بعيداً طفلتي الجميلة لمدة ثلاثين ثانية ثم تعودين إليَّ؟

فأومأت المدمّرة بالموافقة بينما كانت تلقي محافظنا الفارغة أرضاً.

وفي اليوم التالي، عادتا إلى مدينة نيويورك، وأخبرت زوجها بالمغادرة من دون أن يأخذ شيئاً، من دون قذف ملابس أو اعتصار الأيدي من الندم أو قذف المقلاة لمرة ثانية، طلبت منه فقط أن يختفي.

أمثال عن السماء:

لا تنظر إلى السماء من قاع بئر.

إذا كنت ترغب في أخذ خطوة إلى الوراء، فهناك سماء لا حدود لها.

أتساءل عما إذا كان ينبغي لي أن أتصل به مرة أخرى، لكن الأمر لن يتجاوز ذلك مطلقاً. أحاول ألا أذكر اسمه أو أفكّر فيه، لكن اسمه شائع. أذهب إلى سي في إس وأرى ماركة معطر الهواء أير ويك فأتركها ولا أشتري أي شيء.

أيضاً، هناك ذلك المغني المشهور جيمي هندريكس؛ الذي قال: Excuse me while I kiss the sky، التي تختلط عليَّ مع «Excuse me while I kiss this guy».

في الهندسة التفاضلية، يقال إن المنحنيَين يتماسَّان عندما يشتركان في أعلى عدد ممكن من نقاط التقاطع.

أذكر المرة الأولى التي تبادلنا فيها القبلات. كان ينتظر سيارة أجرة، وأنا أنتظر أن أتلقَّى أول قبلة، وكانت أسناننا تصرُّ لأننا تبادلنا الابتسامات كثيراً مسبقاً، ثم يخجل ويخبرني بشأن جيمي هندريكس.

والصينيون القدماء كانوا أيضاً متيمين بالسماء. حاولوا فهرسة كل نجم بمفرده، لكنَّهم أظهروا القليل من الاهتمام تجاه الكواكب.

على حافة مجرَّتنا، يقال إن هناك كوكباً متكوِّناً من الماس، وأثارت هذه النظرية اختلاف العلماء سريعاً، حيث قالوا إنه ليس الماس، وإنما الجرافيت هو الموجود داخل القلم الرصاص، ولا يوجد اختلاف ذري بين الماس والجرافيت. كلاهما متكون من ذرات الكربون، لكن الذرات مرتبة بشكل مختلف فقط.

هو لا يلقي بالاً لأغنية «Lucy in the Sky with Diamonds». هو يعرف لماذا يحبها رفاقه السابقون. لحن بسيط مبني على حركة الأوتار المتتابعة بشكل معقَّد، وتغيُّر الشارات الموسيقية من بداية بيت الشعر الثالث وحتى دخول الجوقة في البيت الرابع، وهذه هي حركة بلير التي أضافها وكان هذا في 1967، لكنه في العموم يرى أن الأغنية سخيفة، ثم الجدال الطويل حول العنوان. يُعقّب قائلاً: بالطبع، كانوا منتشين.

ـ هل أحببتِه؟

الطبيبة النفسية تسأل.

ـ أنا غالباً ما أسخر من مثل هذا السؤال الصريح.

ـ لكن هل أخبرتِه؟ هل قلت ذلك بصوتٍ عالٍ؟

ـ إن المنظور الهوائي هو ما يحدث عندما تبدو الأشياء الموجودة في الأفق باردة وأكثر زرقة. إنها طريقة لخلق وهم العمق في أي لوحة.

كيف وصلنا إلى موضوع الرسم؟ أنا أسأل طالب الرياضيات، الذي لا يعرف ذلك، فأحضر لي طبقاً من الزيتون، ووعاءً من المكسرات.

وعندما لم ألتهم كل هذه الأشياء، تعلَّمنا القليل عن الرياضيات. لتتذكَّر علم المثلثات الخاص بك، قل: سوه كاه تاه (ثلاثة مقاطع إنجليزية تذكّرك باسم الزوايا المستخدمة في حساب المثلثات). لتتذكَّر الألوان الخاصة بك، قل: روي جي بيف (ثلاثة مقاطع إنجليزية تذكّر الشخص بألوان الطيف السبعة).

في اليوم التالي، قرَّرت أن أدهن غرفة نومي بلون أزرق. لقد كان لونها أبيض، لكني بدأت أشعر للتوّ بانعدام لونها وزخرفتها. ذهبت إلى المتجر حيث اشترينا المروحة وبحثنا في الجوار، لكن ألوان الطلاء لا حصر لها ومحيّرة من حيث الاختيار.

ما الأزرق الياقوتي؟

ما الضباب الأدرياتيكي؟

ورأيت لوناً يسمَّى شبح البحر وحاولت المزاح مع البائع.

هل ترى ذلك يا سبايت؟ أحضره، You know see, with two es. هل تعلم يا سبايت هذا الشعور الغاضب؟ يقول بأنه سوف يحضره.

فقال بأنه قد حصل عليه.

لو كان إريك هنا، أعتقد أنه كان سيضحك.

في النهاية أنا أحب صوت التربة دائمةِ التجمُّد. سأحيط نفسي

بأربعة جدران منها، وعندما أتت صديقتي المقربة لمساعدتي في الدهان كانت أقل اقتناعاً. هل أنتِ متأكدة من اللون؟ أليس هذا لوناً سيئاً بالفعل ليدهن هنا؟

وتحاول المدمّرة كذلك أن تساعدنا، فتضع إصبعها في كوب الزبادي وتلطّخ بالقليل منه الحائط، ثم تنظر إلينا بشكل مخادع، ثم تلطّخ نفسها بقليل أكثر، وفي الوقت الذي قمنا فيه بطلاء الغرفة، كان يتعيَّن علينا وضع الطفلة المغطاة بالزبادي في الحوض لتحميمها، لكنها تكره الماء أيضاً، فعندما نضعها في الحوض، يجب علينا أن نحمّمها بسرعة قبل أن تخرج هذه البنت المزعجة عن السيطرة.

حيوانات الشنشيلة تنظّف نفسها في مضجع ضحل من الرمال. إنهم لا يذهبون بالقرب من الماء. ربما تكون الطفلة شنشيلة في الخفاء. نحن نأخذها إلى ساحة لعب داخلية فيها صندوق رمال ولا يظهر الأمر أنها كذلك.

من فيلم وثائقي تلفزيوني عن القارة القطبية الجنوبية، تعلمت أنه لا يمكنك العمل هناك ما لم تزل ضروس العقل والزائدة الدودية. يوجد عدد قليل جدّاً من أطباء الأسنان الذين يعملون بدوام كامل، وكذلك عدد قليل جدّاً من الأطباء.

قبل 53 مليون سنة، نمت أشجار النخيل على طول الشواطئ، والآن يوجد هناك جليد بعمق ميل، وبركان يلفِظ بلورات، لا وجود للدببة القطبية، فقط البطاريق وخمسمائة نوع مختلف من الفطريات. لا أعتقد أنني أعلّمه الرياضيات بعد الآن. كل ما نقوم

به في بعض الأحيان هو البحث عن مقاطع فيديو لبطريق يقوم بفعل أشياء تتسم بالحماقة.

وفي نهاية كل جلسة، يعانقني مودّعاً إياي. يضع ذقنه على قمة رأسي خلال عناق وداعنا.

إنه شعور جيد مع وجود بعض الضغط على أعلى رأسي.

سألني: هل تعرفين أن الأكسجين يتلوَّن بلون زرقة السماء عندما يتجمَّد؟

ـ أنا أعرف ذلك، لكنني أقول إنني لا أعرف.

اختفى الزوج، وباختفاء الزوج كان يتعين عليها البحث عن المدخرات المالية والإنفاق منها حتى إشعار آخر. لا تحاول الاتصال بي. لا تتصل بصديقتي في بوسطن وترسل إليها رسالة، وهو يستمع، ويتركها بمفردها، وظلت غير غاضبة لبعض الوقت.

لكن بعد مرور شهر، في يناير، رأت السكرتير في متجر لبيع الكعك، وغضبت بشدة مرة أخرى، وبحثت في حقيبتها عن شيء حاد.

وجدت السماعة الخاصة بها، فهل من الحكمة أن أقتل شخصاً بأداة طبية؟ لقد قرَّرت ألا أفعل ذلك، ثم رحلت وهي غاضبة، وذهبت مباشرةً إلى مقهى آخر، ونادتني.

ـ كيف عرفت أنها هي؟ سألتها.

ـ لأنها نظرت إلى السكرتير نظرة تفحُّصية. لقد تصفَّحت كل صورة متوفّرة لها عبر الإنترنت. ليس فقط قواماً ممشوقاً، وإنما أيضاً تفترش وجهها ابتسامة المنتصر، فقرَّرت أنه من الأفضل أن أنصت

ولا أتكلم. لقد بدأت الصديقة المقربة بالحديث بهذه الطريقة اليائسة للمنفصلين.

ـ لقد رحل الزوج.

لقد رحل، هي تقول.

ماذا قال ماد ماكس: السلاسل الموجودة في تلك الأصفاد مصنوعة من الفولاذ العالي لمقاومة الشد. سيستغرق الأمر عشر دقائق لقطع هذه السلاسل بهذه الأداة. الآن إذا كنت محظوظاً، يمكنك قطع سلاسل الكاحل في غضون خمس دقائق.

عندما وصلنا إلى هذا الجزء من الفيلم، اتفقنا على أنه لا بد أن ماد ماكس متزوج أيضاً.

والآن تقول كلٌّ منا للأخرى أشياء سخيفة: لا تكوني مثل ديبي داونر، لا تكوني مثل ويت نانسي.

آخر ما قلته بطريق الخطأ عندما كنت أحاول تذكر تلك العبارة عن البطانيات.

لماذا كل التعابير الحزينة حول الفتيات؟ هي تسأل سؤالاً في محله، لكن لا تعرف أيُّنا الإجابة.

كان الأشخاص الذين يعملون في مجال الطقس لا يمزحون بشأن الجليد.

البوصات تتحوَّل إلى أقدام، وتحت التلالِ البيضِ توجد السيارات والحافلات والمداخل، والهواء أيضاً يؤذي وجهي. لماذا أعيش في مكان يؤذي فيه الهواء وجهي؟

عندما نكون هنا لا تحب الطفلة أن تبقى جالسة طوال الوقت عندما تأكل طعامها، لذا فأنا أحاول القيام بفعل شيء جديد. أقوم بتثبيت الأرز على وجه الطفلة على شكل أشجار النخيل والسحب، وأقوم بتقطيع الموز إلى شرائح تشبه الشمس في جمالها.

جلست الطفلة بشكل لا يصدَّق من أجل هذا، ثم بدأت تضحك بسخرية، بينما تنظر إلى نفسها في المرآة، وتأكل المنظر الطبيعي المرسوم على وجهها.

ـ لكنّ الأشجار كلها بيضٌ، هكذا قالت الصديقة المقرَّبة.

ـ تجاهلي أمك. من الواضح أنها أشجار نخيل مغطَّاة بالجليد.

ألعب لعبة الشد مع الكلب، وفي الوقت نفسه أقوم بتمشيط شعر الطفلة، وتأتي اللحظة التي نتمكَّن فيها من تسريح الشعر على شكل ذيل حصان بطول بوصة واحدة، وتندهش الصديقة المقرَّبة، قائلة: هذا هو الشيء الأكثر إثارة على الإطلاق، أيدٍ حول الرأس.

وتبِعت هذه اللحظة الجميلة لحظة سيئة، فعندما ذهبنا للتسوُّق ودخلت الصديقة المقرَّبة متجراً للملابس النسائية الداخلية، ثم توقَّفت وحدَّقت في الملصقات الكبيرة للعارضات.

قالت لعارضة على أحد الملصقات: هذا هو كل خطئك. أنت من فعل هذا به، أنت وحِيَلُك الأنثوية، ثم انتقلت إلى الملصق التالي، وأنا أتبعها وأعتذر لكل امرأة في المقابل.

ـ آسفة، صديقتي ليست على ما يرام اليوم، فأنتِ تشبهينها بشكل طبيعي، وأنا متفهّمة أن كل هذا مجرد وظيفة!

وعندما انتهت من الملصقات، جلست على الأرض، وقالت سرّاً: أنا غيورة. أريدها كلها. أن أكون ذكية وجميلة، جميلة جسدياً. إنه عبث، أعرف ذلك، لكن هذا ما أريده.

كانت هناك أوقات أخبرت فيها والدي، بأن كل ما تريدني أن أفعله هو الدراسة، كل ما تريدني أن أفعله قد تحقَّق. لقد تعبت من تعلم كل شيء.

ما استخدام كل هذه المعرفة عندما لا يزالون ينادونك في المدرسة بالمختل؟

لم أستطِع أن أقول ذلك في أسئلته، في المرات العديدة التي وجَّهني فيها ليعلمني أحد الأشياء الثلاثة، كانت رغبته في أن أتخلَّص من الخوف.

هل كوني غير خائفة أفضل من أن أكون جميلة؟

تزوَّجت أمي مع تبدو عليه من جمال، والدي الذي لم يكن وسيماً؛ فلا بد أنها رأت شيئاً مختلفاً فيه عندما التقيا. إنه جاد، جاد جدّاً في أغلب الأحيان، وهي تجد هذا مثيراً للاهتمام أو ربما محبَّباً. إذا كان شيئاً سيفعله في الخارج، فهو يخبرها أنه سيحصل على درجة الدكتوراه، في ذلك الوقت، أمي تفكر، ثم تقول متعجّبة منه: درجة الدكتوراه، ما هذا؟ لم يحصل أحد ممَّن حولها على درجة الدكتوراه، ناهيك عن التفكير في الحصول عليها من الخارج.

الوجه، الجسد... أمي تشير إلى هذه الأشياء وكأنها أجهزة. لا يمكنك تغييرها، لكن يمكنك تغيير ما تعرفه، أما العقل فهي تشير إليه على أنه برنامج.

رغم كل هذا، هل هذا صحيح؟ فهناك أدوات وجراحة عمليات تجميل وفقدان للوزن، فالأجهزة قابلة للتغيير بسهولة في عصرنا الحالي.

الجمال ضعيف، أتذكَّر نموذجاً قيل خلال إحدى المقابلات، فهي تشير إلى الوقت الذي يرى فيه الناس كم هي رائعة؛ ثم يعتقدون على الفور أنها ليست قوية.

لكن أنا أعتقد أن أمي كانت ستواجه وقتاً أصعب هنا إذا لم تكن جميلة، فعندما وصلت، بدأت باستخدام الجمال كدرعٍ واقيةٍ لها، فهي لا تحب أن تكون فقيرة (ومن يحب ذلك؟)، لكنها تدير أمورها، وتأخذ بالمقولة التي تقول: إذا كنت جميلاً، فإنك ستبدو جيداً في أي شيء، حتى هذا العدد القليل رث الثياب من شركة Kmart، وماذا لديها الآن إن لم يكن الجمال؟ هناك فكاهتها وروح الدعابة، ولكن كيف يمكنها إظهار هذا بلغة لا تتحدَّثها؟

أمي ليست غبية. تعرف أن الجمال لا يدوم إلى الأبد. لذلك تقول لي في كثير من الأحيان، أنت لست جميلة، لا تعتقدي أنك جميلة، وأنا أغضب منها لفترة طويلة.

ـ إنه لسيف ذو حدين؛ أن تكون ذكياً وجميلاً، هكذا قالت الصديقة المقرَّبة، وهذا على الأرجح قريب جدّاً مما تريده كل امرأة، فقد كان لديَّ آمالٌ كبيرة أيضاً في أن أصبح عبقرية وفاتنة الجمال.

أن أكون ماري كوري (عالمة الفيزياء والكيمياء البولندية)، وأن أشبه أيضاً غريس كيلي (الممثلة).

• • •

العالمة بالفطرة ماري سالومي سكوودوفسكا، هي أول من يفوز بجائزة نوبل مرتين، وهي أول من يفوز بها في مجالين علميين مختلفين، وفي عام 1902، استطاعت عزل 1/ 10 جرام من مادة كيميائية جديدة واكتشفت النشاط الإشعاعي، وأطلق بيير، زوجها، على المادة الكيميائية الجديدة اسم راديوم، من الكلمة اللاتينية راديوس، بمعنى شعاع.

ذات مرة، ناقشت أنا وإريك من كان الكيميائي الأفضل على مر العصور، وقال إن هذه الأشياء يصعب قياسها، فسألت: ما المقياس الذي تقوم باستخدامه؟ وماذا فقط عن العدد الهائل من المعادن؟ ماذا فقط عن العدد الهائل من الاكتشافات؟

ـ ولكن لماذا يجب أن يكون هناك من هو أفضل؟ هو يسأل. لماذا يجب أن يكون هناك من هو أسوأ؟

فعلى الرغم من أن الكيمياء قوية، فلا يمكن التنبُّؤ بها في بعض الأحيان، في عام 1902، تم توهُّم أن توهُّج الراديوم هو الطاقة التلقائية للراديوم واحتفلت ماري، ولكن بعد ذلك في عام 1928، كانت الفتيات اللائي لقين حتفهنَّ هنَّ من استخدمن شفاههنَّ لجعل فرشاة طلاء الراديوم رفيعة الرأس، وذلك بسبب ظاهرة توهُّج الراديوم ووصوله إلى عظام الفتيات.

سألت أصحاب كلاب آخرين بعد أن أخبرتهم بأنه يفضل الجوارب، قائلة: هل لديكم كلب ذكي للغاية؟ أعتقد ذلك. ثم أخبروني عن اختبار لمعرفة ما إذا كان لديك كلب ذكي حقّاً. ضعي بطانية على الكلب وشاهدي كم من الوقت سيستغرق للخروج

منها، ففعلت هذا.. قمت بتشغيل عداد الوقت، لكن الكلب تسمَّر مكانه ولم يتحرَّك بسبب الظلام. يا إلهي، إنه الظلام، قد اختفى العالم أمام عينيَّ، لدرجة أنه مرت أربع دقائق والكلب لا زال لم يتحرك ولم يخرج من تحت البطانية.

واختبار آخر يتمثَّل في وضع طعام شهي تحت كوب من البلاستيك، وانظري كم سيستغرق من الوقت للحصول عليه. وبعد مرور أسبوع، ظل الكوب كما هو. سأعطيه الطعام على أي حال. إنه بخير. ليس عليك أن تكون كلباً ذكياً للغاية. أنا أفضِّل بالفعل أنك لست كذلك. إذا كنت كلباً ذكيّاً للغاية، فلن أجدك مضحكاً.

وفي نهاية الحصة الأخيرة، سأل تلميذ الرياضيات عما إذا كنت سأذهب لمكان ما بعد الحصة (ليس تماماً)، إذا كان كلٌّ منا سيودّع الآخر الآن (لا أعرف)، فلنذهب إلى مكان آخر (بالتأكيد، لنذهب). تجوَّلنا في حديقة، ولعبنا لعبة. كم عدد السيارات التي وارتها كومة الثلج هذه؟ هل هما اثنتان أم مليار؟ لقد أخبرته هذا المثل، ثم أخبرته هذه الدعابة: إذا بدأت بالحفر في الطريق فستزدحم السيارات عليك. هل أعجبتك؟ هل لم تعجبك؟ جلسنا بالمقهى وناقشنا سبب كرهنا للعبة البولينج، ثم ذهبنا لنلعبها في اليوم التالي، كنا نعتقد أن الشخص الآخر مزعج، لكن بعد ذلك وفي صالة البولينج أدركنا أنه ليس مزعجاً على الإطلاق، ولكنه في الحقيقة كان يحتال علينا. كان يتمتَّع بروح المنافسة، ولطالما خسرت أمامه. وفي كل الأحوال كان يضع يده على كتفي. لاحظت أن ذراعه أطول وأغلظ من ذراع إريك، حيث إنه كان يحميني من الريح، وعلى الرغم من ذلك لا أشعر بالأمان معه أكثر من إريك، فكلاهما نفس الشيء.

تصدر من الكمبيوتر الخاص بي إشارة صوتية عندما تصلني رسالة بريد إلكتروني جديدة، لكن في الواقع الكمبيوتر صامت، لكن صوت هذه الإشارة يتردَّد في أذني. إنه بريد إلكتروني من إريك، لكني لن أفتح هذه الرسالة. على الأقل حتى الغد، ثم أتى الغد وفي الغد قرَّرت ألا أفتحها حتى اليوم التالي. ناديت صديقتي المقرَّبة في العمل مرةً أخرى لأسألها عما يجب عليَّ فعله، فقالت: افتحي الرسالة الآن، فماذا لو كان يريد إخبارك أمراً مهماً؟ ماذا لو كان يريد إخبارك أن أحد أفراد أسرته قد مات؟ افتحيها الآن. لا أستطيع، لكن عن قصد أو من دون قصد ضغطت على زر الحذف، فأصابني الذعر. أين ذهبت الرسالة؟ وأثناء بحثي عن الرسالة في هاتفي، شعرت بأن عينيَّ سقطت من رأسي وتدحرجت على الأرض. نصحتني صديقتي بأن أرسل إليه رسالة وإلا سيظن أني لا أهتم لأمره، لكنه بالفعل يظنُّ ذلك، وربَّما يتوجب عليَّ أن أتركه يهيم في ضلاله، وأستمر في حياتي وأجد صديقاً آخر. قد يكون هذا هو الأفضل، لأنه يستحق من هو مثله إن لم يكن أفضل منه. هل قلت أفضل منه؟ بل كنت أقصد أفضل إنسان في العالم. وتقول صديقتي المقرَّبة: على الأقل أرسلي إليه رسالة بريد إلكتروني تخبرينه فيها أنك لا زلت حية.

وأتراهن مع نفسي أثناء ركوبي الدراجة. إذا رأيت في طريقي ثلاث إشارات مرور خضر سأرسل إليه الرسالة اليوم، وإذا لم أرَ أضواء خضراً سأؤجّل الإرسال، وكأنه قانون عالمي للمرور: بمجرد أن ترى إشارة مرور حمراء، فستراها جميعاً هكذا. إن لم أكن سأرسل هذه الرسالة فلربَّما أمارس التمارين. في منتصف الليل، سأقوم بتمرين

قفزة جاك. يشرح مدرب اللياقة البدنية على الإنترنت حركة جديدة. تسمى هذه الحركة بقفزة الضفدع متسلق الجبال. ماذا تسمَّى؟ أحدّث نفسي بينما أحاول تنفيذها. بعد ذلك، أعددت لنفسي كوباً من العصير الصحي وتناولته وصوت الاستريو مرتفع. الضباب الأرجواني، كل ذلك في بالي؛ فالأشياء التي حدثت أخيراً لا تبدو متشابهة. كلمات أغنية «وقال تبدين جميلة في ثوب تشيباو. أنت أجمل من القمر، لكن التحدي هو أن تكون ذكياً وجميلاً في نفس الوقت، لذلك تجاهلت مجاملاته، حيث إن معنى تصديقي لها هو أني تقبَّلتها. الضباب الأرجواني، كل ذلك حولي. لا أعرف هل أنا أصعد للأعلى أم أنزل للأسفل. سرعان ما اشتكى السكان في الطابق الأسفل. سألوا صاحب المبنى الذي سألني بدوره: ما هذه الضوضاء المزعجة؟»، أتذكر شيئاً آخر سألني عنه، وهو مقدمة الأغنية، التي تختلف عن نهايتها بشكل ملحوظ، وعن الفواصل الموسيقية. أحياناً ما يسمَّى بفترة الشيطان. إنه الجيتار والباس، يعزفان نفس المقطوعة لكن من نوتة موسيقية مختلفة، يعزف الجيتار المقطوعة (B)؛ فيعزف الباس (E).

أصبحت الطفلة تدرك ما حولها. عندما نخرج لنتمشَّى، تصرخ على الأطفال الآخرين بالشارع، تتلفَّظ بشتائم أطفال حسب اعتقادنا. شيء ما من قبيل عليك اللعنة، ويجيب الطفل الآخر، لا تخرجني عن شعوري. ومما زاد الوضع سوءاً، أنها لطيفة جداً، ولذلك عانينا في تصحيح تصرفاتها. وفي حياة أخرى، قد يكون الطفل القرد العنكبوت أو حيوان الأبوسوم. تحب أن تتطاير إلى أعلى وأسفل. تحب أن تكون قادرة على أن تنحني حتى تلمس أقدامها، وأن تقفز حتى تلمس سقف المنزل.

ومن التطوُّرات الأخيرة، أنه في نهاية كل يوم عمل، يتصل الزوج ويترك رسالة صوتية طويلة. تقرأ لي صديقتي المقرَّبة هذه الرسائل. إنها حقّاً مملَّة. أنا آسف. أنا أفتقدك. أنا آسف. أنا أفتقدك. هل فكرتِ يوماً في العودة مرة أخرى ولو وقتاً قصيراً، فقط كصديقة؟ يقول «ابنتنا»، لا أعرف كم مرة. ما رأيك؟ هي تسأل. ألم يتجاوز حدوده؟ لماذا يتجاوز حدوده؟ ماذا نعتقد؟

هل نعتقد أن هذا أمر لا بأس به؟ نعتقد أن الحياة يكتنفها الغموض. يُسمَّى الضوء الذي يتفاعل مع نفسه بالتداخل. يُشرق الكون عندما يسطع الضوء عليه، مثلما تدفع الموجة الأخرى لتصل إلى الشاطئ، وهذه هي العلاقة الإيجابية بين الشاب والفتاة، ويُخيّم الظلام عندما يغيب الضوء، مثلما تبتعد الموجة عن الموجة قبل أن تصل إلى الشاطئ، وهذه هي العلاقة السلبية بين الشاب والفتاة. أقول للتلاميذ: راقبوا بأعينكم بقعة زيت على سطح الماء أو فقاعة. انظروا كيف يظهر قوس قزح كاملاً بداخلها، انظروا كيف تتغيَّر الألوان مثل الأحمر والبنفسج والذهبي وتنتشر. لن تروا مثل هذه الأشكال من دون الضوء. وإذا لم يصدق التلاميذ ما أقوله، فسأتوجه بهم إلى أقرب محطة وقود لأريهم بقعة الزيت. وأثناء إحدى رحلاتنا العلمية اصطحبت تلميذاً من فصل الرياضيات ليرى هو أيضاً بقعة الزيت. الأمر ليس اختباراً بمعنى الكلمة، ولكنه تجربة تشبه الاختبار. أتساءل عما إذا كان التلاميذ سيقدرون ذلك. صمت التلميذ للحظة ثم أشار إلى بقعة من البرتقال وقال إنها يوسفي.

كانت جدتي لأمي واحدة من أفضل المهندسين المعماريين في شانغهاي (بلدة في الصين). وفي أواخر السبعينيات شاركت في

إعادة ترميم ذا بوند (موقع تاريخي في الصين). وخلال تلك الفترة، كانت تخبر أمي، التي كانت في سن المراهقة آنذاك، أنها إذا توجّب عليها في الماضي أن تستقر وتنجب أطفالاً، كانت ستتمنَّى أن يكون جميع أطفالها من الإناث، فهي تقول: (chu xi and xiao shun)، وهي مقولة صينية معناها أن البنات يُطِعن آباءهنَّ دائماً، فكلمة (Chu xi) تعني القدرة على النجاح. وكلمة (Xiao shun) تعني بر الوالدين. كانت جدَّتي تؤمن بهذا الكلام؛ لأنها كانت واحدة من هؤلاء البنات، فلقد أنجزت الكثير في حياتها من زواج وتربية لطفلين والعناية بوالديها في آخر حياتهما، لكن من أجل اللحاق بأبي إلى أمريكا، تحتَّم عليها التخلّي عنهما، ولهذا أعتقد أنها تظن نفسها قد فشلت في الامتحان، ثم جاءت الصدمة. ماذا؟ بنت؟ لا بد أنك مخطئ، فأنا ليس لديَّ بنات. ولو كان لديَّ، كيف أربيها إذا لم أكن أنا لها قدوة أولاً؟ وبمجرد أن وضعت أمي السيارة في الاتجاه المعاكس وتركتها، ظنت أنها أخيراً لديها فرصة لتبدأ من جديد، لكنها أدركت بعد ذلك أنها دون أبي لن تبتعد كثيراً. هناك أشياء كثيرة لا تحسن أمي قراءتها أو نطقها، وليس لديها ما يكفي من الأموال في جيبها. تقول الطبيبة النفسية: قد تعود أيضاً لأجلك. تتحرَّك غريزة الأمومة عند أمي، لكنها لا تظهرها أبداً. عندما أعود من المدرسة أرى حذاء أمي على عتبة الدار. لا أحتاج إلى النظر بعيداً. لقد عادت إلى المنزل وهي جالسة الآن في غرفة نومها تتذكَّر الصين.

لقد حاولت، أثناء مشاجرتنا بعد الخروج من المطعم الفرنسي، أن أوضّح لإريك سبب رفضي للزواج. لقد أخبرته أني لا أرغب في أن يهنّئني أحد بزواجي.

وأجابني قائلاً إن الزواج سنَّة من سنن الحياة، ثم ما العيب في أن يهنئكِ أحد بزواجك. لا شيء على الإطلاق. يجب أن أوضح له وجهة نظري بطريقة أخرى. هل تعرف معنى كلمة «تشو شي»؟ (كلمة صينية بمعنى القدرة على النجاح) لا أريد أن أصبح شخصاً بلا هدف في الحياة. لكن، أنَّى له أن يفهم ما أقول؟ فلقد حظي أبواه بزواج سعيد، ولقد نشأ في منزل تملؤه السعادة. وللحظة تخيَّلت نفسي أنا وإريك زوجين. نعيش في منزل كبير في ولاية أوهايو (ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية) وللمنزل حديقة يلعب فيها الكلب. لا أستطيع أن أتوقَّف عن التخيُّل. أنا لا أستحق مثل هذه السعادة، وفي وقت ما تخبرني أمي، حتى أشعر بالطمأنينة، أنه لا يوجد زواج سعيد دون شجار مستمر. الشجار هو الحوار المتبادل بين الزوج والزوجة. ذات مرة، اتهم والدي أمي بأنها ستهرب لتتزوَّج رجلاً آخر. ولقد ضحكت أمي من قول أبي، ثم قالت: ومع من سأهرب؟ من يرغب في مشاركة حياته معي؟ أخبرتني الطبيبة النفسية أنني كلما فكرت في الماضي، فلن أرى سوى الذكريات السيئة، لكن أليس هذا واضحاً؟ يوجد الكثير والكثير من الأشياء السيئة، فهذا ليس صحيحاً أبداً.

ما الطريقة العلمية؟ مدرس الفيزياء، ومدرسة ثانوية، والمدرس يشرح وكأنه على خشبة المسرح. إنها الطريقة التي تقودنا إلى الحقيقة، وفي الجامعة نقابل معلماً آخر. يرى أن العلم ليس الحل السحري؛ حيث إنه من الصعب مواجهة أنشطة مثل التفاعلات الإنسانية بمثل هذه الطريقة.

لقد أخبرتني أمي أن الكلمة التي تصف الجد للأم لدى أهالي

شانغهاي هي «ah bu». لم أكن أعلم أن كلمة «ah bu» كلمة تنتمي إلى لهجة شانغهاي حتى تلفَّظت بها أمام صديقتي في السكن وأنا أخبرها أن جدتي لأمي كانت مهندسة معمارية وكانت تعيش في شانغهاي، ولكنها أجابت قائلة: ماذا تقصدين بكلمة «ah bu؟» هل تقصدين القرد في رواية علاء الدين؟

لقد ألَّفت المدينة كتباً للأرقام القياسية، فمثلاً: يشهد شهر فبراير من كل عام طوال قرن معظم تساقط الثلوج. وعلى جميع شاشات الأخبار، هناك جمع من البؤساء يبعدون الثلج عن الطريق، بينما الأطفال سعداء لأن المدرسة ستُغلق لأسابيع، بينما انشغل بعضهم في تعبئة الثلج وإرساله إلى سكان كاليفورنيا (ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية) الذين هم بأمسّ الحاجة إلى الماء، وعندما سُئل العمدة عن تكلفة إزالة الثلج من الشوارع، أجاب قائلاً: «الحمد لله أننا في شهر مارس».

وعلى الهاتف أسمع الطفلة تبكي وتبكي. إنها آلام التسنين. ولقد أغلقت صديقتي المقربة الحمَّام على نفسها ونزلت في حوض الاستحمام، ثم قالت، ما الذي أفعله؟ لنتحدَّث عن شيء آخر، عن تلاميذك مثلاً، حسناً هذا الموضوع غير مناسب، إذاً لنتحدث عن إريك، لكن هذا الموضوع غير مناسب أيضاً، فما الذي سنتحدث عنه إذاً؟

لنتحدث عنك، فأنت بطلة يا أمي. وبعد دقيقة كانت أمي مستعدة للعودة بذاكرتها إلى الماضي. إليكِ ابنتي نصيحة قرأتها على الإنترنت: هل أكل الذئب أحد أطفالك في نهاية الأمر؟ إذا كانت إجابتك بـ «لا»؟ فأنت إذاً أم مثالية.

لكن البرد قارس في شهر مارس. وجدت قناعاً للوجه في متجر تي جي ماكس. إنه من الأقنعة التي تغطي الوجه بأكمله، بحيث لا يظهر منه سوى العينين والفم، وأستطيع أن أرتديه لسرقة بنك. وقلت بصوت عالٍ: هل هذه الأشياء موجودة، وهل ثمنها 3. 99 دولار أمريكي؟ ولقد اشتريت القناع وارتديته بالمنزل، فلم أعد أشعر أن وجهي وكأنه قطعة ثلج، وأشعر أن أنفي لا يزال بوجهي، وبعد قليل بدأت أرى أشخاصاً آخرين يرتدون أقنعة، وعلى ما يبدو أن معظمهم من راكبي الدراجات النارية، وكانوا يصعدون نفس الهضاب التي أقف فوقها. لوّحت بيدي إلى واحد منهم، وأشرت إلى الآخر بأصبعي الإبهام مرفوعاً إلى أعلى (كناية عن قولها رائع). قد أعود مرةً أخرى والقناع على وجهي لأجرب هذه الطريقة وأبدأ من جديد، وبينما كنا نمشي، اعتقد الكلب أنه يرافقني ليحرسني، كما اعتقد أنه يجب على الإنسان أن يمارس التمارين، ويجب أن يخرج من المنزل، ثم بعد ذلك وافق على اصطحابي إلى المتنزَّه. يرفض الكلب الذهاب إلى أحد إلا إذا كان ذلك الشخص سيعطيه شيئاً يأكله. وأثناء عاصفة ثلجية أعطتنا امرأة لا أعرفها مظلَّتها. وقالت لا تقلقي عليَّ فأنا أعيش بالقرب من هنا، لكن أنقذي الكلب من العاصفة، كما يجب أن تحافظي على هذا المعطف الجميل حتى لا يبلى، ثم تذهب المرأة مسرعةً في طريقها إلى منزلها، وكذلك أنا بينما أحمل المظلة فوق الكلب.

وتوقَّفت العاصفة ونحن في طريقنا إلى المنزل. وظهرت الشمس، وانطلق الكلب سريعاً يبحث عن بقعة مشمسة ليستلقي بجسده فيها، ووقع اختياره على البركة الموجودة على تقاطع الطريق فوقفت هناك أوجّه السيارات لتذهب بعيداً عنه.

مثل: لقد احترقت حظيرتي، ولكن (رب ضارة نافعة) أستطيع رؤية القمر الآن، ولكي أرتقي في حياتي، لا زلت أشعر أنه يجب أن أستوطن القمر. تنهَّد الطبيب النفسي ثم سأل: ولماذا القمر؟ أظن أنك تستعد للفشل. نعم، هذا ما أقصده، يجب أن نحاول تحقيق أحلامنا، لكن لا نهلك أنفسنا لأجلها، فهناك الكثير لنحقّقه.

تتمثَّل طفولة إريك في: ساعات طويلة مملوءة بمجموعات الكيمياء وموازين الحرارة الزئبقية وصنع أكثر الطائرات الورقية تقدُّماً في العالم. طفل يسبق أوانه وذكي للغاية، ويهتم بأدق التفاصيل، ووالداه يتساءلان عما إذا كان ذلك طبيعياً. لقد حاولا إقناعه بالخروج ولعب الكرة، ولعب لعبة إمساك الكرة، واللعب مع الأطفال الآخرين، وإريك يستجيب لهما في بعض الأحيان، لكنه عادةً ما يكون داخل غرفته يختبر أسطولاً من الطائرات الورقية، حتى تميل طائرة منها على جانبها بشكل صحيح، وتطير بطول غرفته. لقد سألته: هل علمك والداك صنع هذه الطائرات؟ ولقد نظر إليَّ بغرابة. لا، لقد صنعها بنفسه. أفهم الآن لماذا كان حب الاستكشاف يسيطر عليه.

عند تجربة أي شيء في المعمل. لقد كان إريك كيميائيّاً يتميَّز بالسرعة والاحترافية، وكذلك كنت أنا. قالت الطبيبة النفسية: أنا لا أشك بهذا، لكن ما أجمع عليه العلماء أن الاحتراف لا يأتي من فراغ؛ بل يجب على المرء أن يكون لديه بصيرة نافذة.

وعوضاً عن الجبن والبسكويت وتقرير الطقس، أخبرني اليوم تلميذ الرياضيات أخباراً عاجلة. إن فتاة أنتاركتيكا لم تعد حية

بعد الآن. ماذا؟ لقد قلت له متعجبةً: هل ماتت بسبب الجليد؟ فأجاب قائلاً: لا شيء من هذا القبيل، لكن لن يكون هناك المزيد من الصور في المحفظة. لن يكون هناك أكثر من سنوات من الحنين. سيكون هناك أصدقاء. هل يجب عليَّ الشعور بأكثر من ذلك في هذه اللحظة؟ هل يتوجَّب عليَّ الشعور فجأة بالرغبة في القفز؟ قال إنه لن يتحمَّل أن يكون تلميذي أكثر من ذلك، ولقد سألته لماذا؟

نذهب للعب البولينج حيث من الواضح أننا لن نستطيع قضاء الكثير من الوقت خارج المنزل، لكن سرعان ما سئمنا لعب البولينج، أو سئمت أنا فقط، لأنه كان أفضل لاعب بولينج، ولقد اقترحت عليه أن يأتي لنجرف بعض الجليد. تهب في منتصف شهر مارس عاصفة ثلجية بسيطة. يقول خبراء الطقس إن العاصفة ستكون بسيطة، ولذلك ستكون المدينة أقل حذراً على الرغم من أن الجميع يضعها في الحسبان، أفضّل العيش في بلدان الأعاصير عن العيش في هذا المكان، وكذلك يحتاج طريق السيارات إلى إزالة الجليد المتراكم فيه، كما يجب إزالة الجليد المتراكم على باب غرفة الغسيل. لقد أغلق عندما تجمَّد من الخارج. لم أكن أعتقد أنه سيوافق حقّاً. ولقد وصل إلى منزلي في الموعد، وكان يرتدي بنطالاً ويضع النظارة ويحمل معدَّات تجريف الجليد. معولان لتجريف الجليد. كيس من الملح الأزرق (ملح يستخدم في إذابة الجليد) مجفّف شعر لإذابة الجليد المتراكم على الباب. لقد نجونا بسبب مجفّف الشعر هذا. لقد سأل تلميذ الرياضيات قائلاً: ما الذي كنتما ستفعلانه دون مجفّف الشعر؟ أنتما لن تواصلا تجريف الجليد حتى يحل فصل الربيع، ولا أعتقد أنكما ستقفزان إلى داخل الغرفة من

النافذة، ولسبب ما بدا هذان الخياران أكثر منطقاً من إذابة الجليد المتراكم على الباب، لكن الكلب ممتن جدّاً. سريعاً ما سقط نائماً ملقياً برأسه على قدم تلميذ الرياضيات التي أصبحت خدرةً فيما بعد، بينما كنا نحن جالسين دون حركة على الأريكة. لا أستطيع تحريك يديَّ، لكنَّ كتفيَّ ما زالتا بخير.

وكأننا لم نجرف الجليد من الطريق، وفي اليوم التالي قال سكان المدينة إنه لا يزال يوجد جليد بالطريق.

ولقد تعلَّمت الطفلة بعض العبارات، فيمكنها الآن أن تشير بيديها إلى الكلب. لقد قدمنا لها ضماداً لاصقاً للجروح، ستحاول أن تضعه فوق تجويف الجرح، وإذا ذهب الكلب، فستلاحقه حتى يعود لها، وقالت صديقتي المقربة: أتركها تبتعد كثيراً. وأتركها تقتلع شعري من جذوره، وأعطيها آخر قطعة من الفطيرة. ماذا لو كبرت وكانت إرادتها أقوى من اللازم؟ أعتقد أن الإرادة التي تتسم بقليل من القوة جيدة. لقد عادت صديقتي المقربة وقامت بتحليل اقتراحه. أظن أن المشكلة تبدأ من هناك. قالت: لقد كان الأمر واضحاً جدّاً، مثل اتفاق بين اثنين.

جلسنا وتحدثنا بشأن هذا، ثم خرجنا واشترينا الخاتم: لكن، أليس هذا ما تريدينه؟ أنا أسأل. أجابت بنعم ثم قالت لا.

قالت: ربما كنت أرغب في ذلك أثناء ماراثون الأفلام التي شاهدناها. لم أرغب في ذلك، أو ربما كنت أرغب في ذلك، لكنك لم تفعل كل شيء. هذه هي وجهة نظري، ثم استشهدت بالدراسات. هناك عدد كبير من الأمهات الجدد يحصلن على ما يكفي من

الإشباع العاطفي، وذلك عن طريق حمل أطفالهن إلا أن العلاقة الحميمية مع أزواجهن تصبح أقل أهمية، لكنه خانك. ولصديقتي المقرَّبة نظرة ثاقبة، ثم قالت: تبرز سرة بطني في نهاية فترة الحمل، ولقد اعتاد أن يضغط عليها ويقول «Eject» (زر الإخراج في الحاسوب)، ولكني لن أدعه يلمسها بعد ذلك. هذا شيء مختلف، بل هو نفسه، فكلما اقترب مني، تحرَّكت بعيداً عنه.

أكثر الطرق انتشاراً لشرح قانون نيوتن الثالث التي قد سمعتها هي أنه عند دفع الشخص للحائط فإن الحائط يدفعه في المقابل.

ولكني أخبرت طلبتي أن يخرجوا فكرة الحائط من عقولهم ويركزوا على كيفية طيران الصواريخ في الفضاء، فقانون نيوتن الثالث هو تفسير لطيران الصواريخ في الفضاء، فعند إطلاق الصاروخ لعمود من اللهب يشكّل العمود من اللهب قوة دفع للخلف فينطلق الصاروخ إلى الأمام.

خسرت وكالة الأبحاث الفضائية ناسا عام 1999 مسبار مارس الذي تقدر قيمته بـ 125 مليون دولار أمريكي، حيث قدر العلماء المسافة بالقدم عوضاً عن تقديرها بالمتر، بينما ظل المسبار يقدّر المسافة بالمتر، مع العلم أن المتر يعادل ثلاث أقدام، فلك أن تتخيَّل كيف أن المسبار عوضاً عن الهبوط ببطء على سطح الكوكب اصطدم بسطح المريخ مثل الصاروخ وتحطم وهو يظن أن المسافة ثلاثة أضعاف المسافة المفترض أن يقطعها.

أخبرني إريك بهذه القصة، والآن أنا أستخدمها لشرح أهمية وحدات القياس. قال لي إنها كانت أفضل كارثة حدثت في مهمة فضائية بالنسبة إليه، وهذا لأنه في نهاية الأمر لم يمت أحد.

ولكن مؤكد أن أحدهم تعرَّض للفصل من العمل.

فقلت لطلابي: هل رأيتم كيف أن وحدات القياس في غاية الأهمية، فأنتم بالتأكيد لا تريدون أن يعتقد المريخيُّون أنكم بلهاء.

لا أصدق أنني كنت أفعل ذلك: أغضب عليه ليكون شخصاً جيداً.

أذكر أن طرداً موجَّهاً إلى منزل يبعد عنا بخمسة مربعات سكنية وصل إلينا عن طريق الخطأ فذهب سيراً على الأقدام لتوصيل الطرد إلى العنوان الصحيح، وأذكر عندما وجدنا خطأً في إيصال البقالة، حيث اكتشفنا زيادة في الباقي، وكانت الكثير من الفكة فعاد مسرعاً إلى المتجر لإعادتها.

فخاطبته، ولكن كان يمكننا الاستفادة من هذه الفكة في غسل الملابس، فرد قائلاً: لكان هذا أمراً غير صائب.

لو كنت في هذا الموقف في أي مطعم لطلبت قطعة دجاج محمرة وحشرتها في فمي. دائماً ما أقول إنه شخص أفضل مني من حيث التصرُّف بتسامح ولطف. أنت تحتقرني بسبب هذا الشيء، ماذا يسمَّى هذا الشيء؟ ما الاسم الذي أطلقته على هذا الشيء آنذاك؟ قاعدتك الأخلاقية اللعينة.

فرد قائلاً: تعلمين أن لكل سحابة حافة بيضاء؟ أنت السحابة التي حافتها مظلمة.

فتحدَّثت بصوت مرتفع: أنا لست سحابة، أنا لا أريد أن أكون سحابة.

سألني أحد طلبتي إذا كان السحاب يتكوَّن من الهيدروجين، لكون الهيدروجين أخف عنصر عرفه الإنسان.

فأجبته: هذا تعليل جيد ولكن إذا كان السحاب مكوَّناً من الهيدروجين فهو معرض للانفجار مثلما وقع في حادثة هيندنبورغ، ولهذا أصبحت المناطيد والبالونات تملأ بالهليوم، ثاني أخف عنصر عرفه الإنسان.

منذ أن تخرَّجت هذه الطالبة في الكلية وهي لم تحتَج إلى مساعدتي، ولكننا ما زلنا على اتصال.

تقول لي: أتذكَّرك كلما فكرت في السحاب أو البالونات.

ما يدهشني أن العديد من طلابي يظلون على اتصال بي. أجد في صندوق الوارد الخاص بي على فترات تحية منهم، مثل مرحباً وكيف حالك أيتها المعلمة؟ وبعضهم يكتب لي قائلاً: أنا بخير حال، أنا أفعل كذا الآن، أنا أتذكَّرك بالعديد من الأشياء: السحاب.. البالونات.. الصنبور المفتوح.. القمر الصناعي.. المرايا.. البيسبول.. الفقاعات.. غروب الشمس.. الباب المغلق.. القمر المكتمل.. المركبات الصاروخية.. الشوكولاته.. أي شيء يتوهج في الظلام.. الليزر الأخضر.. الأوراق الخضر.. الأسنان.. الضوء الأبيض.. بقعة الزيت.. الملعقة.

لكن بهذه الطريقة، لا أمانع أن أكون سحابة.

• • •

أمضى إريك عيد ميلادٍ واحداً مع عائلتي، وظلت والدتي تطهو أطباق الطعام واحداً تلو الآخر، حتى وإن لم يتمكَّن كلّ منهما من

فهم الآخر، فعلى الأقل تضمن أن يتغذَّى جيداً، في وجبة الإفطار أحضرت له الخبز المحمَّص وبعدها بدقيقة قدَّمت له طبقاً من لحم الخنزير المقدَّد ووعاء من الحبوب، وأحضرت شرائح التفاح وطبقاً من البيض المخفوق وشريحة جبن. على ما يبدو أنها قد شاهدت الإعلانات التجارية. ماذا يعني ذلك؟ هذا جزء من وجبة إفطار متوازنة، وعلى ما يبدو أنها افترضت أن الإفطار الأمريكي المتوازن يجب أن يتكوَّن من واجبة غذائية كبيرة مثل التي تظهر في الإعلان.

لقد أكل أكبر كمية يستطيع أن يأكلها، وبين الوجبات لم يعد باستطاعته فعل شيء غير الهضم إن أمكنه ذلك.

تذكَّرت الآن هذا: سمعته بعد أن وضعت الدباسة جانباً وهو يذهب إلى المطبخ ويقول لها: الشمس هنا، القمر هنا، انظري، باب! ثم سمعتها وهي تضحك بشدة.

أحد الأشياء التي تدفعها للضحك هي النكات، وبخاصة النكات السيئة. كيف تدخل الفيل في المصعد؟ تلتقطه وتضعه هناك، وكيف تخرج الفيل من المصعد؟ لا تخرجه، ارتقِ الدرج.

خلال أحد الأيام التي كان مزاجها رائقاً اشترت لي مغناطيس ثلاجة من المتجر.

أخبرتني أن المغناطيس مكتوب عليه أفضل ابنة وأشرت لها بنعم. لم أستطع إخبارها بأنها تقول أفضل كلب يجلس في مكانه.

أولاً، لأنه لوهلة فالكلمتان متشابهتان جدّاً، ثانياً لا يمكن تفرقتهما عملياً.

يذكّرني هذا بكلمتين من لغة أهل شانغهاي: ما زي وأه زي، وتعني الأولى جورباً والثانية حذاء، وهذه الكلمات لم أستطع قولها بشكل صحيح، وكانت والدتي تجد ذلك مضحكاً.

بعيداً عن كلب يجلس في مكانه، وأم الكلب، أخبرت سيدة في حديقة الكلاب أنني عالجت كلبي من رهاب المكنسة الكهربائية.

فسألتني كيف ذلك؟

عن طريق عدم الكنس وانتظار تراكم الغبار في جميع أركان الغرفة ثم اللجوء إلى استخدام المكنسة غير الكهربائية والجاروف، وأعتقد أن منزلاً نظيفاً جدّاً يعطيني شعوراً بعدم الارتياح، إذا ما ألقت نظرة على منزل والدي ستدرك الأمر، فهو يبدو غير مأهول ويكتسي باللون الرملي، أما بالنسبة إلى الكلب فقد قلت إذا كنت أنا أمّاً للكلاب فأنت تصبح الكلب الابن، وإذا كنت يابانياً كنت أطلقت عليك الكلب سان.

أمتلك نافذة رؤية واضحة للأمر عندما أقول إن السعادة ليست فقط فيما ننجزه، إنما قد نجدها في أشياء أخرى عديدة، مثل: إيجاد المفاتيح والمحفظة والقفازات (كلا القفازين) في وقت وجيز، أو العثور على سلسلة الكلب في موضع السلسلة، أو في كيس فضلات الكلب، أو في مكان الكلب، في وقت وجيز، أو لقاء مربي كلاب أخرى مع كلابه وسط الثلوج الكثيفة، ومشاهدة الكلاب تثب في الثلوج.

تتجمد وجوهنا ولكننا لا نريد إيقاف الكلاب من الوثب في الثلوج.

دائماً كنت أومن بالعلامات، ولكن الآن أصبحت تتمحور حياتي حولها، ففي المقهى عندما يسألونني عن الاسم الذي أريد أن أكتبه على الكوب أعطيهم اسمه بالمصادفة.

يسأل بائع القهوة في ريبة: هل أنت إريك؟ وأجاوب بنعم، أعني لا، من ثم أعطيه اسم طالب الرياضيات ثم أعطيه اسم جوي.

• • •

واجهت صدمة صغيرة وهي تسألني: أنت ماذا؟

ـ ستذهبين إلى طلب الاستشارة.

ـ ماذا حدث ليختفي دون أن يأخذ شيئاً؟

عندما تصبح أكبر ستساورها أسئلة، فلا أحد يختفي دون سبب.

أميليا إيرهارت.

وتقول: مرة واحدة في الأسبوع، فلا يزال في الخارج يعيش في مكان ما. لا شيء تقرر بعد.

قال طيار آخر عن أميليا إيرهارت إنها تمتلك شجاعة تتجاوز حدود العقل.

عند ذهاب صديقتي المقرَّبة إلى الاستشارة ورؤيتها للزوج، أصبحت ترى السجاد والستائر والأريكة كل شيء في الغرفة يشتعل فيها النيران، وهناك الكثير من الصراخ.

تحتدُّ على الزوج قائلة: كيف لك أن تفعل ذلك؟

أصيبت بتشنج عصبي لاإرادي.

اتصلت بي واتصلت بها، وظلت كلّ منا واقفة أمام المرآة تمشّط شعرها في وقت متأخر من الليل وهواتفنا المحمولة بين أكتافنا وخدودنا، وحالما توقّفنا عن التحدث حول كيف سارت جلستها بشكل سيئ، سألتني عن إريك وهل تحدث إليَّ ثانيةً؟

ـ لا.

ـ هل كتبت له مرة أخرى؟

ـ لا

ـ هل حاولت فعل أي شيء؟

ـ لا، ولا تنظري إليَّ بهذه الطريقة.

لا يمكنني رؤيتها ولكني أعلم أنها تنظر إليَّ بهذه النظرة. شعرت بالدوران فجأة ربما لأني قد نسيت كيف أتنفَّس، كيف تفعلين ذلك ثانيةً؟

تضيف بكلمات هادئة: هل تعلمين لقد كان مُكرّساً حياته من أجلك، هذا يحسب له.

طريقة إلقائها لهذه الكلمات جعلتني أعتقد أنها كانت تحتفظ بهذه الكلمات من فترة طويلة.

هناك عبارة في اللغة الصينية عن الحب، ولكن ليس الحب العاطفي، إنما الحب بين أفراد الأسرة وترجمتها أتألم من أجلك.

قالت لي أمي هذا وهي في الممر المؤدي إلى باب غرفتي، وهذا فقط لأني سألتها لماذا لا يمكنها أن تكون مثل والدات أصدقائي الأمريكيين، لماذا لا تستطيعين أن تكوني حنونة مثلهن. فوضعت

يدها على موضع قلبها وقالت: الصينيون يحتفظون بمشاعرهم هنا وليس في مكان آخر، وأشارت إلى الهواء خارجاً. أعتقد لو كانت تعرف العبارة الصحيحة لأشارت إلى كمّها.

أتذكر كيف تعلَّم أبي اللغة الإنجليزية. لم نكن غادرنا الصين منذ فترة وانتقلنا حديثاً للعيش في شقة صغيرة، وكان عند عودته من العمل يجلس على الأرض لأننا لا نمتلك مكتباً، ويفتح القاموس ويتعلم كل يوم عشر كلمات جديدة.

وخلال المرحلة الثانوية وجدت مشروع الدكتوراه الخاص به على المكتب فقرأت الصفحة الأولى ولم أتجاوزها، هذه الصفحة كانت إهداء لي ولأمي وكان مكتوباً بلغة إنجليزية جيدة.

ربما قرأت هذه الصفحة لألف مرة وتتبَّعت الكلام بأصبعي خلال سطورها.

أخبرتني أمي عن قصة وأنا أدرس في الكلية:

إن أباك وهو صبي حمل أخته الصغيرة على ظهره لرؤية الطبيب، وكان الطبيب يبعد عدة أميال، وكانت الأخت الصغيرة تحتضر جراء مرض السل، فركض على الطريق الترابي بأسرع ما يستطيع، ولكن قبل بلوغه الطبيب كانت أخته قد ماتت، ولكنه أكمل بها الطريق إلى الدكتور.

ذُهلت عند سماعي لهذه القصة، ولكن لماذا لم يذكر أخته من قبل؟ لماذا علمت عنها فقط الآن؟ لو عرفت عن أخته من قبل ربما كنت تفهَّمته أكثر.

تفهَّمت حاجته إلى النجاح، إلى أن أصبح لا يعرف شيئاً يُدعى الخوف، ولكن هذه هي الطريقة الصينية في عدم تفسير شيء ودفن مشاعرك كلها بداخلك، ومن ثم تبني عليها جداراً يمكن رؤيته من القمر، وبمرور السنوات سريعاً انتقلت للعيش مع إريك وحصلت للتوّ على كلب وأردت إخبار الجميع عنه، ولكنني كنت قلقة من العودة به إلى ميتشيغان خوفاً من أن يتضايق والدي، فهو لم يظهر أي اهتمام بالحيوانات من قبل، فما الذي سيفعله الكلب في بيتهم الذي يكتسي اللون الرملي.

لم أستطع قراءة ملامح وجهه في المرة الأولى التي يقابل فيها الكلب، فلم يعترِ وجهه أي رد فعل، وكان خالياً من أي تعبير، ورغم ذلك تبعه الكلب في كل مكان يذهب إليه. سمح له أولاً بالبقاء على الأرض الخشبية وليس على السجادة، ثم سمح له بالبقاء على السجادة ولكن ليس على الأريكة، وعندما بكى الكلب خوفاً من كونه بمفرده نام بجانبه على الأرض.

• • •

يحتوي المتجر الذي يبيع أشياء أريد شراءها، ولكن لا أحتاج إلى أن أغرم بها، على هدية صغيرة وأشياء ساحرة. أمسكت بثقَّالة ورق على شكل قلب من الألمنيوم، ثم تركتها وتخيَّلت حياتي بها، وبعد ذلك غادرت المتجر، وهذا ما صار يحدث أخيراً كلما قدمت إلى هذا المتجر.

في الماضي كان الألمنيوم ذا قيمة مرتفعة عن الذهب، فعلى سبيل المثال: امتلك نابليون مجموعة أدوات المائدة من الألمنيوم

ليستخدمها فقط خلال الزيارات الملكية، وكان يستخدم أدوات المائدة الذهبية كل يوم في حياته العادية.

اشتريتها في النهاية، وأخذتها معي في جولة داخل الشقة وهي في جيبي.

سألتني صديقتي المقربة، ما هذا؟ عندما حصلت على نسخة منها عبر البريد.

ـ هذا قلب.

ـ أعلم ذلك، ولكن ماذا يفترض أن أفعل به؟!

أي شيء تريدينه.

استخدمتها كثقّالة ورق في الواقع، ولكن الطفلة وجدتها فوضعتها في فمها أينما ذهبت.

تحاول أن تتمالك نفسها في أغلب الوقت ولا تظهر على وجهها ابتسامة أو تبدأ في الضحك حتى تبدأ الطفلة في تقطيع الورق أمامها، فلا تستطيع تمالك نفسها عن الضحك، فالمنظر مضحك جدّاً.

وفقاً لما تقوله الكتب الإرشادية، ينبغي أن تسجل لطفلك الكثير من الصور والفيديوهات التذكارية، فقررت أن أحاول فعل ذلك عند زيارتها.

هذا حفَّاض نظيف لتشعري بأنك جافة ومرتاحة، وها هو آخر لأنك تغوَّطتِ في السابق بعد أن وضعته مباشرةً، والآن نجعلك ترتدين قميصك ونغلق الأزرار ونرفع سروالك الأبيض الغامق.

هل لنا أن نقرأ كتاباً؟ إن كان كذلك فأي كتاب نقرأ؟ ماذا عن هذا الكتاب المليء بصور الدببة؟ تهزين رأسك كما لو كنت تقولين إنك لا تحبين أيّاً من هذه الدببة.

هل نأكل؟ هل هذا يعني الموافقة؟

ماذا عن البدء بتمزيق الورق هكذا حتى تضحكي؟

أنتِ تضحكين جدّاً.

ها هو حفاض نظيف آخر.

بتصفح الكتب الإرشادية ندرك أن مهمة الأبوين في الأشهر الأولى من حياة الطفل هي إبقاؤه على قيد الحياة، ومهمتهم في السنوات الأولى من عمر الطفل هي حماية الطفل من التسبُّب بالأذى لنفسه.

فتقمصت صديقتي المقربة دور الحامية لها وظلت تقول: إياك أن تلمسي ذلك، ولا تأكلي ذلك، ولا تضعي يدك كلها في فمك وتحاولي ابتلاعها.

لا يوجد الكثير من الصور التي تجمعني أنا وأمي وأنا في مثل عمر هذه الفتاة. لماذا لم نمتلك آلة تصوير في ذلك الوقت؟ فقط هناك صورة، تحملني عالياً على طاولة القهوة لأرقص، وكلتانا ترتدي عشر طبقات من الملابس، أعتقد أن هذا هو فصل الشتاء في الصين، حيث لا نمتلك أي تدفئة في داخل المنزل، ونتجمد من الداخل من شدة البرودة، ورغم ذلك كنا نبتسم وسعداء.

ابتسمي وقولي تشييز، بعد ذلك تعلمت أن أفعل هذا، في صوري الدراسية، وصوري وأنا في الفصل، وأنا مع أصدقائي

الجدد. نقول في الصين كلمة بمعنى باذنجان عند التقاط الصور، فهي ترفع جانبي الفم بنفس الطريقة.

• • •

قالت لي الطبيبة النفسية مقولة حقيقية، وهي أنني من دون والدي فقدت الاتصال مع جميع أفراد عائلتي.

هي تقصد أفراد عائلتي الذين يعيشون في الصين، وهذا يعني جميع أفراد العائلة بخلافنا.

أجبتها قائلةً: أنا سأحاول أن أظل على تواصل معهم بقدر الإمكان. سوف أكتب لهم أو أزورهم، وبالتأكيد سوف أتواصل معهم هاتفيّاً.

ولكنني أدركت وأنا في طريق عودتي إلى المنزل أنني لا أمتلك عناوينهم أو أرقام هواتفهم،

حتى وإن كانت لديَّ أرقامهم وعناوينهم، ما الذي سأقوله لهؤلاء الأشخاص الذين هم بالفعل عائلتي، ولكني لم أمضِ معهم إلا القليل من الوقت، وإذا ذهبت بنفسي إليهم فلن أعرف ما الذي سأقوله لهم، يمكنني مجاراتهم فقط في الحديث، ولكن لا يمكنني التحدث معهم بطلاقة ولا المزاح باللغة الصينية، إن ما قاله إريك عن فقدان إمكانية استخدام روح الدعابة أمر صحيح.

اشترى والداي منزلاً قبل مغادرتي للذهاب إلى الكلية، وقد أنفقا كل بنس قد ادخراه في شراء منزل بفناء من طابقين وواجهته من الطوب في حي راقٍ.

الكلمة المرادفة لكلمة منزل باللغة الصينية هي جيا.

هل شغل تفكيري فكرة أنني راحلة عن ملاحظة ما حاولا فعله.

قالت لي أمي: من المهم لوالدك أن تحظي بجيا.

وقال لي أبي: من المهم لوالدتك أن تحظي بجيا.

ولكن المنزل يحتاج إلى بعض الإصلاحات.

ولتوفير النفقات نفذ والداي جميع الإصلاحات بنفسيهما، فهو أعاد توصيل كل شيء بالكهرباء، وركّب سخاناً جديداً وأرضيات جديدة، وركّب حلية معمارية للأسقف ومصابيح إضاءة أحضرتها أمي، وبنى شرفة جديدة بالكامل في الفناء، وقامت أمي بتثبيت ورق الحائط في جميع الغرف، حيث ثبت نهاية كل فرخ مع بداية الفرخ الآخر، وتابعا العمل لساعات متأخرة من الليل، فكانت تناوله الأدوات وتساعده في حمل السلم، وتضع الأقمشة المشمَّعة حيثما يوضع السلم لحماية الأرضية.

أتذكر فيديو مضحكاً شاهدته على الإنترنت وكان من الصين، حيث يطلب فريق من المراسلين الصحفيين من الطلاب الجامعيين الاتصال بوالديهم وإخبارهم أنهم يحبونهم، وكانت هذه هي المرة الأولى لجميع الطلاب التي يقولون فيها ذلك، وجاءت الردود كالآتي:

ـ نعم – هاه.

ـ هل أنت حامل؟

ـ هل أنت سكران؟

ـ أنا متوجّه إلى اجتماع الآن.

ـ ولكن قال طالب أنا أحبك مرة أخرى.

فسألت الأم: لماذا تخبرني بذلك؟

ـ لأني أحبك.

فردَّت الأم بصبر: هذا أسعد يوم في حياتي.

فتذكَّرت بعض الكلمات التي دارت في عقلي:

ـ لا يمكنك عيش حياتك كلها من أجلهم. في نهاية الأمر سيموتون.

أتمنى ألا يموتوا أبداً لأنهم إذا ماتوا سأصبح وحيدة.

• • •

بدأت الثلوج في الذوبان أخيراً مع حلول شهر أبريل.

هوي اكسوي باللغة الصينية تعني الكيمياء، والمقطع الأول من الكلمة يعني التغيير أو التحول أو الذوبان، والمقطع الثاني يعني تعلم، وإذا استخدمناها بتصريف آخر قد تعني اكسوي الثلوج وهوي تعني الحديث وتصبح الكيمياء ذوبان الثلوج وقد تصبح تعلم الحديث.

يستمر المطر طوال شهر مايو، وعندما أخرج للأكل أو لإحضار أو لإرسال البريد أنظر بغضب إلى السماء التي تمطر.

فهي تمطر حتى والشمس ساطعة. هل هذا ممكن؟

على ما يبدو أنه كذلك، ويسمى ذلك المطر الشمسي.

ولا يمكننا الخروج إلا عندما يتوقف المطر.

ولكن الكلب مثل شريط التثبيت في الملابس، حيث تلتصق به الأوراق والأغصان وحبوب اللقاح الساقطة من الأشجار، والتي أمضي ما يقرب من ساعة يوميّاً لإزالة الحياة النباتية من فروه.

أقول له، أنت شيء سخيف، جذاب جدّاً.

قد يكون كلباً ذكيّاً جدّاً في الواقع، والدليل على ذلك هو أنني ما أبدأ في تقشير الموزة حتى يشم رائحتها من على بعد غرفتين، ويظهر عند قدمي على الفور، ويقترب مني شيئاً فشيئاً حتى أعطيه الموزة.

• • •

هاتفت صديقتي المقربة لتخبرني أنها عادت إلى حوض الاستحمام.

ـ مرة أخرى؟

قالت بعد التفكير لدقيقة: رغم أنه أصبح واحداً من الأماكن القليلة التي تستطيع التفكير وهي فيها. إلا أنه أول يوم مشمس في نيويورك، وأول يوم مشمس في بوسطن، وجميع سكان هذه المدن في الخارج باستثنائنا.

والشيء الذي اتصلت بي لتخبرني عنه أننا كبرنا، وأنها بعمر والدتها عندما أصبحت أمّاً لأول مرة.

أليس هذا غريباً؟

ثم فاجأتني بأنني الآن في نفس عمر أبي عندما بدأ في إرسال هذه الخطابات، وأنني بعمر أمي عندما قرَّرت الذهاب معه.

كم كانت شجاعة.

إذا اضطررت إلى مغادرة أمريكا الآن سوف يتملَّكني الذعر خوفاً من أنني لن يعجبني العيش في هذا المكان الجديد، أو سأفتقد المكان القديم وحياتي السابقة، وسينتابني الخوف من أنني لن أستطيع التأقلم فعلياً مع العيش في هذا المكان الجديد، وسأظل أتنقَّل من مكان إلى آخر.

فاتصلت بها على الفور.

أمي، هل أنت على الخط؟

ردت قائلة: وأين يمكن أن أكون؟

لم أتفوَّه بكلمة عن الشجاعة، ولم أقل شيئاً، فقط كنت أتفقَّد الإشارة في هاتفي.

أذكر أن أطول مكالمة هاتفية بيننا كانت خلال مراسم حفل افتتاح دورة الألعاب الأولمبية الصيفية في بكين. لكي نتشارك الحديث عن العدد الهائل الموجود في هذا الحفل، الذي كان يستعرض التاريخ العريق لبلدي، والذي هو بلدها بشكل أكبر من خلال أربع ساعات من الطبول والأزياء الملونة بألوان نابضة بالحياة والخط الجميل. شاهدت هذا من المعمل بينما شاهدته هي من المنزل، ولكن خلال الاتصال لم نتحدث كثيراً، فما الذي سنتحدث عنه؟ وكل ما كان يشغل تفكيري هو كم أن هذا الأمر

عظيم ولا يصدَّق، وكيف سحب الصينيون ذلك، وكيف لأي شخص أن يصعد إلى هناك؟ وكم كنت فخورة بهذا.

يتحدث دائماً مدربو اللياقة البدنية على الإنترنت (فتنس غورو) عن تمارين تقوية العضلات الأساسية، وتكمن الفكرة في أنك حيثما تمكنت من بناء عضلات أساسية قوية فإنك تمتلك القدرة على تنفيذ هذه الحركات السخيفة الصعبة للغاية وأنت ترسم ابتسامة على وجهك.

وأخبرتني الطبيبة النفسية عن شيء مماثل، ولكنها كانت تتحدث عن القوة الداخلية للإنسان.

من الناحية البيولوجية، الجزء المسؤول عن القوة الجسدية في الإنسان هو الميتوكوندريات وهي عُضيات تنتج كل ما يحتاجه الجسم من طاقة. وتتميَّز الميتوكوندريات بأنها تمتلك حمضاً نوويّاً خاصّاً بها، حيث إن باقي الجسد يحتوي على شريط حمض نووي نصفه موروث من الأب والنصف الآخر من الأم، بينما الحمض النووي للميتوكوندريات موروث من الأم بالكامل وينتقل للطفل عن طريق الأم فقط.

أعلم أن إرشاد الطلاب أمر مؤقت، ولا أستطيع الاستمرار فيه على المدى الطويل، ولكني أحب فعل ذلك، علاوة على أني أجيد الإرشاد.

قد أتمكَّن من إيجاد فرصة عمل كمدرّسة بدوام كامل في مكان ما.

في مدرسة، أو كلية صغيرة.

وعندما أتمكَّن من تحقيق ذلك سأحظى بنوع من الاستقرار، وسوف أخبرهم بكل شيء عن تركي لدراسة الدكتوراه وخطواتي المقبلة. أحتاج فقط إلى مزيد من الوقت لإيجاد طريقة لتحقيق ذلك، وبمجرد أن أفعل سأخبرهم بكل شيء.

يخبرني جزء ما بداخلي أنني بعدم قولي الحقيقة لا أسبّب الأذى إلا لنفسي، والجزء الآخر يخبرني أن بقولي الحقيقة الآن وأنا لا أمتلك خطة لكيفية تحقيق التقدم والنجاح سيتسبب في الكثير من الأذى لهم. ما الذي سأجنيه من وراء ذلك؟ المزيد من الفرقة والخلاف فقط.

هل سأجني راحة البال؟ أو التشجيع؟ أو الدعم؟

لا تقل لي التنفيس عما بداخلي.

أجل هو التنفيس عما بداخلك.

لا أريد أن أتزوج حتى أحقق المزيد من النجاح لنفسي، بل أنا أيضاً أدين لهم بتحقيق المزيد من النجاح لنفسي، وهذا ما لم يفهمه إريك، وتجادلنا حول هذا الأمر عندما قال لا ينبغي لك أن تديني لهم بشيء، فتحدَّث الأمريكي عن الاستقلالية وتحدثت الصينية عن البر بالوالدين. وعندما سألت إريك إذا كان يعتقد أن الطفل يستطيع أن يستقل عن والديه بشكل كامل فأجاب: أي نوع من الأسئلة هذا؟

ولكني الآن حقّاً لا أعلم، فهناك الكثير من الأمور المشتركة بيننا بالفعل.

أمي، أبي، أظن أنني أدركت الآن ما معنى أن أتألم لأجلك.

حدث شيء غريب عندما أخذت صديقتي المقربة القلب الألمنيوم معها إلى الاستشارة، حيث وضعته صديقتي على الطاولة واختفت ألسنة اللهب التي كانت تغطيها، واختفى صوت الصراخ.

ولهذا استمرت صديقتي في أخذه معها كل أسبوع ووضعه على الطاولة، وأخيراً قالت إنها مجرد غرفة عادية، وإنها قد تستطيع رؤية وجهه كما كانت تتذكَّره في الماضي، وعندما أزورهم في مسكنهم تخبرني صديقتي عن أسبابها:

نحن نشكّل فريقاً جيداً، ونحن مستقرون مالياً، وستحظى الفتاة بحياة جيدة، كما أنها تفكر أكثر في البداية، والشخص الذي تزوجتهُ موجود في المنزل.

فسألتها ولكن ماذا عنك؟ بينما يوجد زوجها والطفلة في الغرفة الأخرى.

ـ ماذا عني؟

ـ لن تكوني سعيدة بنسبة كبيرة.

ـ هذا محتمل.

ـ ولكننا سمعنا صراخ الطفلة في الغرفة الأخرى وذهبنا مسرعتين إليها.

هل الطفلة بخير؟ هل حدث شيء؟

ـ كل شيء على ما يرام.

إلا أن الزوج قد وجد طريقة أخرى تجعلها تضحك مثلما تضحك عند تمزيق الورق، وهي أن يقف محله ويتركها تلمس أنفه.

• • •

كتب أينشتاين في خطاب لابنته أن الحب هو الطاقة الوحيدة في الكون التي لم يطوّعها الإنسان حسب رغباته، وتركها لتصبح القوة الكونية التي أغفلها العلماء.

حتى إذا لم يفهم إريك تفانيه لي في كثير من الأحيان وكيف أفتقد ذلك؟ منطقياً كنت أعرف مدى تفانيه لأجلي، ولكني كنت أحتاج إلى سماعها أولاً من شخص آخر.

أظل أتذكَّر القفزة التي تحدَّث عنها في الماضي، وكيف أنه كان على استعداد أن يفعلها هو، بينما أنا لم أكن كذلك.

لتتقدَّم في الحياة يجب أن تقارن نفسك بشخص أفضل منك.

وليس بالضروري أفضل منك على جميع الصعد، إنما على القليل منها.

شاهدته وهو يقفز إلى النهر أولاً وكان بإمكانه المتابعة، ولكنه توقَّف في منتصف المجرى وانتظر أن ألحق به.

• • •

ها نحن في عطلة نهاية أسبوع مشمسة وتهب نفحات من الرياح الدافئة، ولا توجد أي شكاوى من الطقس خلال الأسبوعين الماضيين من شهر يوليو.

أقيم حفل عشاء صغيراً في منزلي، فقد أتمت الطفلة عامها الأول، ولهذا علقت لافتات وملأت عروسة ورقية بالألعاب والحلوى وعلقتها، على قدر المستطاع ووضعت قبعة الحفلة على رأس الكلب الذي ارتعب من القبعة ووضعها في الخزينة، وانتشرت الابتسامات في أرجاء المكان، وبدأت الثرثرة بين الضيوف.

وحضرت صديقتي المقرَّبة والزوج وطالب الرياضيات، وتابعنا مشاهدة الطفلة تلهو بلعبها.

فهمست إلى صديقتي لا تقولي ألعابها قولي: أصدقاؤها.

هي تعلم ولا أعلم كيف لها ذلك ولكنها تعلم، ولهذا شاهدتها وهي ترمي أصدقاءها من ركن الغرفة إلى الغرفة الأخرى ثم رتبتهم في صف حسب الحجم ووبَّختهم.

با بي ووه، با بي ووه.

قد تكون هذه الطفلة عبقرية إلى حدٍّ كبير، كما أنها خجولة وتشير بخنصرها إلى طالب الرياضيات الذي لم تقابله من قبل، حيث يقول الخنصر العبقري «اقترب أيها المغري، أتمنى لو يتم دفعي إلى عربة الأطفال الخاصة بي».

ذهب بينما الزوج يقف بجوار صديقتي المقرَّبة كما لو أنه مقيَّد من قبلها بأربطة من المطاط. إذا ما منح بضع خطوات من المساحة سوف تعتلي وجهه مظاهر التألم.

يستمر الزوج في السؤال، كيف يمكنني المساعدة؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟

أرسلناه في النهاية إلى المتجر لإحضار جبن الشيدر، وعاد إلينا وقد اشترى جميع أنواع جبن الشيدر التي بالمتجر. لا أتمالك نفسي من الضحك، ما الذي سنفعله بكل هذه الكمية من الجبن؟ لا بد أن تغميسة الجبن الثلاثية الخاصة بنا ستصبح رباعية.

وبينما نعد تغميسة الجبن سحبت صديقتي المقربة بعيداً، وقلت: ما رأيك؟ وأنا أشير إلى طالب الرياضيات الذي لا يزال يدفع عربة الأطفال، ولكن الآن أصبح يقلّد صوت القطار، فقالت هو قطار جيد جدّاً، وربما الأفضل فيما رأيت، ولكن افتراضك جيد كافتراضي تماماً.

أنا أفضّل عدم الافتراض.

• • •

اعتقد العلماء قديماً أن خلايا القلب لا تستطيع أن تتجدَّد تلقائياً، وبمجرد موتها لا يمكن أن تُستبدل، ولكن من المعروف الآن أن القلب يستطيع تجديد نفسه، ولكن هذه العملية بطيئة جداً، حيث تبلغ نسبة تجدد خلايا القلب لدى الشخص العادي 1٪ كل عام.

يمتلك مختبر إريك الجديد صفحة على الإنترنت، وتحتوي هذه الصفحة على صور إحداها لإريك وهو يحتضن امرأة أخرى، وهذا ما دفعني إلى تحديث الصفحة بلا توقُّف.

من هذه المرأة؟ ومن أين أتت؟ وكم تبلغ من العمر؟ وكم طولها ووزنها؟ وتاريخ عائلتها والحيوان الأليف الذي تفضّله؟ أين الكلمات المصاحبة لهذه الصورة؟ أنا أريد ألف كلمة، أو من أجل

إيجاد الإجابات سأبحث عنها على جوجل، ولكن في هذه اللحظة قرر جوجل أن يصبح بطيئاً وسيئاً وغير مفيد.

واكتشفت أنها عضو هيئة تدريس أخرى، كما أنها متخصّصة في الكيمياء، وتمتلك قائمة طويلة من المنشورات بحيث عندما أصل إلى نهاية الصفحة يظهر لي زر مكتوب عليه «التالي».

إذا ضغطت على زر «التالي» سيكون هذا مبالغاً فيه، قلت هذا وأنا أتحدث إلى الكلب.

هأنذي لم أضغط على زر «التالي»، وأغلق صفحة الإنترنت، وهأنذي أعيد فتح صفحة النت وأضغط على زر «التالي»، وأخبر الكلب ألا يتفوَّه بكلمة عن هذا لأي أحد حتى أصدقائه السناجب.

رهان آخر: إذا كان غداً نهاية العالم سأرسل رسالة إلكترونية إلى إريك عن هذه المرأة وإن لم يكن فسأنسى أمر الرسالة.

يطلق على نهاية العالم لقب الانسحاق الشديد، حيث ستنخسف الأرض على نفسها مرة أخرى، وفي الوقت الحالي هذه مجرد تكهُّنات، ولكننا سنعلم حقيقة هذا الأمر بعد ملايين من السنين. إذا استطاع البشر النجاة والبقاء حتى موعد الانسحاق الشديد فسيصابون بالذعر بالتأكيد، وسيركضون إلى المتاجر ويشترون عبوات الماء المتوفرة كلها.

أمضيت جلسة كاملة وأنا أتحدث مع الطبيبة النفسية عن الانسحاق الشديد، ثم تطرقت إلى الحديث عن قلقي من أن الكلب لديه العديد من الخليلات، فهو لديه على الأقل خمس خليلات في الحي جميعها من نوع البج.

سألني طالب الرياضيات: ما نوع الورود الذي تفضلينه؟

ـ أفضل التي لا تتكوَّن من ورود كثيرة أو حزم الورد الكبيرة، وأفضّل ألا تكون مبعثرة أو في غاية الترتيب.

بعد ذلك، وصل إليّ وعاء من العشب.

يقول فتى التوصيل: امم ما هذا؟

فأجيب: إنه رائع.

كنت ألتقط بتلات الأزهار التي أشاهدها في المتنزَّه، وكان إريك يقول لي إن هذا فعل طفولي، بعد أن ألتقط البتلات تأتي مرحلة الثقب والوضع على الجبهة، المكان الذي أضع يدي عليه الآن.

عندما تبادلت القبلات مع طالب الرياضيات كانت جيدة، فلم تصدر أصوات قعقعة الأسنان.

أخبرني أن وعاء العشب هو هدية مفاجئة بمناسبة عيد ميلادي.

ـ ولكنك متقدّم بثلاثة أشهر عن الموعد المحدَّد.

فقال لي إنه لو قدَّم الهدية في موعد عيد ميلادي الحقيقي فلن تكون مفاجأة!

• • •

لم تحن نهاية العالم بعد، ولهذا سأتغاضى عن أمر المرأة التي في الصورة مع إريك. ما فرص أن تتصف بالجمال والعبقرية معاً؟ لماذا لا يمكن أن تكون جميلة فقط أو عبقرية فقط؟ مع ذلك أعتقد أنها طويلة جداً بالنسبة إليه، فهما في نفس الطول، ولا يمكنه وضع ذقنه على رأسها.

لكن بالطبع امرأة مثل هذه لا تحتاج إلى ذقن يوضع فوق رأسها.

• • •

عندما أخبرت إريك أن اللغة الصينية لغة موسيقية، تفاجأ جدّاً، ولكن حين ترجمت قصصاً منها، اختفى الإيقاع.

فأعظم أربع روايات صينية مترجمة هي وتر مارجين ودريم أوف ذا ريد شامبر ورومانس أوف ذي ثري كانجدوم وجورني تو ذا وست.

عند سماعي لهذه العناوين للمرة الأولى كنت مستاءة جدّاً، فمع الترجمة فقد الإيقاع، فعنوان رواية جورني تو ذا وست هو ترجمة للعنوان الصيني للرواية إكس يو آي، والمكون من ثلاثة مقاطع متناغمة بشكل قوي جدّاً، وهذه القصة هي المفضلة لديَّ، فهي رواية مغامرات تحكي عن مجموعة من الرفقاء غير المتوافقين يسافرون عبر الصين يحاربون الشر، وبطل هذه الرواية الملك القرد وهو نصف إله ونصف قرد ويسحب من أذنه عصاً يمكن أن تكبر إلى أي حجم يضرب بها الأعداء، ولكنه ليس بطلاً مثاليّاً، فهو يتمرَّد في أغلب الأوقات، وهذا يفسر أن رفيقه الأقرب هو راهب نقي القلب.

أخبرتني أمي: إذا أردت قراءة رواية صينية فلتكن هذه الرواية.

أعتقد أنها قالت ذلك، لأن هذه الرواية ممتعة وذات طابع فكاهي، فالشخصيات أكبر من الحجم الطبيعي، ولكني أتعجب الآن. قد تكون أشارت إليَّ بهذه القصة لتذكرني بوجود مثل هذا البطل في موروثنا الثقافي، الملك القرد وليس الخراف.

أخبرت إريك عن هذه الرواية، وكيف أن الملك القرد يذكرني به، إلا أن الفارق بينكما هو أنه دائماً ما كان يردّد الصلوات وأنت تهمهم.

سألتني الطبيبة النفسية: أين هو المنزل بالنسبة إليك؟

أنا لست متأكدة. هل هذا مهم؟ يعجبني حالياً التنقل بين الأماكن المختلفة.

بالنسبة إلى أمي فأنا أعرف جيداً أين المكان الذي تفضل أن تعتبره منزلها، فالمنزل بالنسبة إلى أمي هو حيثما وجدت أمها.

أما بالنسبة إلى أبي فأنا أفترض دائماً أنه لم يفكر في مثل هذه المادية.

ولكن لماذا تلازمني هذه الذكرى؟

فقد كنت طفلة أصاب بدوار الحركة ولم أحب ركوب السيارات.

كان علاج أبي لدوار الحركة هو أن تنظر إلى الأشياء الخضراء في مدى الرؤية أو النظر إلى التل أو النظر إلى مجموعة الأشجار تلك، وحتى هذا اليوم لم أسمع أي شخص يقول هذا غيره. سمعت عن النظر إلى الأشياء الثابتة على مدى الرؤية، ولكني لم أسمع عن النظر إلى الأشياء الخضرِ.

ذهبت في زيارة بعد ذلك إلى المكان الذي نشأ فيه أبي، ولكن لم أدرك الأمر في حينه، فقد كنت صغيرة، ولكني أدرك الآن، فاللون الأخضر يكسو جميع أرجاء المكان على مد البصر وعلى كل الجوانب.

• • •

أمضيت اليوم كله في اللعب مع الكلب لعبة رمي الأشياء وجلبها، وفي اليوم التالي أخبرت الطبيبة النفسية أنها إذا شمَّت رائحة فراء الكلب ستعرف كيف هي رائحة التعرُّض للشمس لفترات طويلة، فهي تشبه رائحة رقائق الذرة المُحمَّصة.

• • •

شاهدت عرض زواج رائع في فيلم ستيب مام، حيث يلف الرجل وتراً على أصبع المرأة ثم يدع الخاتم ينزلق على هذا الوتر إلى الأصبع، ويقول لقد تركت هذا الوتر ينقطع قبل ذلك، لكني لن أتركه ينقطع ثانيةً.

عندما طلب أبي الزواج بأمي قام بلف ورقة عشب حول أصبعها، وخلال ذهابهما في زيارة إلى عائلته في الريف ركبت أمي الدراجة مع أبي، ولفَّت يدها حول خصره، ولكن الدراجة تعثَّرت بحجر في الأرض وسقطا في الوحل ووصلا إلى منزل عائلته وهما متسخان ولكن سعيدان. قالت حينها إن الوحل يمكن تنظيفه، فأدرك أنها ليست مرهفة كما يبدو عليها، وكان طالباً فقيراً لا يملك المال الكافي لشراء خاتم، ولكن بينما يلفُّ العشب على أصبعها قال لها إنه سيصنع لها خاتماً بنفسه في المستقبل.

أصبح والدي فيما بعد متخصّصاً في السبائك المعدنية، وقبل مغادرتي الكلية بسنة صنع أبي لها خاتماً من الحديد والتنجستين والموليبدينوم والكروم والتيتانيوم، حيث عاير نسب العناصر بنفسه وأذاب العناصر وصبَّ الخليط في قالب الخاتم في المختبر.

شاهدت أمي وهي تخرج الخاتم من الحقيبة البلاستيكية وترفعه عالياً في الضوء.

قال والدي: الخاتم مصنوع من سبيكة وقوي، ولن ينكسر حتى يلتوي أولاً.

والدتي التي تحسن اختيار الكلمات، يعجز لسانها عن الكلام من السعادة.

عجز العلماء لفترة طويلة عن تفسير ترابط أنوية الذرة، فنظريّاً لا يمكن أن تترابط هذه الأنوية معاً؛ لأنها جميعاً تحمل شحنة موجبة، ومن المفترض أن تتنافر، ولكنها بطريقة ما تصر على الترابط.

لا أعتقد أنها كانت لتخرج من السيارة، وأعتقد أنه بالعدّ إلى ثلاثة، كانت قد توقَّفت.

قالت له في النهاية: مهما حدث لن يتم اللجوء إلى الطلاق.

• • •

بحلول عيد ميلادي الحقيقي، تلقَّيت بعضاً من بطاقات المعايدة، أغلبها من أصدقائي الذين يوجدون في أماكن بعيدة، واثنتين من صديقاتي المقربات، ولكن هناك واحدة أصابتني بالحيرة، فنظرت إلى أسفلها وتعرَّفت فوراً إلى الخط، فالكتابة كلها بحروف صغيرة وحرفي إن إس تشبه آر إس التي بدورها تشبه إس إس.

أخبرته كثيراً عن خطّه الذي لا يستطيع حتى آلان تورينج أن يفكَّ رموزه.

رد عليَّ مازحاً: أنت كبيرة جدّاً بمقياس عمر الكلب.

وقال: أوهايو مسطَّحة جدّاً.

لاحظت نقاطاً صغيرة في الأماكن الخالية من الكتابة، أتساءل ما إذا كانت هذه آثار وضع قلمه على الورقة ثم رفعه خلال تفكيره في شيء آخر ليقوله لي.

قال إريك بعد المرة الثانية التي طلب فيها مني الزواج، لم أستطع أن أظل معك لفترة طويلة، ولكن ألم أعتبرك مساوية لي على الدوام، ولكن ما العظيم في كوننا متساويين، ما دامت في النهاية جميع الزيجات محكوماً عليها بالفشل كما أظن؟

أسأل صديقتي المقربة الآن، أخبريني لمرة أخرى لماذا بقيتِ معه؟

لأننا نشكل فريقاً جيداً، ونحن مستقران مادياً وحركات لمس الأنف تسعد الطفلة.

نعم على ما أعتقد تقنية الأنف هي السبب.

• • •

حالتا زواج:

كلارا وفريتز هاربر: حصلت كلارا على دكتوراه في الكيمياء، وهي المرأة الوحيدة في مدرستها، وعبقرية لكن متحفّظة. عندما تقدّم فريتز لخطبتها للمرة الأولى رفضت، ولكنها وافقت في المرة الثانية. بعد الزواج طلب منها فريتز أن تصبح أمّاً وربة منزل فقط، بينما يسافر هو للعمل. وعندما اندلعت الحرب عام 1918 أثبت وطنيته من خلال تطوير سلاح جديد، شيء لا يُرى بالعين المجردة ويقتل في صمت. بعد معرفتها عن اكتشاف زوجها لغاز الكلور أطلقت كلارا النار على نفسها في حديقة العائلة.

ماري وبيير كوري: تقدم بيير عدة مرات للزواج بماري وكانت ترفض، حتى قبلت الزواج به في النهاية، وهذا شيء مشترك بين هاتين المرأتين. ارتدت ماري في يوم زفافها فستاناً أزرق غامقاً، فهو عملي أكثر كما اعتقدت، وبعد ذلك رجعت هي وبيير إلى المعمل وهي ترتدي ثوب الزفاف. وكان المختبر في قبو منزلهما، وفي السنة الثالثة اكتشفا عنصري البولونيوم والراديوم، وفي السنة الثامنة مُنحا جائزة نوبل. لم تعترف اللجنة بها في البداية، حيث لم تفُز امرأة بهذه الجائزة من قبل، ولكن بيير طالب بحقها في ذلك، وقال إنها من غربل عشرة أطنان خام من المعادن الغنية لتحصل على عشرة جرامات من البولونيوم والراديوم.

قد تكون جميع حالات الزواج تكمن بين هاتين الحالتين المتناقضتين.

عندما يشكّل عرض الزواج الأول حالة من حالات ازدواجية الموجة، يحدث تحوُّل في التفكير العلمي، حيث إنه قبل العرض يعتقد المرء أن كل شيء معروف، وبعد العرض يتطوَّر لدى المرء مبدأ الريبة لهيزنبرغ ويظهر لنا نظرية شرودنغر وقطته.

• • •

إريك، لقد تألمت لأجلك أيضاً.

عادت أمي لزيارة جدتي قبل بضع سنوات، وأرسلتا إليَّ علبة من الحلوى التي كنت أحبها وأنا صغيرة، فأكلت الصندوق بالكامل وأنا في طريقي، ولكني توقَّفت وآخر قطعة في يدي وكنت أريد أن آكلها بشدة، ولكني لم أستطع ذلك. أعتقد أنها غالية جدّاً،

فتركتها على الطاولة وشاهدتها والعفن ينمو عليها ببطء. وحتى عندما أخبرتني بأننا لا بد أن نتخلَّص منها، رفضت فعل ذلك. ووضعت القطعة في حافظة من البلاستك ووضعتها في الثلاجة، وفي اليوم الذي رحلت فيه أخرجت القطعة وأكلتها، ثم مرضت لمدة أحد عشر يوماً.

أخبرتني أن البلورات النقية هي التي تتكوَّن من خلايا بلّورية متماثلة تماماً، وكان ذلك بعد أن سألتك ما الذي تجده جميلاً في الكيمياء، ولكن ماذا عن الخلايا البلورية المتماثلة في الحياة؟ لكن في الغالب ليس تماماً.

أكتب إليك يا إريك ملاحظة صغيرة. أنا أسألك: هل فكرت في العودة وزيارتي لبعض الوقت، كصديق؟

الكاتبة

تخرجت **ويكي وانج** في جامعة هارفارد، حيث حصلت على الشهادة الجامعية في الكيمياء ودرجة الدكتوراه في الصحة العامة، كما حصلت على درجة الماجستير في الأدب من جامعة بوسطن. نشرت أعمالها الروائية أو قيد النشر في دور النشر في ألاسكا ريفيو الفصلية وجليمر تراين والجورنال وبلوشيرزو ريديفيدر وسموكلونج الفصلية، وتعيش الآن في مدينة نيويورك ورواية الكيمياء هي روايتها الأولى.